د. الحسينى الحسينى معدّى

# الأساطير الهندية

أساطير العالم

كنوز
للنشر والتوزيع

سلسلة أساطير العالم

---

# الأساطير الهندية

سلسلة أساطير العالم
الأساطير الهندية

---

المؤلف
د/ الحسينى الحسينى معدّى

---

الإشراف العام
ياسر رمضان

---

الناشر
كنوز
للنشر والتوزيع
37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 0127717795

---

التنفيذ الفنى

فورإتش للكمبيوتر

٠١٠٦٦٧٤٣٣٥

---

رقم الإيداع: ٢٢٨٢٩/ ٢٠٠٩

الترقيم الدولى: 977-5307-82-k

---

سلسلة أساطير العالم

# الأساطير الهندية

تأليف

د. الحسينى الحسينى معدّى

كنوز

للنشر والتوزيع

# مقدمة

إن أقدم ديانات الهند كانت طوطمية لأرواح كثيرة كانت تسكن الصخور والجبال ومجارى الماء والنجوم والأشجار والحيوانات، وغير ذلك.

لقد عبد الهنود أقوى الآلهة وأشدها بأسا، المتمثلة فى قوى الطبيعة وعناصرها كالسماء والأرض والشمس والنار، والرياح والماء والجنس، وقد شخصوا هذه العناصر، فجعلوا السماء أبا، والأرض أما، وبقيت النار فترة طويلة اهم الألهة الهندية القديمة فهى المعبود المقدس الذى تقدم إليه القرابين من خبز وخمر وأعشاب.. ويتولى الكهنة وهم سدنة معابد النيران القيام بما يقتضيه التقديم من طقوس ورسوم فى تلك الديانة. وكانت الشمس الإله الآخر الذى يشارك إله النار فى التقديس والألوهية، لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة وحرارة تنعش الأجسام.

وكان إله المطر، وإله الريح، وإله العاصفة إضافة إلى آلهة أخرى حيوانية مثل تنين مفزع، أو وحش هائل.. من آلهة قدماء الهنود.

وتعددت الطوائف، فبعد أن كان الهنود يؤمنون بأن عدد الطوائف أربع فقط، أصبح عددها تسعة عشر ألف طائفة أو يزيد. وزاد كذلك عدد الآلهة فبعد أن كان الهنود يعبدون ثلاثة وثلاثين إلها فى كل الهند فى فترة عصر الفيدا هى آلهة طبيعية، أصبح لديهم عدة مئات من الآلهة المتنوعة حتى أن بعضهم لا يزال يؤمن إلى يومنا هذا بعبادة الثعابين وبعضهم يؤمن بآلهة واصنام متعددة الرؤوس والأقدام والأيدى، ومعبودات أخرى لها رأس الفيل أو رأس البشر وكثير منهم يعبدون الأبقار والثيران والقردة وغير ذلك..

وقد آمن الهنود القدماء بالعالم الآخر أى عالم الاموات، فإذا مات الأخيار

منهم ورضيت عنهم الآلهة تمنح أرواحهم معرفة الغيب، والقدرة على التأثير فى الكون والمشاركة فى تصرفاته وتدبير أمره بمجرد مغادرتها الأجسام.. وقد استمرت هذه الديانة القديمة سائدة فى بلاد الهند حتى جاءت الديانة الجديدة مع الغزو الآرى لبلادهم.. وقد تنوعت الآلهة الهندية القديمة بتنوع مظاهر الطبيعة وقواها المعبودة، منها: "فارونا" إله السماء.. "برينيفى" إله الأرض.. "آجنى" إله النار.. "بارجانيا" إله المطر.. "فايو" إله الريح.. "آندرا" إله العاصفة.. "أوشاس" إله الفجر.. وأما إله الشمس هو "سوريا" أو"مترا" أو "فشنو".. "سوما" إله النبات المقدس الذى يسكر عصيره كل الناس والآلهة.. "فيفاسغات" إله ضوء الشمس.. "براجاينا" إله جميع الأحياء.. أما "براهما" فهو خالق كل شىء، وهو الذى ابتلع براجاباتى داخل جوفه الكبير...

واتركك عزيزى القارئ... لتستمتع بقراءة الاساطير الهندية القديمة عسى أن تجد فيها المتعة العقلية، والخيال الانسانى المحبب إلى النفس.

والخير أردت.. وعلى الله قصد السبيل.

**د. الحسينى الحسينى معدّى**

# آلهة الهندوس
# (براهمـا)

أما براهما فسيد جميع الآلهة رغم أنه مقل فى شعائر العبادة الفعلية، وكان له من الشهامة ما أبعده عن الميل مع الهوى، وهو القوة الخالقة فى الطبيعة، رغم اعتبار براهما من ثلاثى الآلهة العظام الهندوس وهم (فشنو)، و(شيفا) المدمر فقد خسر براهما قوة كونه الخالق لهذين الإلهين اللذين أصبح أحدهما للبناء والآخر للتهديم؛ وكذلك الإلهة الأم المقدسة الحمراء اللون، ويجد براهما بأربعة رءوس وكانوا سابقا خمسة رءوس ولكن الإله شيفا أحرق أحد الرءوس بعينه الثالثة؛ لأنه تكلم معه باحتقار ويحمل براهما صحن الزاهد الذى يشحذ الطعام والصدقات.

وتصوره صورة اخرى، وهو يقدم للآلهة صحن الزاهد المتنسك الشحاذ؛ وكذلك حكمة المعرفة السحرية مع بقية الآلهة الذين يقدمون فروض الطاعة للعنصر الأنثوى - براهما.

وهناك أسطورة أخرى حول الخليقة تقول: إن براهما هو المادة الأساسية وموجودة منذ الأزل وأن براهما خلق المياه الكونية ووضع فيها بذرة ونمت وأصبحت بيضة ذهبية (هرانيا كاريها) ولديها هو براهما خالق الكون وكان الكائن الأول (يوروشا) أو الرجل الكونى وهو أحد أسماء براهما.

وتقول أسطورة أخرى: إن براهما خرج من زهرة لوتس من سرة (فشنو) وبوجود رفيقة (زوجته) الإله (فشنو) الإلهة (لاكشمى) إلهة اللوتس، وتمثل لاكشمى الثراء والنعمة والمسئولة عن ولادة البشرية، وكانت لبراهما علاقة غير شرعية مع الكلمة الملفوظة (فان)، أو البقرة التى تغنى ألحانا وتجلب الحليب

والميـاه، وهـى أم (االفيـدا) و(فـان) تـعنـى: الكلمـة، وقـوى الطـبيـعـة، وهـى بطـبيـعـة أخـرى تعنـى الوهـم (مـايا) وتظهـر علـى شـكل لبـؤة، وتظهـر (فـان)، فـى النقـوش فـى المعابد مع رجل أما عـرية براهما (حمزة) أو (فاهـانا) فهـى استمرارية للأسطورة؛ لأن اسم الطير مرتبط مع صوت الكون والتنفس.

فالشـهيق يـعمل صـوتا هـو: (هـام)، والزفيـر: (زا). والكلمـة هـى: (حـمـزة)، أو (همـزة)؛ لذا فـان تمارين التنفس اليونجيـة ونفس الحيـاة مبنية عليهـا ونجـد فـى أبنيـة المعـابد نفس كلمـة (هامـا) أو هـمـزة علـى جـانبى زهـرة اللوتـس وهـى رمـز المعرفة.

أمـا أصـل أسطورة اللنغـام فـيـقـال: إن (شـيـفـا) حل نقـاشـا لبنى (براهمـا)، و(فشنو) حـول الذى أوجـد الخليقـة، وقـد خـرج (براهـمـا) علـى شكل ذكـر أوز فـى المحيط الكونى (وفشنو) على شكل خنزير بري؛ وذلك للتحقيق فـى الأمر، وعندما طار الأوز رأى إله الذكـر الكونيـة ينفـجـر، وفـى ملجـأ علـى شكل كـهف كـان الإله الخـالق (شيفا مختبئا).

## فشنــو

وأما (فشنو) إله الحب: ما أكثر أن ينقلب إنسانا؛ ليقدم العون إلى البشر.

وفشنـو هـو: الإله المجدد والمحافظ وله شعبية فـى الهنـد وجذر كلمة (فشنو) هـى (فش) معناه: ينتشـر ويعم ويوصف فشنو بأنه فـى كل مكان، وقد تجسـد فـى عدة صور على شكل (أفاتارا) إله، أما جوهره المقدس فيتجسد علـى شكل إنسان أو شكل خـارق ويظهر على شكل (أفـاتارا) عندمـا تدعو الحـجة لإصـلاح كل شـىء والقـضـاء علـى الشـر، ويقـول (فشنـو): عندمـا يتـهـدد النظام والعـدالة فـى الأرض فسأنزل إلى الأرض.

ورغم أن شـيـفـا تجـسـد (١٨) مـرة علـى شكل إنسـان أو إله فـإن فـشنـو بتجسداته العشرة يسيطر على فحوى الأسطورة الهندوسية، وأعظم مـا يتجسد فيه فشنو هو شخصيـة (كـرشنا)، وهـو فـى صـورته الكرشنيـة مـولود فـى سـجن،

يأتى بكثير من أعاجيب البطولة ومغامرات الغرام، يشفى الصم والعمى ويعاون المصابين بداء البرص، ويذود عن الفقراء، ويبعث الموتى من القبور.

وكان لكرشنا تلميذ محبب إلى نفسه هو: (أرجونا) الذى تبدلت أمامه خلقة فشنو، وتقول أسطورة حياته: إنه مات مطعونا بسهم، وتقول أسطورة أخرى: إنه قتل مصلوبا على شجرة، ثم هبط إلى جهنم ومنها إلى السماء، على أن يعود فى اليوم الآخر؛ ليحاسب الناس أحياءهم وامواتهم وهو - مثل الإله شيفا - تتبعه الأكثرية الكبرى من سواد الشعب الذى يكرم الآلهة، والذى يرسم الواحد منهم على جبهته كل صباح بالطين الأحمر علامة الفشنو، وهى شوكة ذات أسنان ثلاثة، بينما الشيفى المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته برماد من روث البقر، أو يلبس (اللنجا) ويربط على ذراعه أو يعلقه حول عنقه.

أما أتباعه فيقدسونه على أنه هو الذى خلق الكون كله، وأنه بعد أن قام من النوم أمر (البراهما) أن يخلق الأرض، ثم اتخذ له مكانا فى (الفيكونتا) وهى السماء التى كان هو نفسه إلها لها، وهناك يجلس (فشنو) على العرش بجانب زوجته والإلهتين (لاكشمى)، و(سرى) إلهتى الحظ السعيد والبركة الطيبة، وفشنو ينتابه القلق - أحيانا - بسبب هذا العالم، فهو يهبط بين حين وآخر من عليائه يتفقد شئون البشر.

ويعتقد الهندوس أن تجسد فشنو القادم سيكون (كالكى) أو الحصان الأبيض وسيعود خلال الـ (٤٢٨) قرنا القادمة التى نمر بها وتسمى (كالى يوغ) دهر كالى وهى مرحلتنا الحالية، وفى هذه الفترة يعتبره أتباعه الأعلى ويعتبرونه الخالق؛ لأن براهما خرج من سرته فى زهرة اللوتس، وفى تجسده على هيئة كرشنا فهو (الحافظ)؛ أما شيفا فقد خرج من رأسه كما يذكر فى ملحمة (المهابهارتا) وشيفا هو المدمر الذى يحل الأشياء.

■ ■ ■

# شـــيفا

إله القسوة والتدمير: وهو تجسيد لتلك القوة الكونية التى تعمل واحدة بعد أخرى على تخريب جميع الصور التى تتبدى فيها حقيقة الكون.

وشيفا لا يظهر عادة إلا فى ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات الطاحنة، أما تماثيله المنحوتة فى الصخر فهى تمثله وهو يضع فوق رأسه عددا من الجماجم وتحيط به أرواح الشر، حيث يمارس رقصة الموت والدمار تلك الرقصة التى تنتهى بتحطيم العالم. وقد جسد شيفا قوى التدمير وعرف بأنه الذى يأخذ الشىء، ويوجد على شكل شاب أشقر بأربع أياد وأوجه وثلاث عيون، وتقع العين الثالثة فى وسط جبهته، وتمثل - أحيانا - هذه العين بثلاثة خطوط أفقية، ويقوم أتباعه برسمها على جباههم فى الوقت الحاضر، ويصور وهو لابس جلد الأسد وتلتف أفعى على رقبته.

والصفة الثانية لشيفا هى: صفة (بحيرافا) أو الملتهم السعيد، وفى تنكره هذا يرتاد المقابر وأماكن حرق أجساد الموتى ويلتف بالأفاعى والجماجم كقلادة له ومعه مجموعة من الجنود، والشخصية المضادة لصوره هو ظهوره على شكل (ناتراجا) ملك الراقصين ويرقص رقصته الكونية أمام (بارفاتى) للتخفيف عن آلام أتباعه، ونجد أجمل ما تحمله هذه الأسطورة فى جنوب الهند حيث تنتشر تماثيله البرونزية والدخول فى غيبوبة عن طريق الرقص.

■ ■ ■

# أسطورة الخلق الهندوسية

تقول الأساطير الهندوسية: إن هناك أكثر من قصة للخلق، وان هناك ثلاثة آلهة وراء ذلك، وهى: إبراهما وهو سيد جميع الآلهة رغم أنه مهمل فى شعائر العبادة الفعلية، وكان له من الشهامة ما أبعده عن الميل مع الهوى وهو القوة الخالقة فى الطبيعة، رغم اعتبار براهما من ثلاثى الآلهة العظام الهندوس، وبقيتهم: (فشنو)، و(شيفا) المدمر فقد خسر براهما قوة كونه الخالق لهذين الإلهين اللذين أصبح أحدهما للبناء، والآخر للتهديم، وكذلك الإلهة الأم المقدسة الحمراء اللون.

ويظهر براهما بأربعة رءوس وكانوا سابقا خمسة رءوس ولكن الإله شيفا أحرق أحد الرءوس بعينه الثالثة؛ لأنه تكلم معه باحتقار، ويحمل براهما صحن الزاهد الذى يشحذ الطعام والصدقات.

وتصوره صورة أخرى وهو يقدم للآلهة صحن الزاهد المتنسك الشحاذ، وكذلك حكمة المعرفة السحرية مع بقية الآلهة الذين يقدمون فروض الطاعة للعنصر الأنثوى (براهما).

وهناك أسطورة أخرى حول الخليقة تقول: إن براهما هو المادة الأساسية، وموجودة منذ الأزل، وأن براهما خلق المياه الكونية، ووضع فيها بذرة ونمت وأصبحت بيضة ذهبية (هرانيا كاريها) وولديها هو براهما خالق الكون وكان الكائن الأول (يورشا) أو الرجل الكونى وهو أحد أسماء براهما.

وتقول أسطورة أخرى: إن براهما خرج من زهرة لوتس من سرة فشنو وبوجود رفيقة (زوجته) الإله فشنو الإلهة (لاكشمى) إلهة اللوتس وتمثل (لاكشمى) الثراء والنعمة ومسئولة عن ولادة البشرية، وكانت لبراهما علاقة غير

شرعية مع الكلمة الملفوظة (فان)، أو البقرة التى تغنى ألحانا وتجلب الحليب والمياه، وهى أم (الفيدا) و(فان) تعنى الكلمة، وقوى الطبيعة، وهى بطبيعة أخرى تعنى الوهم (مايا) وتظهر على شكل لبؤة، وتظهر فان فى النقوش فى المعابد مع رجل أما عربة براهما (حمزا) أو (فاهانا) فهى استمرارية للأسطورة؛ لأن اسم الطير مرتبط مع صوت الكون والتنفس، فالشهيق يعمل صوتا هو (هام)، والزفير (زا) والكلمة هى (حمزا) أو (همزا)، لذا فإن تمارين التنفس اليونحية ونفس الحياة مبنية عليها ونجد فى أبنية المعابد نفس كلمة (هاما) أو (همزا) على جانبى زهرة اللوتس وهى رمز المعرفة.

أما أصل أسطورة (اللنغام) فيقال: إن شيفا حل نقاشا لبنى براهما وفشنو حول الذى أوجد الخليقة، وقد خرج براهما على شكل ذكر أوز فى المحيط الكونى وفشنو على شكل خنزير برى، وذلك للتحقيق فى الأمر وعندما طار الأوز أى إله الذكر الكونية ينفجر، وفى ملجأ على شكل كهف كان اله الخالق شيفا مختبئا.

وأما فشنو فهو إله الحب الذى ما أكثر ما ينقلب إنسانا؛ ليقدم العون إلى البشر.

وفشنو هو الإله المجدد والمحافظ وله شعبية فى الهند، وجذر كلمة فشنو هى (فش) معناه ينتشر ويعم، ويوصف فشنو بأنه فى كل مكان، وقد تجسد فى عدة صور على شكل (أفاتارا) إله، أما جوهره المقدس فيتجسد على شكل إنسان أو شكل خارق ويظهر على شكل (أفاتارا) عندما تدعه الحاجة صلاح كل شىء والقضاء على الشر، ويقول (فشنو): عندما يتهدد النظام والعدالة فى الأرض، سأنزل إلى الأرض، ورغم أن شيفا تجسد (١٨) مرة على شكل إنسان، أو إله، فإن فشنو بتجسداته العشرة يسيطر على فحوى الأسطورة الهندوسية.

وأعظم ما يتجسد فيه فشنو هو شخصية (كرشنا)، وهو فى صورته الكرشنية، مولود فى سجن، يأتى بكثير من أعاجيب البطولة ومغامرات الغرام، يشفى الصم، والعمى، ويعاون المصابين بداء البرص، ويذود عن الفقراء، ويبعث

الموتى من القبور.

وكان لكرشنا تلميذ محبب إلى نفسه هو (أرجونا) الذى تبدلت أمامه خلقة فشنو، وتقول أسطورة حياته: إنه مات مطعونا بسهم، وتقول أسطورة أخرى: إنه قتل مصلوبا على شجرة، ثم هبط إلى جهنم ومنها إلى السماء، على أن يعود فى اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم، وهو مثل: الإله شيفا - تتبعه الأكثرية الكبرى من سواد الشعب الذى يكرم الآلهة، والذى يرسم الواحد منهم على جبهته كل صباح بالطين الأحمر علامة الفشنو، وهى شوكة ذات أسنان ثلاثة، بينما الشيفى المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته برماد من روث البقر، أو يلبس (اللنجا) ويربطه على ذراعه أو يعلقه حول عنقه.

أما أتباعه فيقدسونه على أنه هو الذى خلق الكون كله، وأنه بعد أن قام من النوم أمر البراهما أن يخلق الأرض، ثم اتخذ له مكانا فى (الفيكونتا) وهى السماء التى كان هو نفسه إلها لها، وهناك يجلس فشنو على العرش بجانب زوجته والإلهتين لاكشمى وسرى إلهتى الحظ السعيد والبركة الطيبة، وفشنو ينتابه القلق - أحيانا - بسبب هذا العالم، فهو يهبط بين حين وآخر يتفقد شئون البشر، ويعتقد الهندوس أن تجسد فشنو القادم سيكون (كالكى) أو الحصان الأبيض وسيعود خلال الـ (٤٢٨) قرنا القادمة التى نمر بها وتسمى (كالى يوغ) دهر كالى وهى مرحلتنا الحالية، وفى هذه الفترة يعتبره أتباعه أنه الأعلى ويعتبرونه الخالق؛ لأن براهما خرج من سرته فى زهرة اللوتس، وفى تجسده على هيئة كرشنا فهو (الحافظ).

أما شيفا فقد خرج من رأسه كما يذكر فى ملحمة (المهابهارتا) وشيفا هو المدمر الذى يحل الشياء، إله القسوة والتدمير، وهو تجسيد لتلك القوة الكونية التى تعمل واحدة بعد أخرى على تخريب جميع الصور التى تتبدى فيها حقيقة الكون، وشيفا لا يظهر عادة إلا فى ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات الطاحنة.

أما تماثيله المنحوتة فى الصخر فهى تمثله وهو يضع فوق رأسه عددا من الجماجم وتحيط به أرواح الشر حيث يمارس رقصة الموت والدمار، تلك الرقصة التى تنتهى بتحطيم العالم، وقد جسد شيفا قوى التدمير وعرف بأنه الذى يأخذ الشىء، ويوجد على شكل شاب أشقر بأربع أياد وأوجه وثلاث عيون وتقع العين الثالثة فى وسط جبهته وتمثل أحيانا هذه العين بثلاثة خطوط أفقية ويقوم أتباعه برسمها على جباههم فى الوقت الحاضر ويصورونه وهو لابس جلد الأسد وتلتف أفعى على رقبته.

والصفة الثانية لشيفا هى صفة (بحيرافا) أو الملتهم السعيد، وفى تنكره هذا يرتاد المقابر وأماكن حرق أجساد الموتى ويلتف بالأفاعى والجماجم كقلادة له ومعه مجموعة من الجنود والشخصية المضادة لصوره، وهو ظهوره على شكل (ناتراجا) ملك الراقصين، ويرقص رقصته الكونية أمام (بارفاتى) للتخفيف عن آلام أتباعه، ونجد أجمل ما تحمله هذه الأسطورة فى جنوب الهند حيث تنتشر تماثيله البرونزية والدخول فى غيبوبة عن طريق الرقص.

■ ■ ■

# رامـايانـــا

(رامــايانا) هـى أوذيســبــة الهنـد فى تاريـخ الأدب الأسطورى. وهـى أشـهــر أساطير الهند وأحبها الى النفوس.. وتتناول حياة بطل اسمه راما، نفاه أبوه فى غابة الشياطين حيث لقى من المصائب والأهوال ألوانا شتى. ونشب صراع جبار بينه وبين رافـانا مـلك الشيـاطين تمكن مـن خطف زوجتـه، فظلت تنتظر زوجهـا صابرة طاهرة. لا تستسلم ليأس أبدا..

والهندى يعتبر رامـايانا كتابا مقدسـا. ويعتبـر راما صورة مجسدة للألوهية. ولا يزال يتوجه اليه بالصلاة. وهو حين يقـرأ الاسطورة انما يشعـر بأنه يستمد من قراءاته سموا دينيا كما يستمد متعة أدبية وارتفاعا خلقيا.. اذ تظهره هذه القراءة من أوزاره جميعا وتجعله ينجب ولدا حتى ولو كان عقيما..!)

كان الجميع سعداء إلا الملك، فبرغم العصر الذهبى الذى كان يعيش فيه كل الشعب، الا أن شيئا واحدا كان ينغص على الملك الحياة.. فقـد أبت الآلهة أن تنعم عليه بولد.. يتولى من بعده عرش البلاد.

ولقـد كان سكان مدينة (أيوذيا) يعرفون تلك الحسرة التى تأخذ بقلب الملك (داشاراذا) سيد بلاد (كوسلا). الا أنهم مـا كـانوا يملكون شيئا قط سـوى أن يرفعوا أيديهم، وهم يقدمون القرابين، يدعون (براهما) أن يمنح ملكهم الطيب وليا للعهد.

ولعل رب الأرباب قد استجاب لدعوات القوم الصالحين، فذات يوم بينما كان الملك مجتمعا بكهنته يقدمون القرابين لبراهما، اذ ظهر لهم الاله (فشنو) فى شكل نمر، متربعاً وسط النيران، وقال للملك:

- خذ هذا الأرز المقدس، واللبن الحليب، ووزعه على زوجاتك. فقد أرسلنى

براهما لأبشرك بغلام اسمه راما، يكون له ثلاثة أخوة آخرين من كل زوجة من الزوجات.

وحمل الملك اللبن والأرز الى زوجاته وقسمه عليهن.. فلم تمض أيام حتى أنجبت (كوشالا) زوجة الملك الولى ولدا سماه (راما). ثم تبعتها (كايكى) بولد سماه (باراتا) أما الثالثة فقد أنجبت ولدين هما (لكشمان وساتروجنا).

وعاش الأخوة الأربعة فى كنف الملك حتى شبوا. ومع مر السنين كان راما قد اتخذ من أخيه لاكشمان صديقا وتابعا ورفيقا. فى حين كان ساتروجنا قد جعل من نفسه هو الآخر حارسا لأخيه باراتا.

وكبر راما حتى بلغ السادسة عشرة. وبدأ الملك يمنحه من قلبه كل شىء. ويدربه على أن يكون ملكا من بعده على كوسلا، ومن أجل أن يأمن على ولده متى تولى العرش من عدوات جيرانه، امتلأ رأسه بفكرة تزويجه من سيتا.. كبرى بنات (جاناك) ملك (ميثالا).

والحق أن سيتا كانت أجمل فتيات ذلك العصر، غير أنها لم تكن فى الحقيقة ابنة الملك.. فقد كان يسوق المحراث يحرث به بستان قصره ذات يوم، واذا بالأرض تنشق من تحته، وتخرج من مجرى الحرث طفلة صغيرة يشع من حولها النور، ذات جبين من عاج، وشفة من مرجان، وأسنان تسطع بلمعة اللآلئ.. كانت هى نفسها سيتا.. التى اعتبرها الملك هدية من الآلهة، فتعهدها فى قصره حتى شبت، وعندما حان وقت زواجها، قرر جاناك ألا يزوجها إلا لمن يستطيع أن يثنى القوس المقدس الذى أهدته الآلهة لأجداده الأقدمين.

وتقدم لخطبة الأميرة أبناء القصور من كل الممالك حوله.. غير أن أحدا لم يستطع أن يثنى القوس.. فقد كان قوسا ماردا عملاقا، صنعه الاله شيفا لنفسه، ثم أهداه لأجداد جاناك. ومنذ ذلك اليوم عجز الجميع عن ثنيه، فلا الآلهة، ولا المردة، ولا الشياطين. كانوا يملكون القوة التى تستطيع أن تثنيه.

وقرر راما أن يشترك فى المباراة وانطلق الى ميثالا، على حين كان الملك

يستعد لاقامة عيد الضحية.

وكان الشعب كله يحيى الملك حين دخل راما الساحة، وأعلن عزمه على خطبة سيتا.. ابنة الملك!

وتحولت اليه كل الأنظار.. لقد كان صدره بارزا كليث، وجسده فارعا كإله، وعيناه مهيبتين كفيل.

وأمر الملك بالقوس فأحضر على عربة ذات عجلات ثمان يجرها خمسة آلاف عملاق. ومد راما يده فأخرج القوس من كيسه وبدأ يثنيه. وارتعد الجميع، فما كان أسهل ما انحنى القوس فى يد راما الذى ظل يثنيه حتى تلامس طرفاه، ثم تحطم فى صوت كالرعد، وهزة كالزلزال، حتى ان آلاف المشاهدين سقطوا على الأرض.. سوى جاناك وراما.. والأميرة التى فتحت عينيها فى ذهول.

وأقيمت الأفراح، وارسل جاناك الى جاره الملك داشاراذا يدعوه الى حفل الزواج.. فجاء ومعه ابناؤه الباقون، وعندما عادوا الى ايوذيا.. كان مع كل منهم عروس أخرى رائعة. من بنات ملك ميثالا الجميلات.

وظلت السعادة تغمر كل مكان من أرض كوسلا.. حتى دخلها الشر عن طريق كايكى.. الزوجة الثانية للملك!

فذات يوم، أعلن الملك أنه يدعو الشعب فى الغد لحضور حفل تنصيب ولى عهده.. وملأت الأفراح كل (أيوذا) التى امتلأت قلوب سكانها جميعا بحب (راما) وزوجته الأميرة (سيتا) ابنة الآلهة. غير أن قلبا واحدا كان يمتلئ غما وحسدا. هو قلب الملكة كايكى.. فقد أحزنها أن يكون العرش لابن ضرتها دون ولدها باراتا الحبيب.

ولعل تلك الغيرة التى ملأت قلب كايكى، لم تكن تستطيع أن تفعل شيئا لولا خادمتها العجوز (منتارا) فقد اشعلت العجوز فى أعماق مولاتها كل نيران الحقد والحسد، وراحت تحرضها على التخلص من راما. ليكون العرش خالصا لولدها باراتا.

وبكت كايكى غيظا ويأسا.. فما كانت تملك أن تمنع زوجها الملك من اعلان ولاية العهد لأى ولد، غير أن منتارا، ابتسمت فى خبث وهى تقول:

- ان فى امكانك يا مولاتى أن ترغمى الملك على اعلان العهد لولدك.. وارسال ابن ضرتك الى اعماق غابة الشياطين.. فلا ينافسه على العرش أبدا..

- كيف يكون ذلك يا منتارا؟!

ومن بين شفتيها المملوءتين بحمى الحقد، راحت منتارا تذكر سيدتها بذلك اليوم الذى أصيب فيه الملك بجراح خطيرة خلال احدى معاركه مع شياطين الجن. ففى ذلك اليوم كانت كايكى تعيش فى ذلك المكان.. وتصادف مرورها من نفس الطريق الذى سقط فيه الملك غارقا فى لجى من الدم. وعندما شهدته ووجدته يقترب من الموت، جاهدت حتى استطاعت حمله بعيدا عن الميدان، وبذلت كل ما تملك حتى ارتد اليه الصواب. وراحت تعتنى بجراحه حتى انقذته من موت كان لابد منه. وعندما شفى الملك، تزوجها، وأقسم أن يحقق لها أى امنيتين تطلبهما منه.. فى أى وقت تريد.. ومضت الأيام والشهور والسنون، ولم تكن الملكة قد طلبت من زوجها شيئا بعد.

ودار رأس كايكى بنشوة كالخمر.. وقد بدأت تدرك ما تقصد اليه منتارا، واستمرت العجوز تقول:

- لقد حان الوقت لكى تطلبى من الملك أمنيتيك، اطلبى منه أن يتخلى عن العرش لولدك باراتا.. وأن ينفى راما فى غابة الشياطين أربعة عشر عاما وفى خلال تلك السنوات يكون باراتا قد استطاع أن يجتذب لنفسه حب الشعب، ولا يخشى منافسة أخيه.

وانطلقت كايكى الى الملك تذكره بوعده، واقسم لها انه لم يحنث فيه، وانه سيحقق لها فى الحال كل ما تطلب كائنا ما كان، وهنا ألقت الملكة بقنبلتها على رأس الملك.. الذى وقف كالمشدوه.. فما خطر بباله أنها تجرؤ على مثل ما تطلب الآن قط.

غير أن الملك لم يكن يستطيع أن يحنث بوعده.

وبقلب حطمته الأحزان، أحنى رأسه.. للمرأة التى خدعته.

لقد كانت هذه هى أول مرة يحنى الملك داشاراذا فيها رأسه. ولقد اضطر الى احنائه مرة ثانية أمام راما الذى وقف ومن حوله كل رجال البلاط فى انتظار ان يباركه أبوه ويعلن له ولاية العهد. فاذا به يفاجأ بصوت الملك يخرج كسيرا محطما وهو يولى العرش لباراتا.. ويأمر بنفيه هو نفسه أربعة عشر عاماً فى غابة الشياطين.

وهتف الفتى فى حيرة:

- ولكن ما الذى صنعته يا أبتاه؟

وأشار الملك الى كايكى وكأنه يشير الى الشياطين. وراح يقص على الجميع قصة الأمنيتين الخبيثتين والوعد الذى لم يستطع أن يحنث فيه..!

واندفع باراتا نحو أخيه راما، وأمسك بيده وهو يقسم انه لا يمكن أن يمس عرشا من حق أخيه وحده.. غير أن راما هز رأسه وهو يقول:

- أبدا أيها الأخ الكريم. لقد انتقل التاج اليك، ولابد من تنفيذ الوعد الذى أقسم به أبى. ستجلس أنت على العرش.. أما أنا فسأنطلق لفورى وحدى الى غابة وانداك فلا أعود الا متى انقضت الأعوام الأربعة عشر كاملة.

واندفعت سيتا نحو زوجها.. وسجدت أمامه تتوسل وتقول له:

- خذنى معك يا زوجى الحبيب.. فما أستطيع أن أعيش فى هذا المكان بعدك. ان العربة والخيل المطهمة والقصر المذهب كلها عبث فى حياة المرأة. وهى تؤثر عليها كلها، ظل زوجها المعبود أن سيتا ستهيم معك فى كل مكان فى الغابة.. فذلك عندها اسعد مقاما من قصور العالم كله. انها لن تفكر فى بيتها لحظة أو فى أهلها.. ما دامت ناعمة فى حب الزوج الذى اختارها لتشاركه الحياة، وستجمع الثمار الحوشية فى الغابة اليانعة العبقة.. فطعام يذوقه راما

هو أحب الأطعمة عند سيتا الوفية.

وكذلك فعل لكشمان. فقد راح يتوسل الى أخيه أن يأذن له بمرافقته فاذا لم يكن يريده صاحبا فليكن حارسا له ولسيتا من هجمات سكان الغاب الملاعين!

وحاول راما أن يثنى زوجته وأخاه عما صمما عليه.. غير أنهما ظلا يصران ويتوسلان.. ولم يكن أمامه سوى أن يذعن لرغبتهما.. وانطلق الثلاثة معا فى الطريق الى وانداك.. غابة الشياطين.

لم يكن الأمراء الثلاثة يمضون، حتى سقط الملك ميتا لفرط ما ألم به من حزن. وبرغم ان كايكى ملأها الفرح لوفاة زوجها، الا أن بارتا رفض العرش، وأقسم أن يحكم باسم أخيه حتى يعود من منفاه.

ومضت أعوام عشرة طويلة.. عاش الأمراء الثلاثة خلالها متنقلين بين حنايا الغابة الموحشة، يقتاتون فاكهة، ويجمعون عشبا، ويصطادون طيرا وحيوانا، ويزداد بهم العجب لمرور السنين دون أن يلتقوا قط بأحد من الشياطين التى قيل انها تملأ الغابة.

وبينما كان الأمراء الثلاثة يستأنفون تجوالهم ذات يوم، اذ وجدوا انفسهم فجأة أمام صومعة ناسك هرم يدعى اجستاى.. لم يكد يلمحهم حتى رحب بمقدمهم، وأقسم إلا أن يستضيفهم لعدة أيام.

ولم يكن بد من أن يقبل راما ضيافة الناسك.. وخلال الأيام التى قضاها لديه، عرف راما ان رافانا ملك الشياطين يقيم غير بعيد من أطراف الغابة عبر المكان الذى يقيم فيه الناسك.. غير انه لا يجرؤ على الاقتراب منه.. لما يملكه الرجل الطيب من أسلحة رهيبة يخشاها الجن والشياطين ولعله كان أجدر براما أن يبتعد بزوجته وأخيه عن ذلك المكان غير انه - وهو الشجاع الذى لا يعرف الجبن قط - أبى أن يستسلم للخوف، وأقسم أن يستمر فى تجواله حتى تنقضى مدة النفى.

وعندما وجد الناسك أن الفتى واخاه يرفضان إلا ان يستمرا فى طريقهما،

أقسم أن يساعدهما ويزودهما بما يقيهما شر الطريق. فأخذ بأيديهما الى مغارة تحت الأرض حيث آلات حرب فتاكة أعدها لصراع الجن والشياطين.. فاعطاهما شيئا منها.. كما منح راما قوسا وسهاما مسحورة لا تحصى.. ومنح لكشمان سيفا ذهبى النصل يثير الرعب فى قلب كل من يراه.

وأخذ راما ورفيقاه طريقهم من جديد فى أعماق الغاب. وظلوا يسيرون حتى أخذ التعب بسيتا وأحست حاجة الى الراحة. وهنا فقط.. حط الثلاثة الرحال، وقرروا أن يبنوا مسكنا صغيرا يأوون اليه، وترتاح سيتا فيه.

ومرت الأيام سعيدة هانئة.. حتى كان ذات يوم..

كانت (سورباناجا) أخت رافانا ملك الشياطين تتنزه فى الغابة، حينما شهدت راما جالسا يناجى زوجته. وأحست (سورياناجا) نحو الفتى بهوى غريب.. وراحت تنتهز الفرص لتنفرد به. فلما واتتها الفرصة وراحت تصب فى أذنيه ترانيم الهوى.. سد عنها سمعه، ورفض أن يستجيب لعاطفتها.

ولكن الرغبة المجنونة كانت تلح بالشيطانة العاشقة حتى بلغ بها الأمر أن صممت على قتل سيتا التى تمنعه عنها. وراحت (سورياناجا) تتحين الفرص حتى وجدت الفتاة وحدها فهاجمتها.. غير أن لكشمان كان غير بعيد فأسرع اليها، وبحد سيفه البتار قطع أنفها وأذنيها،وصرخت الشيطانة فى غضب، وانطلقت تجرى والدم ينبثق صاخبا من جروحها.. حتى التقت بأخيها الصغير كارا، وعندما عرف كارا الأمر اقسم لينتقمن لها، وأرسل أربعة عشر تنينا ضخما ليقتلوا الأمراء الثلاثة.

غير أن الشيطان الصغير قد أخطأ ما يتمتع به راما من قوة وهبتها له الآلهة، فان التنانين لم تكد تهاجم مقر راما ورفيقيه، حتى نهض هو فخنقها جميعها بيديه بغير سلاح.

وهنا جن جنون كارا. وأعلنها فى الغابة حربا شعواء على راما ورفيقيه.

خرج كارا على رأس أربعمائة ألف تنين.. يثير كل منها رعب عالم بأسره.

ولمح راما طوابير الجيش الزاحف. فأمر زوجته وأخاه بالاختفاء ثم لبس درعه، واستل سيفه، وأخرج رمحه.. ووقف وحده ينتظر التنانين.

وكانت التنانين تزحف كأمواج البحر، وتحتك حراشيفها فتخرج أصواتا رهيبة كالرعد.وملأ الرعب قلوب كل من فى الغابة الا راما الذى وقف صامدا تطل النبال من منطقته. وظل ساكنا فى وقفته حتى ازدادت صفوف الجيش الزاحف اقترابا منه.وهنا مد راما يده الى نباله وسهامه وراح يرسلها نارية عنيفة على التنانين التى ملأها الرعب والفزع. وبدأت تتراجع وتتلوى تلتمس النجاة. غير ان سهام راما كانت تلاحق الهاربين وراحت ارض الغابة ترتوى بالدماء.. والتنانين تتساقط واحدا فى أثر آخر، حتى لم يعد هناك سوى كارا وحده.. وليس حوله أحد قط.

واقترب كارا من راما، ونشبت معركة عنيفة مهولة.راحت شظايا النبال وقطع الأخشاب تتطاير خلالها لتملأ جو الغابة. ثم فجأة، رفع راما قوسه وهزه كزلزال، ثم أطلق سهمه مريشا سريعا الى قلب الشيطان.

غير ان المعركة لم تكن لتنتهى عند هذا الحد..

فقد تلقى رافانا ملك الشياطين انباء مصرع أخيه وجيوشه فجن جنونه.. ونهض من فوق عرشه وهو يقسم ليقتلن راما ويمثلن به.

ونهض رافانا يستعد لمعركة رهيبة قاسية مع راما وصاحبيه. غير أنه لم يكد ينهض حتى انحنى عليه أخوه (ماريشى) يحذره من قوة راما، ويكشف له سر الذخيرة الفتاكة التى منحها له الناسك، ويقص عليه قصة الآلهة التى اختارته ليقضى على الجن والشياطين ويشتتهم أجمعين.

وبدا الأمر لملك الشياطين أكثر صعوبة مما كان يتصور. وانحط على عرشه ساخطا يفكر كيف يستطيع أن يأخذ بثأر أخيه.

ان له لعشرين ذراعا يستطيع أن يحمل فى كل منها سلاحا جبارا.. وان له لعشرة رءوس يستطيع كل منها أن يخترع ألف وسيلة لكسب النصر، ولكنه مع

هذا أحس بالجبن.. فقد أقنعه أخوه (ماريشى) أن النصر لن يكون حليفه إذا دارت المعركة بينه وبين (راما) وجها لوجه.

واذن فليبحث عن سبيل آخر.. غير القتال!

وراح كل رأس من الرءوس العشرة يبحث الأمر.

وفجأة قفز رافانا فى فرح كبير.. فقد خطرت له بعد طول التفكير فكرة خبيثة رائعة.. فقتل (راما) لن يذل كبرياءه وأنفته أو ينال منه، ولكن الذى يذله وينغص عيشه هو أن يفقد أعز شخص لديه.

وهكذا قرر رافانا أن يرسل أخاه ماريشى.. ليخطف سيتا.. زوجة راما الحنون.

فى ذلك الوقت كان الأمراء الثلاثة يجلسون تحت شجرة مورقة يلتمسون الظل.ويتذاكرون بلادهم وأهليهم، وفجأة لمحت سيتا منظرا أطلقت له صيحة فرح.. لقد كان هناك ظبى صغير يقفز على مدى البصر، رائع الجمال، له شعر يبرق كما يبرق الذهب.

ولمس الأمير فرحة زوجته وشغفها لمرأى الظبى، وعندما تمنت أن تملكه وتحتفظ به لأيام عودتها.. أقسم ليأتينها به.. حيا بغير جروح.

وأحس الظبى بالمطاردة فاندفع يقفز ويعدو. يظهر آنا ويختفى آنا آخر.. والأمير من ورائه لا يريد أن يفلت منه، يخترق وراءه الأشجار، ويسعى خلفه داخل الجحور، ويأبى أن يستعمل قوسه وسهامه حتى لا يصيبه أو يجرحه.

وظل الظبى يخترق الغاب والأمير وراءه.. حتى انهكه الجهد وأخذ به اليأس. وأطل خلفه فاذا هو قد ابتعد تماما عن مكان زوجه وأخيه.. وهنا فقط ملأه القلق، وأحس أن فى الأمر مكيدة دبرتها له الشياطين.. فقرر أن يعود، ولكن بعد أن يقتنص الظبى بسهامه، ويحمل جلده البراق الى سيتا الحبيبة!

وارسل (راما) سهمه المسحور فأصاب الظبى. واسرع يجرى نحوه ليحمله.

وعندما اقترب وجد شيئا آخر ما كان يتوقعه قط.. فقد كان الظبى يتلوى على الأرض، ويتحول شيئا فشيئا الى صورة أخرى بعيدة كل البعد عن صورته. وحدق (راما) جيدا الى حيث كان الظبى المحتضر.. فاذا هو (مارتشى) نفسه.. شقيق ملك الشياطين.

واحس (راما) فرحا ضخما عندما وجد أنه قتل الشيطان، غير ان هذا لم يدع فرحته تطول، فقبل أن يلفظ النفس الأخير. أرسل فى الغاب صرخة داوية قلد بها صوت راما، ليوهم بها من يسمعها بأنه هو (راما) نفسه، يطلب النجدة والغوث.

والحق لقد نجح الشيطان فيما رمى اليه. فقد ملأت الصيحة آذان سيتا ولكشمان، وخيل اليهما ان (راما يستغيث) بعد أن دهمه خطر مخيف.

ونسى لكشمان كل تحذيرات راما، وانطلق يجرى الى الجهة التى خيل اليه أن الصوت يصدر منها.. بينما جلست سيتا تنتظر، وفى قلبها هلع وذعر.

ومضت لحظات، راحت (سيتا) خلالها تلوم نفسها اذ أغرت زوجها بالسعى وراء الظبى، وبينما هى تفكر وتنتظر طرق سمعها وقع أقدام تقترب منها، فقفزت وقد ظنت القادم زوجها، غير أنها توقفت عندما وجدت أمامها ناسكا هرما يتوكأ على عصا، وقد أحنت السنون ظهره، وقوست قامته، وقربت ما بين خطواته.

وطلب منها الناسك أن تأذن له بالجلوس لحظات يستريح خلالها. وفى أدب ورفق، أذنت له سيتا، وأحضرت ماء وفاكهة، ثم راحت تنصت اليه وهو يسألها عن سبب وجودها فى ذلك المكان. وبرغم الدهشة التى ملأتها للسؤال الغريب، الا انها راحت تقص عليه كل الأمر حتى بلغت قصتها مع الظبى.

وهنا توقفت فى ذعر.. فقد اخذ الناسك العجوز يضحك ويصفق، ثم إذا بقامته تعتدل، وظهره يستقيم، واذا به ينتفض ليصير شابا قويا، له عشرون ذراعا، وعشرة رءوس.

لقد كان العملاق الواقف أمامها هو رافانا نفسه.

وانقض ملك الشياطين على (سيتا) وهو ينادى على مركبته، ودفع الأميرة الى داخلها، وانطلقت بها المركبة تخترق الجو فى طريقها الى جزيرة سرنديب حيث مقر عرشه.

ظلت المركبة تطير، والأميرة مشدوهة حائرة لا تكاد تعى. وأطلت فاذا ملك النسور يطير غير بعيد فاستغاثت به وانتبه ملك النسور الى الاستغاثة فاذا عدوه ملك الشياطين قد اختطف فتاة حملها فى عربته السحرية الطائرة وحاول النسر الضخم يتبع العربة وينقض عليها. غير أن الشيطان كان أسرع منه، فطعنه فى جنبه بخنجره طعنة قاتلة سقط النسر على اثرها من ذلك العلو الشاهق نحو الأرض.. وقد غرق فى بحر من الدم.

واستمرت العربة تطير، حتى اجتازت غابة وانداك، ثم حطت قليلا على جبل تعيش عليه مخلوقات تشبه القرود. وعندما استأنفت الطيران، كانت الأميرة قد عمدت الى إلقاء وشاحها وعقدها ليسقطا على سفح الجبل بين أيدى القرود. ولم ينتبه ملك الجن الى سقوط الوشاح والعقد على حين انه يسرع الى جزيرته.. أما هى، فقد ملأها الأمل ان يعثر راما عليهما اذا كان قد نجا، وتدله القرود على المكان الذى اتجهت اليه.

بينما كان كل ذلك يحدث.. كان (راما) قد انطلق فى طريقه عائدا الى الوادى بعد ان انتصر على الشيطان مارتشى. وبينما هو فى طريقه اذ التقى بأخيه لكشمان الذى كان قد انطلق فى نجدته. وصرخ (راما) اذ وجدأخاه وحده، وراح يؤنبه اذ لم يستمع الى تحذيره وتوصيته بألا يترك (سيتا) وحدها.. فقد أدرك ان المؤامرة قد نجحت فى ابعادهما عنها، لينفرد بها (رافانا) ويخطفها. وأسرع الأخوان الى حيث تركا الأميرة، فاذا المكان خال، وآثار المعركة بادية.. ولا شىء هناك سوى السكون!

لم يستطع (راما) احتمال الصدمة، فسقط غائبا عن الوعى. وعندما انتبه

الى نفسه راح يبكى ويصرخ وأخوه يحاول التخفيف عنه بغير جدوى. وأحس لكشمان بخطورة الأمر اذا ما طال انتظارهما فى ذلك المكان اذ سيفقدان فرصة البحث ومتابعة أثر ملك الجن. فراح يدعو أخاه الى مغالبة اليأس، والاسراع الى الجنوب حيث تقع مملكة (رافانا) التى يتحدث عنها الجميع.

أخذ الأميران طريقهما الى الجنوب. وبينما هما يسيران اذ بهما يبصران شيئا ضخما يتمدد على الأرض ومن حوله بركة واسعة من الدم. واقترب الأخوان يتأملان، فاذا به ملك النسور يحتضر والدم لا يزال يسيل من جنبه ساخنا حارا. واقتربا منه يسألانه سر ذلك الجرح فقص عليهما القصة. وأشار الى الطريق الذى سلكه ملك الشياطين.

وقبل أن يستأنف الأميران السير، شقا مدفنا للنسر الذى فقد حياته وهو يدافع عن فتاتهما.. ثم امعنا فى السير الى حيث اشار لهما. وبلغا آخر الأمر جبلا ضخما وقفا لدى سفحه يفكران فى وسيلة لارتقائه، وبينما الحيرة تأخذ بهما اذ بقرد كبير يخرج عليهما من احدى مغارات الجبل ويسألهما عن سر وجودهما فى ذلك المكان... قال له راما:

- ومن تكون أنت.. وما هو اسمك؟

قال له القرد:

- انا (هانومان) سفير الملك سجريفا. الحاكم الحقيقى لهذا الجبل. فما الذى تبغيان من حضوركما الى هذا المكان؟

وقص عليه راما قصته. وهز هانومان رأسه وهو يقول:

- لقد رأيت بنفسى مركبة رافانا وهو يطير بها نحو الجنوب. لقد كانت الأميرة الجميلة جالسة فى أعياء بداخلها. وعندما مرت بالجبل أسقطت عامدة وشاحها وعقدها.. ربما لتدل الباحثين عنها الى المكان الذى اليه تطير.

وأخذ (هانومان) بيد راما، وانطلق به الى ملكه سجريفا لعله يمد له يد

العون. وبينما هم فى الطريق قص القرد على راما كيف أن (سجريفا) يعيش الآن مغلوبا على أمره، وحوله قليل من الاتباع، بعد أن اغتصب أخوه عرشه وطرده من قمة الجبل، ووعد (راما) القرد أن يساعد سجريفا لاستعادة عرشه بعزيمته الماضية وسهامه القاضية اذا هو وعد بمساعدته فى الوصول الى زوجته.

وكان هذا هو ما حدث بالفعل. فقد اتفق سجريفا مع راما على أن يتبادلا المساعدة. وحمل راما قوسه وسهامه ونباله. فشن بها حربا شعواء على ملك الجبل الذى اغتصب عرش أخيه. وبعد صراع عنيف استطاع (راما) الفوز بالنصر.. فهزم الغاصبين.. واعاد سجريفا الى عرش الجبل.

ومن أجل أن يرد سجريفا الجميل لحليفه، وجه أربعة من جيوشه التى تضم آلافا من القردة العملاقة الهائلة، الى جهات العالم الأربع، وأمرها أن تسير فى الأرض باحثة عن المكان الذى نزل فيه رافانا والأميرة المخطوفة.

وكان على (راما) و(لكشمان) أن ينتظرا فى مملكة القرود عودة الجيوش الأربعة. وانقضت أيام طويلة كأنها السنون، عادت بعدها ثلاثة جيوش بغير نتيجة. ولم يبق غائبا سوى الجيش الذى كان قد توجه الى الجنوب.. وعلى رأسه هانومان سفير الملك.. والذى أخذ معه خاتم راما.

والحق، أن جيش الجنوب ظل يلقى من الأهوال والمخاطر ما لم يتصوره أحد قط. ولقد بلغ اخلاص هانومان لصديقه راما حدا جعله لا يهتم أبدا بما يقاسيه هو وجيشه فى سبيل بلوغ مقر ملك الشياطين وظلت الأيام تمر وهو يقود جيشه حتى بلغ آخر الأمر شاطئ المحيط. وأطل فاذا هناك على مسافة بعيدة جزيرة مسحورة يحيط بها ضباب كثيف..

وأدرك هانومان أن هذه الجزيرة هى المكان الذى يسعى اليه. وبرغم طول المسافة التى تمتد بين شاطئ المحيط والجزيرة المسحورة، فقد قرر هانومان الوفى أن يقفز قفزة جبارة هائلة.. إما أن تصل به الى الجزيرة.. واما أن تورده الهلاك..!

وكان (هانومان) يحب المخاطرة، فترك جيشه حيث هو، واعتلى ذروة صخرة ناتئة من صخور الشاطئ ثم قفز قفزة هائلة فى الهواء..

كانت القفزة رائعة حتى لقد كاد ظهر هانومان يصطدم بالسماء واذا به قد عبر المحيط الواسع، وحطت قدماه على شاطئ جزيرة سرنديب..!

وعندما أحس هانومان أنه قد نجح فى الوصول الى الجزيرة. استخدم سحره ليتحول الى قرد صغير لا يلفت اليه الأنظار. وراح يتنقل بين بيوت الشياطين باحثا عن قصر (رافانا) حتى بلغه. وعندما اجتاز أسواره شهد سرادقا صغيرا يمتد فى حديقة القصر الواسعة. واقترب من السرادق، ومد بصره يتلصص فى خفية، واذا به يقف مبهورا يمتلئ عجبا.. فقد كانت سيتا هناك.. بارعة الجمال كملاك، ترقد على فراش مريضة منهوكة.. ومن حولها ماردات من العفاريت يحرسنها.. ورافانا واقف على رأسها يهددها ويتوعدها ويقول لها ان صبره قد نفد لطول ما أمعنت فى رفض الزواج منه، والتصميم على الوفاء لزوجها راما..! وعندما عجز رافانا عن استرضاء سيتا كما كان يعجز كل يوم غادر السرادق وقد أقسم أن لن ينتهى ذلك اليوم حتى يكون قد أرغم انفها وأذل كبرياءها. وما كاد رافانا يغادر السرادق حتى اقترب القرد الصغير من الفراش، ثم همس باسم راما..

وانتفضت الأميرة وتلفتت حولها، فاذا قرد صغير ولا شيء آخر هناك، وظنت أنها كانت تحلم فاغمضت عينيها. ولكن القرد عاد يذكر اسم راما، ففتحت عينيها من جديد، فاذا بالقرد يخرج خاتما ذهبيا ما كادت تراه حتى أيقنت انه خاتم زوجها الحبيب! وقبل أن تصرخ من الفرح كان هانومان قد أشار اليها فى سرعة خفية يحذرها من الصراخ..

وأشار القرد من طرف خفى الى (سيتا) أن تنتظر وتطمئن، وفهمت هى اشاراته، وعرفت أنها النجاة..

وغادر هانومان المكان وقد قرر الرجوع سريعا الى بلاده ليعود بجيش ضخم

ومعه (راما) لينزل النقمة بملك الشياطين. ولكنه لم يكد يبتعد قليلا حتى ملأت راسه فكرة جديدة، هى أن ينزل نقمته هو أيضا بمملكة الشياطين ويحطم كبرياء ملكها ويذله.

وفى لمح البصر رفع (هانومان) عن نفسه السحر فعاد قردا ماردا ضخما، راح يحطم الأشجار ويقتلع الصخور ويقذف بها نوافذ القصر. ولم يكد يفعل حتى احاطت به الشياطين من كل جانب. وأطل حوله فاذا هو وحيد وهم كثيرون. وأدرك بعد فوات الأوان مقدار خطئه وتهوره وعرف أنه واقع لا محالة بين أيديهم. وهنا خطرت له فكرة. فاقتلع من بهو القصر عمودا كبيرا من الرخام قفز به وسط جموع الشياطين ففرق شملهم.. ثم قفز فى الهواء قفزة هائلة كان واثقا أنها تبلغ شاطئ المحيط.. الا أن سهما ارسله أحد شياطين الجن أصابه. وبرغم أن الاصابة كانت خفيفة. الا انها كانت كافية لأن تهوى به قبل أن يبلغ الشاطئ. فجذبته الشياطين، وأوثقوه بالحبال، وقادوه الى (رافانا) الذى كان ثائرا يرغى ويزيد ويهتز كزلزال..!

وأصدر رافانا أمره فى الحال باحراق هانومان وأحاط الشياطين جسم القرد بلفائف القطن، ثم أشعلوا النار فى القطن الذى أحاط بذيله. واشتعلت النار، وبدأت تتسرب بطيئة الى جسد القرد.

وشهدت السماء ذلك العذاب الذى نزل بالمنقذ.. فاشفقت عليه، وتجمعت السحب وأمطرت مطرا غزيرا كان فيه الكفاية لإخماد اللهب، وتيسير سبل الهرب للقرد بعد أن أحرقت النار وثاقه ففكت قيده.

وسكت المطر فجأة.. وأطل هانومان فاذا طرف ذيله لا يزال يشتعل.. به بعض النار..

وخطرت له فكرة جديدة.. لقد كانت الأميرة تجلس فى سرادق بعيد عن القصر، فلا خوف عليها اذا هو أحرق القصر نفسه...

ونهض لفوره وراح يقفز هنا وهناك، يدور بذيله فى كل اتجاه، ويشعل النار

فى كل شئ حوله.وأمسكت النيران بكل جزء فى القصر.. ولم تمض لحظات حتى كان قد تحول الى شعلة كبيرة هائلة.

وفى نشوة عارمة قفز هانومان قفزة هائلة بلغ بها شاطئ المحيط.. وأسرع فى مثل لمح البرق حتى بلغ الجبل، وراح يقص الأمر على (راما) الذى أسرع الى الملك (سجريفا) يطلب منه أن يمده بباقى الجيوش.

وعلى رأس أضخم جيش شهدته الأرض، سار راما ولكشمان وهانومان حتى بلغوا شاطئ المحيط، ووقفوا فى مواجهة جزيرة سرنديب.

وأطل الشياطين من بعيد وملأهم الرعب. لقد استطاع قرد واحد فقط من هذا الجيش اقتحام جزيرتهم وانزال الخراب بقصر الملك.. فكيف لو نزلت كل هذه الآلاف من القردة بالجزيرة التى ملأها هانومان وحده من قبل رعبا..؟!

وكان (رافانا) على يقين من الهزيمة بعد أن تحالف ضده راما وهانومان. فجمع مستشاريه وراحوا يبحثون الأمر من كل الوجوه.

واختلف الشياطين ونشبت بينهم ثورة. ونهض(فبهشان) شقيق رافانا الأصغر يطالب بتنحية أخيه وتسليم (سيتا) الى زوجها ليحل السلام محل الحرب. غير أن (رافانا) ثار عليه وكاد يقتله.. فهرب هذا من أمامه، وقد أقسم أن ينتقم...

وقفز الشيطان الصغير فصار على شاطئ الأرض. وانطلق الى (راما) يقص عليه قصته ويعرض عليه خدماته.وظنه (راما) أول الأمر جاسوسا، لولا أنه أشار عليه باقامة قنطرة من الأشجار والصخور تعبر عليها الجيوش البحر.

وفكر (راما) فيما أشار به الشيطان الصغير. واقتنع بصواب الفكرة ونفذها...

ولم تكد تمضى خمسة أيام حتى كانت ملايين القردة قد جمعت كل ما أمكنها جمعه من جذوع الشجر وقطع الصخر. وأقيمت القنطرة وعبرتها الجيوش فى جنح الظلام..

ونشبت معركة هائلة مروعة بين جيوش راما وجيوش رافانا . ومن كل من الجانبين سقط الآلاف قتلى وجرحى. سوى أن قتلى الشياطين كانوا أضعاف ما أصاب جيوش (راما) الذى استعمل سهامه المسحورة، فراحت تقصف بالشياطين قصفا مخيفا.

واستمرت الحرب طاحنة لعدة أيام كانت لابد أن تنتهى بهزيمة جيوش الشياطين. وعندما وجد (رافانا) انها الهزيمة، امتلأ غيظا وحنقا، وانتفض مقسما ان يقتل (راما) ولو كلفه ذلك حياته.

ونشبت مبارزة هائلة بالنبال بين راما ورافانا.

وكان ملك الشياطين عنيفا فى مبارزته حتى لقد بدأ راما ينهار. وكاد يستسلم.. لولا أن جمع قوته كلها قبل أن يسقط على الأرض فى رمية واحدة بسهم مسحور من قوسه.. وأخذ السهم طريقه سريعا الى قلب رافانا فأرداه..

وردت نشوة النصر إلى راما قوته.. وانطلق يجرى نحو السرادق الذى تقيم فيه زوجته يقوده هانومان الوفى.. ولم يحسن كل من الزوجين كم من الوقت مر بهما وهما متعانقان.. إلا أنهما عندما انتبها.. كان الهدوء قد ساد المكان.. وكان فهبشان الشيطان الحليف واقفا على رأس قومه الساجدين يطلبون الصفح والغفران..!

وانتصب «راما» قائما من جديد.. وأصدر أوامره بالعفو عمن بقى من الشيطاين، على أن يحكمهم فهبشان من الهبوط إلى الأرض بعد ذلك..!

وعندما أخذ راما وسيتا ولكشمان طريق العودة إلى الوطن.. كانت الأنباء قد سبقتهم إلى هناك على لسان هانومان.. فخرجت أيوذا كلها وعلى رأسها نائب الملك باراتا الذى رفض أن يجلس على العرش طوال أربع عشرة سنة.. وظل محتفظا به ليضع التاج بعد ذلك بنفسه على رأس أخيه راما.. وزوجته سيتا الحسناء..!

# حيـــاة بـــوذا

فى اليوم الذى ولد فيه الأمير (سيدهارتا)، ذلك الأمير الذى أعدته الأقدار ليصبح فى يوم من الأيام (بوذا)، احتفلت الطبيعة أيما احتفال بميلاد ذلك الذى جاء ينقذ الإنسانية، ويبصرها بطريق الفضائل ومكارم الأخلاق.

فقد تألقت السماء بالأنوار البهية، وترددت فى أنحائها الأهازيج[١] الشجية والأناشيد الجميلة، وازدهرت الأشجار، ومالت أغصانها بالثمار اليانعة[٢]، وأقبلت العصافير ترفرف من حول الناس، وتلتقط الحب من أيديهم، وانتفت أوجاع المرضى، واسترد العميان نور البصر، واسترجع الصم نعمة السمع، وفتحت أبواب السجون بطريقة عجيبة تكتنفها[٣] الأسرار، وانقطع الأشرار عن التفكير فى الإثم والجرائم.

وكان (سودانا) والد (سيدهارتا) المنحدر من أسرة (ساكياس) يحكم مدينة (كابيلافاستو) الجميلة الواقعة فى إقليم من أقاليم الهند الشمالية، على مقربة من أعلى جبل فى العالم وهو جبل (هملايا).

وكان ذلك الملك طيب القلب، كريم الخلق، محبا للعدل.

وكانت (ميا) والدة (بوذا) سيدة بارعة الجمال، كريمة السريرة، وكانوا يشبهونها بزوجة الإله (فشنو).

وقيل إن شعرها كان فى لون النحلة السوداء، وإن حلاوة عينيها كانت تشبه صفاء زهرة اللوتس الزرقاء، أما حاجباها فما عرفا قط التقطيب ولا العبوس، كما أن شفتيها ما افترتا[٤] إلا عن حلو الكلام وجميله.

(١) الأهازيج: الأناشيد.

(٢) الثمار اليانعة: الثمار الناضجة.

(٣) تكتنفها: تحيط بها. (٤) افترت الشفتان: انفرجتا.

ولقد طغى الفرح طغيانا شديدا على الملكة (ميا) حين ولدت طفلها العتيد، وذكرت المصير العظيم الذى توقعه له نبى قديم وبشر به، فلم تتحمل وطأة الفرح والبشرى، فغادرت هذه الأرض، وارتفعت إلى السماء وعمر طفلها سبعة أيام.

فتولت خالة الطفل تربيته وتنشئته، وكانت تماثل شقيقتها فى جمال الخَلْق وكرم الخُلُق، وكان اسمها (ماها براجا باتى).

وأقبل اليوم الذى توجه فيه الأمير الشاب لأول مرة إلى معبد الآلهة، فما كاد يدخل القاعة المرفوعة فيها تماثيل الآلهة، حتى تألقت هذه بالأنوار، وخرت ساجدة له، وفى طليعتها (براهما) و(فشنو) و(شيفا).

وكان الأمير الشاب يميل بطبعه إلى الهدوء والتفكير، وكانت فرحته الكبرى أن يجلس إلى ظل شجرة من الأشجار، منعزلا وحيدا، ويستسلم إلى التأمل العميق.

ولقد شغلت حاله هذه بال أبيه، فكان أخشى ما يخشاه على ولده، أن يصل بتفكيره وتأمله إلى معرفة أدواء[1] الحياة، من مرض وشيخوخة وموت، فتحمله على أن يعيش عيش المتقشف الزاهد، وتصرفه عن التأهب للاضطلاع[2] بمهمة الملك فى مستقبل الأيام.

فدفعت تلك الخشية بالملك إلى أن يجنب ابنه كل مظهر أليم من مظاهر الحياة، فأصدر أمره إلى رجالات حاشيته بأن يراعوا ذلك وينفذوه تنفيذا دقيقا.

ثم جهد كل الجهد فى أن يحيط ابنه بمباهج الحياة ومسراتها، ويوفر له أسباب اللهو والمرح والحبور[3]، فشيد له ثلاثة قصور فخمة: الأول لفصل الصيف، والثانى لفصل الشتاء، والثالث لفصل الأمطار. وقرر بعد ذلك أن يزوج ابنه ويحتفل بزواجه احتفالا عظيما.

---

(١) أدواء: جمع داء وهو المرض.

(٢) اضطلع بالأمر: حمله وقام به.

(٣) الحبور: السرور.

وفكر فى وسيلة يستطيع بها أن يعثر على العروس الصالحة الجميلة، التى ستكون الملكة المقبلة، فأمر بإعداد كمية كبيرة من الحلى والجواهر، وأذاع فى مملكته أن الأمير (سيدهارتا) ولى العهد، سيوزع تلك الحلى على العذارى النبيلات فى المملكة، وضرب لذلك يوما معينا توالت فيه الفتيات واحدة بعد أخرى، ومررن من أمام الأمير خاشعات الأبصار، أو مائلات برؤوسهن عنه حياء وخفرا[1]، حتى إن بعضهن قد استولى عليهن الاضطراب، فسقط من أيديهن النصيب الذى ظفرن به من الجواهر.

وأقبلت فى آخر الصف فتاة بارعة الجمال، بادية الرشاقة، تدعى (جوبا) فاقتربت من الأمير بلا برهبة ولا اضطراب، وحدقت فيه مبتسمة ابتسامة ساحرة، وكانت الحلى والجواهر قد وزعت كلها، ولم يبق منها شىء، فتذكر (سيدهارتا) أن فى إصبعه خاتما ثمينا جدا، فقدمه إلى الفتاة، وتبادل وإياها النظرات، فكانت تلك الهدية الخاصة دليلا على أن الأمير قد اختار هذه العذراء عروسا له.

على أن والد العذراء (جوبا) تردد فى الموافقة على أن تكون ابنته عروس الأمير، فقد كان الرجل ينحدر من أسرة (ساكياس)، وكان من تقاليد هذه الأسرة العريقة، أن لا تزوج بناتها إلا للرجال الأشداء الشجعان العلماء، فهل كان الأمير (سيدهارتا) متحليا بهذه الصفات، وهو الذى ظهر حتى ذلك اليوم فى مظهر الشاب البليد الخامل[2]؟

كان لابد إذن من إقامة مباراة عامة، يشترك فيها الأمير، ويبرز فيها تفوقه فى المعارف والفروسية.

واستطاع الأمير أن يخرج من تلك المباراة متفوقا فى الكتابة وفى علم الأرقام، ثم برز الأمير فى القفز والعدو[3] والمصارعة والمبارزة بالسيف

(١) الخفر: الخجل والحياء.

(٢) الخامل: الضعيف المغمور.

(٣) العدو: الجرى والركض.

والفروسية، بل كان الوحيد الذى استطاع أن يشد قوسا مقدسة ضخمة، هى من تراث[1] الآباء والأجداد.

فتزوج الأمير العذراء (جوبا) وسعد بأن يرزق منها بولد سماه (راهولا).

وقضى الأمير حياته غارقا فى ملاهى القصر ومباهجه، فكان يقضى الساعات الطوال مستمعا لأنغام الموسيقى، تعزفها زوجته الأميرة ووصيفاتها، ممتعا عينيه برؤية الراقصات الجميلات، يرقصن على نغمات دفوف[2] من الذهب.

وسر الملك أن يرى ابنه مشغوفا باللهو والمرح، والموسيقى تفيض من كل جانب من جوانب البلاط، واعتقد أن ليس هناك سبب من الأسباب سوف يحمل ابنه على مغادرة قصوره والحدائق الأنيقة التى تحيط بها.

على أن الأمير (سيدهارتا) كان يتطلع إلى معرفة جوانب أخرى من هذا العالم الواسع، فقرر مرة أن يخرج من مسكنه الفخم العظيم.

فلما علم الملك برغبة ابنه، أمر أن تزين المدينة بأجمل الزينات، وأن يتوارى فيها كل من يشكو داء أو ألما، وأن يخفى عن نظر الأمير كل مشهد قبيح أو منظر مؤلم.

ولكن حدث أن لم تنفذ أوامر الملك بحذافيرها[3] فها هو ذا شيخ طاعن فى السن، مجعد الوجه، متقطع الأنفاس، مرتجف الأوصال[4]، محدودب الظهر، يقترب من الأمير متوكئا على عصاه.

رآه الأمير فسأل حاجبه عنه فقال له: إن هذا الرجل ليس مسخا[5] من

---

(١) التراث: ما يخلفه الميت لورثته.

(٢) دفوف: جمع دف وهو آلة من آلات الطرب.

(٣) الحذافير: جمع حذفار وهو الجانب أى لم تنفذ أوامر الملك بأسرها وبجوانبها كلها.

(٤) الأوصال: الأعضاء.

(٥) المسخ: المشوه الخلق.

المسوخ، بل هو مخلوق كباقى البشر، غير أنه فريسة الشيخوخة، فكل امرئ إذا بلغ من العمر عتيا سوف يلقى هذا المصير، وسوف يكون على مثل هذا الضعف والتخاذل.

ورجع الأمير إلى قصره مضطرب الفؤاد، بعد إذ علم أن الشباب مع ما يصحبه من لهو ومرح ومتعة، سوف يزول ويضمحل(1)، وأن الشيخوخة داء لا مفر منه ولا مهرب.

وحاول الأمير أن يقف على تجربة ثانية من تجارب الحياة، فقابل فى هذه المرة رجلا شاحب اللون، هزيلا، ضيق التنفس، قد هجره كل عارفيه، فعرف منه كيف يكون المرض، وكيف ينشب أظفاره فى بنى البشر، فقال الأمير فى نفسه: (ماذا تنفع الصحة، وماذا تفيد المباهج التى توفرها الصحة للإنسان، إذا كان المرض سيعقب الصحة فى يوم من الأيام؟)

وخرج الأمير فى مرة ثالثة من قصره، فرأى جثة يحملها أربعة رجال، ويسيرون بها إلى المحرقة، ووراءهم جماعة من الناس يتبعونهم وهم يبكون وينتحبون، فكشف الأمير بذلك عن وجود الموت، وقال فى نفسه: (ماذا تنفع الحياة إذا كان مقضيا على كل مخلوق أن يموت؟)

وغادر الأمير قصره فى مرة رابعة، وأخذ يجول فى الحقول، فلقى ناسكا فقيرا يتسول، ولكنه رآه ضاحك الأسارير(2)، مرتسمة على وجهه أمارات(3) السكون والاطمئنان، فدهش الأمير وساءل نفسه: كيف يمكن أن يعيش الإنسان هانئا سعيدا فى عالم تتهدده الشيخوخة والمرض والموت؟

فصمم بعد ذلك على أن يهجر قصره وأهله، ويعيش عيش النساك الزهاد.

فلما هبط المساء وجن الليل ألقى نظرة طويلة إلى البهو الذى تنام فيه

---

(1) يضمحل: يزول ويتلاشى.

(2) الأسارير: جمع أسرار جمع سر وهو الخط فى الكف أو الجبهة. والأسارير أيضا محاسن الوجه.

(3) أمارات: علامات.

وصيفات (جوبا) وتوابعها، فرأى شعورهن مسترسلة على أكتافهن، وسمع بعضهن يغطْطن فى النوم، وأخريات يتكلمن وهن نائمات، وفريقا ثالثا منهن ترتجف أسنانهن فيسمع لها صريراً[1] شنيعاً، فحملته هؤلاء النسوة الراقدات كأنهن شبه أموات، على أن يفكر بالمقابر وبشاعتها.

واتجه (سيدهارتا) فى المرة الأخيرة إلى زوجته الحسناء الجميلة، يتأملها ويطيل النظر إليها، فرآها نائمة وقد ضمت ذراعيها على طفلهما الصغير، فعدل عن تقبيل ابنه مخافة أن يوقظ أمه.

فأزاح ستارة مثقلة بالجواهر والأحجار الكريمة، وخرج من القصر تحت جنح ليلة جميلة مرصعة سماؤها بنجوم لا عدد لها فركب جواده

الأصيل، وسار يتبعه (شانداكا) حاجبه الأمين.

أترى الآلهة سوف تعين الأمير وتشد أزره[2]؟ إن الجواب عن هذا السؤال سنعرفه بعد قليل..

على أنه ما من خادم ولا أحد من سكان المدينة، قد استيقظ فى تلك الليلة، كما أن جواد الأمير كان يضرب بحوافره الأرض فلا يسمع لها صوت من الأصوات. أما أبواب المدينة فقد فتحت من نفسها دون ما حركة ولا ضوضاء.

وسرى[3] الأمير طول الليل، فوصل عند مطلع الفجر إلى غابة صغيرة، يعيش فيها بعض النساك، فرأى قطيعا من الغزلان نائما فيها نوما هادئاً، وشاهد أسرابا[4] من العصافير تطير فوق أشجارها هادئة مطمئنة.

فقر (سيدهارتا) ان ينزل هذه الغابة، فودع رفيقيه، واستأذنهما فى الانصراف، ولم يكن رفيقاه إلا تابعه الأمين - فطلب منه أن يعزى والده وأهله

(١) الصرير: صوت الأسنان.

(٢) شد أزره: ساعده وأعانه.

(٣) سرى: مشى فى الليل. وسار: مشى فى النهار.

(٤) الأسراب: جمع سرب، الزمرة والجماعة.

عن فراقه - وإلا جواده، فأخذ يمسح له بيده جوانبه، فرد الجواد على وداعه بأن انحنى يلحس له قدميه.

وأرسل الأمير مع تابعه رسالة إلى أهله يخبرهم فيها أنه سيعود إليهم، ولكن فى يوم بعيد جدا، فقد قال لهم فى تلك الرسالة:

- (سأعود إليكم متى انتهيت من غزو العالم، لا راكبا مركبة ومتدججا[1] بالسلاح، بل مشيا على القدام، وسلاحى الحلم واللين والأناة).

- وشاء (سيدهارتا) ان يقطع كل صلة له بماضيه، فاستل سيفه وجز به شعره، ورماه فى الفضاء فتلقفته الآلهة.

- ثم لقى صيادا خشن الملابس، فطلب منه أن يبادله ثوبه الخشن بملابسه الفاخرة الثمينة التى لا تصلح للناسك الزاهد، إذا ما صلحت للأمير، فتم له ما أراد.

- وهكذا أصبح الأمير (سيدهارتا) الناسك (جوتاما).

- التحق (جوتاما) أولا بدير من أديرة النساك، وانخرط[2] فى سلكهم، وشاطرهم عيش التقشف والزهد، فكانوا لا يبلغون[3] من الطعام إلا بأقل من الكفاف[4]، وكانوا يمشون حفاة الأقدام فتتمزق أرجلهم وركبهم بمسنون الحصى والحجارة فى الطرق والدروب.

- حذا (جوتاما) حذوهم، وأكبر فيهم خلة[5] الزهد والترفع عن أباطيل العالم، ولكنه مع هذا اضطر إلى مفارقتهم معتقدا أنهم لم يجدوا طريق الخلاص، على ما يأخذون به أنفسهم من تزمت وصرامة، وانصرافا عن لذائذ الدنيا ومباهجها.

---

(١) تدجج: لبس سلاحه وكأنه تغطى به.

(٢) انخرط فى سلكهم: انتظم فى جماعتهم.

(٣) تبلغ بالشىء: اكتفى وقنع به.

(٤) الكفاف من الرزق: ما كفى عن الناس وأغنى.

(٥) الخلة: الخصلة والسجية.

- فانتظم (جوتاما) فى دير آخر، غير أنه غادره بعد قليل مدفوعا إلى ذلك بنفس السبب الذى أقصاه عن الدير الأول، وهو أن النساك الذين يعيشون فيه كانوا بعيدين كل البعد عن الحياة التى تقوم على قهر شهوات النفس، والتفرغ للصلاة والعبادة.

- وانطلق ناسكنا يجوب الأقطار، ويجتاز البقاع، حتى وقف يوما بعد رحلة طويلة عند ضفة جدول جميل رقراق، فقضى فيه نحو ست سنوات، لا يحتمى من الرياح ولا من أشعة الشمس، ولا يدرأ عنه سيل الأمطار، بل كان يستسلم إلى البعوض والهوام والحيات، تلسعه ما شاءت أن تلسعه، فلا يطردها عنه ولا يتجنبها.

- وكان يتغذى بأقل من القليل، ويكتفى فى زاده بثمرة واحدة من الثمار، وببعض حبات من الرز، حتى نحل جسمه[١] وهزل[٢]، وأصبح أشبه بهيكل من عظام يتنقل ويمشى على الأرض.

- وعرفه النساك، فحاولوا أن يقتدوا به ويماثلوه نسكا وتقشفا، فانضموا إليه وسودوه[٣] عليهم، وعاشوا عيشه الشظف[٤] الزاهد.

- ولقد أدرك (جوتاما) بعد ذلك أن الجهد الذى يبذله فى هذا السبيل، يضمحل عبثا وسدى، فإن ما يأخذ به نفسه من تقشف وإماتة[٥] يضعف جسمه ويبث الخور فى قواه، ويجعل فكره عاجزا عن أن يقوده إلى طريق السعادة الحقيقية.

- فلما راجع رأيه فى هذا الشأن، واقتنع أنه مخطىء فيه، قبل قصعة من الأرز المطبوخ باللبن، قدمته له إحدى القرويات إشفاقا منها عليه، ورغبة منها

(١) نحل جسمه: سقم ودق من مرض أو تعب.

(٢) هزل: صار مهزولا أى ضعيفا نحيلا.

(٣) سوده: جعله سيدا.

(٤) الشظف من العيش: الضيق.

(٥) الإماتة: قهر النفس.

فى أن يتقوى ويتغلب على هزاله المريع، فأخذ يأكل ذلك الطعام على النحو الذى يأكله سواه من الناس، ثم مضى يستحم فى مياه الجدول، ويغسل فيه قطعة من كفن عثر عليها، وصنع منها ثوبا يرتديه.

- ودهش النساك الخمسة عند ما رأوا زعيمهم قد كف عن حياة التقشف والتنسك، بل سخطوا أشد السخط فابتعدوا عنه وتوجهوا إلى المدينة التى تعد حتى اليوم المركز الأول للدين فى الهند، ألا وهى مدينة (بنارس)

- واستعاد (جوتاما) قواه بعد إذ أصبح يعيش عيشا طبيعيا كباقى البشر، وقرر أن يذهب إلى الشجرة التى سوف يظل جالسا فى ظلها حتى يعثر على الحقائق التى ينشدها[1].

- وكانت هذه الشجرة شجرة تين عظيمة ضخمة، فوضع (جوتاما) تحت أغصانها حزمة من العشب كان قد جزه منذ قليل، فجلس متربعا فوقها، وخاطب نفسه قائلا:

- (فليجف جسدى، وليتمزق جلدى ولحمى، ولتتفتت عظامى، إذا أنا برحت[2] هذا قبل أن أكشف حقيقة الحياة!)

وبينما كان (جوتاما) مستسلما إلى التفكير والتأمل العميق، تحت ظل تلك الشجرة اضطرب (مارا) شيطان البوذية، وساوره القلق الشديد على نفوذه، إذ ما توصل هذا الناسك التقى الورع[3] إلى كشف القناع عن الحقيقة، فإن الناس عندئذ سينجون من قبضته وسلطانه الشيطانى، فصمم على أن يحاول إلهاء هذا الناسك المتنكر، وإبعاده عن تأمله وتفكيره.

فبرزت على الفور أمام الناسك فتيات (مارا) الثلاث، وكل واحدة منهن أجمل من أختيها، فلم يحفل (جوتاما) بهن، ولا أعار جمالهن الفتان الساحر أقل التفاتة.

(١) ينشدها: يطلبها.

(٢) برحت: تركت وغادرت.

(٣) الورع: التقى.

فقرر (مارا) أن يرسل إلى (جوتاما) جيشا من أبشع الأبالسة، ما بين سود وزرق وصفر وحمر، شاهرين الرماح، ومستلين السيوف والخناجر والمطارق، يحاربونه ويفتكون به فتكا ذريعا[1].

فزحف ذلك الجيش الجهنمى على (جوتاما) وعيون الجنود فيه تقذف اللهب، وأفواههم تسكب منها الدماء، ولكن لم يكد ذلك الجيش يقترب من (جوتاما) البطل الناسك الذى سوف يصبح (بوذا) حتى تحطمت السيوف والمطارق، وتثلمت[2] الخناجر، وتحولت الرماح إلى أعواد من الزهر والريحان.

فاتخذ (جوتاما) عندئذ الأرض شاهدا على جهده الموفق، فانشق الثرى، وبرزت الأرض منه نصف برزة فى شكل امرأة قد شبكت ذراعيها، فانحنت أمام البطل، وقالت له قبل أن تتوارى:

- (السلام عليك يا أنقى البشر نفسا!)

وفى ليلة من الليالى، وعلى وجه التحديد، فى الليلة الثامنة من شهر ديسمبر، وهى الليلة المقدسة عند البوذيين، تألق النور فى ذهن (جوتاما) وكان عمره إذ ذاك ستة وثلاثين عاما، فأصبح (بوذا) ومعنى هذه الكلمة (الذى يعرف) أى أنه أصبح الرجل الذى سوف ينقذ العالم، ويكشف له عن الحقيقة.

فأية حقيقة بل أية حقائق كشف عنها فرآها رؤية العين، عندما كان مستسلما إلى التأمل والتفكير، وهو جالس فى ظل شجرة التين؟

لقد عرف أولا أن الحياة مفعمة[3] بالأوجاع: فالميلاد ألم، والمرض ألم، والشيخوخة ألم، والموت ألم، وعرف أن اتحاد المرء مع من لا يحب هو أيضا ألم، وبعده عمن يحب ألم أى ألم.

وقبل (بوذا) تلك الفكرة الغالية العزيزة على جميع البوذيين وهى فكرة

---

(١) الفتك الذريع: الفتك الفظيع.

(٢) تثلم: تكسرت حافته.

(٣) مفعمة: مملوءة.

التقمص والانتقال من حياة إلى حياة، فكل امرئ كان قد عاش قبل حياته هذه، سلسلة من حيوات سالفة، ومصيره أن يعيش كذلك بعد مماته سلسلة من حيوات مستقبلة، فكم من آلام تحمل الناس فيما مضى، وسوف يتحملون فى كل وجود يوجدون فيه! فمن موت والدة، وموت والد، إلى موت شقيق، وموت شقيقة، ومن موت زوجة أو زوج، إلى موت ولد أو ابنة، إلى فقدان المال والممتلك... فالإنسان فى هذه الأرزاء والكوارث، وفى حيواته المتتابعة المتعاقبة، قد ذرف من قطرات الدمع ما يفوق قطرات الماء فى البحر.

فما سبب الألم؟

إن سببه الأثرة[1] والأنانية والتعلق بأهداب الحياة...

وبسبب حبنا القوى للحياة، نتقمص عند الموت، ونتزيا بأزياء أخرى فى حياة جديدة.

فلو ملنا عن الاثرة[2]، واستأصلناها[3] من نفوسنا، لنجونا من الألم، ولو لم نتعلق بأى هدب من أهداب الحياة، لدخلنا (نرفانا)، فإن (نرفانا) هى لبعض الناس فردوس النعيم، وهى لبعضهم الآخر التلاشى والاضمحلال.

فإن أحسنا عملا انتقلنا من حياة حسنة إلى حياة أحسن، وهكذا دواليك حتى نقترب من (نرفانا).

والعمل الحسن الصالح يقوم على أن لا تقتل إنسانا ولا حيوانا، ويقوم أيضا على أن لا نشتهى مقتنى غيرنا ولا زوجة سوانا، وعلى أن لا نكذب ولا نسكر، وعلى أن نغفر لمن أخطأ إلينا، ونقابل إساءته بالإحسان (فإن رددنا على الحقد بالحقد، فكيف يزول الحقد؟)

يتقاضانا الواجب أن نصنع الخير لجميع الناس.

---

(١) الأثرة: حب الذات.

(٢) مال عن الشىء: تركه.

(٣) استأصل الشىء: اجتثه وانتزعه من جذوره.

فإذا مشى الناس فى هذا السبيل، سبيل الخير والفضائل، وصلوا إلى أعلى درجة من الكمال، وحق لهم أن يدخلوا رحاب[1] (نرفانا).

وبقى (بوذا) غارقا فى أفكاره وتأملاته، تحت شجرة المعرفة، ثمانية وعشرين يوما، حتى تألق نور الحقيقة فى ذهنه وفؤاده.

وفى الأسبوع الخامس، هبت عاصفة شديدة، وصفرت[2] الرياح الباردة، وانهمر المطر انهمارا عظيما، فلاح ملك من ملوك (ناجاس) يدعى (موسيلندا)، وبرز للعيان فى شكل ثعبان ضخم التف على جسد بوذا سبع مرات، وجعل من رءوسه السبعة مظلة يقى بها من الزوابع والعواصف ذلك الذى سيجمع الناس بعد ذلك على تلقيبه بالرجل الطوباوى[3].

وانتهت العاصفة بعد سبعة أيام، ففك (موسيلندا) حلقات جسمه واستحال من ذلك الثعبان الضخم إلى شاب فى مقتبل العمر، فتكتف وأخذ يعبد (بوذا) فقال له (بوذا):

– (طوبى[4] لمن يعرف الحقيقة! طوبى لمن ينتصر على الأثرة وحب الذات! طوبى لمن لا يسىء إلى الناس ولا يلحق بهم الأذى والضرر!)

– وكان فى وسع (بوذا) أن يدخل (نرفانا) على الفور، ولكنه قرر أن يبقى على الأرض لينشر فى الناس المعرفة ويطلعهم على الحقيقة التى تكشفت له.

– فساءل نفسه: لمن أكشف الحقيقة أولا؟ فتذكر فى الحال تلاميذه الخمسة الذين كانوا قد هجروه، فغذ فى السير[5] إلى مدينة (بنارس) واثقا أنه سيلقاهم فيها.

---

(١) رحاب: جمع رحبة، الأرض الواسعة.

(٢) صفرت: صوتت.

(٣) الطوباوى: صاحب الطوبى وهى الغبطة والسعادة.

(٤) طوبى لك: هنيئا لك.

(٥) غذ فى السير: أسرع.

- (بنارس)! هذه المدينة العجيبة الغريبة التى كانت ولا تزال حتى اليوم ملتقى العجائب والغرائب، بحجاجها وفقرائها، ببقراتها وقرودها المقدسة، بمقابرها الألفين وهياكلها التى لا حصر لها، بما فيها من تماثيل للآلهة تنيف[1] على خمسمائة ألف تمثال، بحماماتها المقدسة ومحارقها[2] التى تحيل جثث الأموات إلى رماد... بكل هذا وفوق هذا أصبحت هذه المدينة منقطعة النظير بين مدن العالم.

- وكان النساك الخمسة مجتمعين فى حديقة الغزلان بالمدينة، فرأوا زعيمهم القديم مقبلا إليهم، فهتفوا فى أنفسهم قائلين:

- - (ها هو ذا يعود إلينا. أجل يعود إلينا الرجل الذى نزل عن مطامحه العليا السامية، وأصبح عبدا للنهم والشراهة وسعة العيش والترف. سوف نستقبله فى أدب، ولكن لن نحيطه بالتجلة والتعظيم.)

- وتقول تعاليم البوذية إن فى القلب الخير الكريم قوة لا تقاوم، فقد بدا (بوذا) لهؤلاء النساك الخمسة قويا عظيما، فتلاشت عند قوته وعظمته رغبتهم فى مناصبته[3] العداء، فجروا جميعا يستقبلون الرجل الطوباوى، فحمل عنه واحد منهم الوعاء الذى يجمع فيه (بوذا) الصدقات، ثم تدافع البقية إلى التوفر على الترحيب به وخدمته، فهذا أخذ منه معطفه، وهذا قدم له مقعدا يستريح فيه، وذاك جاءه بماء يغسل به قدميه، وصاحوا جميعا: هاتفين

- (أهلا وسهلا بك أيها الصديق! مرحبا بك بيننا!)

غسل (بوذا) قدميه، ثم حدثهم طويلا، وشرح لهم الأسباب التى حملته على أن يسلك ذلك المسلك الذى عابوه عليه، وكان فيما قال لهم: لئن صح أن حياة العبث واللهو والمجون أمر دنى سافل، إن الحياة التى يطويها الإنسان على

(١) أناف على كذا: زاد.

(٢) المحارق: جمع محرقة، المكان الذى تحرق فيه جثث الموتى.

(٣) ناصبه العداوة: أظهرها له وأقامها.

العذاب والألم والحرمان، أمر لا نفع منه ولا جدوى[1] فعلى المرء أن يسلك بين طريق اللذة وطريق الألم طريقا وسطا، فهذا الطريق هو وحده الذى يقوده إلى النور والمعرفة وسلام الفؤاد.

وألقى (بوذا) فيهم بعد ذلك خطبته المشهورة (بخطبة بنارس) موضحا فيها أصول مذهبه، فاستمع له النساك الخمسة، وقد حبسوا أنفاسهم فى صدورهم حتى لا تفوتهم كلمة من كلماته، وكانوا أول من اعتنق[2] ذلك المذهب الجديد.

وانضم إليهم بعد فترة قصيرة ستون ناسكا آخر، فتألفت من هؤلاء جميعا أول جماعة تدين بالبوذية، وكانت العلامة المميزة لهم دون سائر الناس هى أنهم حلقوا رءوسهم وارتدوا ثوبا أصفر.

وقضوا حياتهم يعيشون من الصدقات، ويعظون الناس مبشرين بالحلم والوداعة والتواضع، وكانوا يحتفظون بهدوئهم وابتسامتهم حتى فى أشد ساعات الضيق والحرج والكوارث، ويواجهون عنف خصومهم وأذاهم بالرضى واللين.

وظل (بوذا) مدة أربعة وأربعين عاما يجوب[3] بلده مدينة مدينة، وقرية قرية، ويصحبه فى تنقله عدد من تلاميذه، وكان كل همه أن يبشر بمذهبه، وأن يرى الناس من كل جيل وطبقة قد اعتنقته زرافات[4] ووحدانا، سواء فى ذلك الملوك والنبلاء أم السوقة والفقراء.

وتشير كتب البوذية المقدسة إلى كثير من حوادث ذلك الاعتناق وتروى عنها القصص والحكايات، وإليكم بعضا منها:

١- فى شهر أكتوبر اعتنق (أجاتاساتو) ملك (ماجادا) مذهب البوذية، وكانت الليلة التى انتقل فيها إلى ذلك المذهب ليلة منيرة، يتألق فيها البدر وهو فى تمامه، وتزدهر فيها زهرات اللوتس ملألئة بسامة.

---

(١) الجدوى: الفائدة. (٢) اعتنق الشىء: لزمه.

(٣) يجوب البلاد: يقطعها.

(٤) زرافات: جمع زرافة، الجماعة من الناس.

وكان الملك جالسا فى شرفة من شرفات قصره، فنظر الى الفضاء الجميل، والطبيعة الساحرة فى ضياء القمر فقال:

- (الحق أن هذه الليلة القمرية قطعة من الجمال الفريد، فهى تدعو إلى المسرة والفرح، فأى كاهن من كهنة (براهما) يجب أن أذهب إليه، واستمع لكلامه حتى تزداد نفسى بسماع حديثه سعادة وغبطة وهناءة؟)

- فذكر له بعض أهله المحيطين به أسماء عدة كهنة، وكان فيهم الطبيب (جيفاسا) فالتزم الصمت ولم ينبس ببنت شفة، فقال له الملك:

- (لماذا تلتزم الصمت يا صديقى (جيفاسا؟).

فقال له (جيفاسا):

- (مولاى! يقطن فى بستانى الواسع، بستان أشجار المانجو، رجل طوباوى ومعه جماعة كبيرة من تلاميذه وجمهرة من الكهنة يبلغ عددهم الثلاثمائة. وجميع الألسنة ترطب[1] بالثناء على هذا الرجل والإشادة[2] بصفاته السامية، فهو فى عرف هؤلاء الناس الرجل المبارك، الرجل القديس، الرجل الذى يمتلك أسرار المعرفة، الرجل الذى يعرف جميع العوالم.

- فاذهب إليه واستمع له يا مولاى فلعلك إذا أصغيت إلى حديثه يا مولاى تغتبط نفسك، وتزداد سرورا وسعادة).

- فأعدت الفيلة على الفور، فركبها الملك والملكات وجمع غفير من الحاشية، واتجهوا جميعا فى ضوء القمر إلى بستان المانجو الذى يقطن فيه (بوذا) مجتازين البقاع الباسمة التى اتشحت[3] فى تلك الليلة بثوبها الفضى الجميل، ومارين بالغدران[4] والبحيرات، وقد امتلأت صفحاتها بزهرات اللوتس البديعة.

---

(١) ترطب: تبتل. (٢) أشاد به: أطراه وأثنى عليه.

(٣) اتشحت: لبست الوشاح وهو شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.

(٤) الغدران: جمع غدير وهو النهر أو قطعة من الماء يتركها السيل.

– وأصغى الملك إلى حديث (بوذا) ومال بأذنيه وقلبه إلى كلامه يعيه ويستوعبه حتى ملأ كل جانحة من جوانحه فاعتنق البوذية.

– ٢- رأى (بوذا) فى يوم من الأيام، رجلا بائسا تاعسا يجمع من بعض الهياكل ما كان فيه من أزهار ذابلة ذاوية، وكان الرجال الذين يقومون بمثل هذا العمل فى عهود الهند القديمة ينتمون إلى طبقة دنيا من طبقات الناس، ولكن (بوذا) لم يحفل[1] بهذا الفارق الاجتماعى عندما اقترب الرجل المسكين منه، وطلب أن يعتنق مذهبه، وكان شفيع الرجل عنده ورعه وتقواه ونقاء سريرته، فقال له هذه الكلمات التى هزت ذلك الشقى[2] سرورا وابتهاجا:

- (انضم إلينا يا صاح واتبعنا!)

– ٣- كان (لبوذا) تلميذ محبب إليه يدعى (أناندا) فبينما كان هذا التلميذ يجتاز بعض الطرق، عطش عطشا شديدا، فرأى امرأة شابة واقفة بجوار عين ماء، فطلب منها أن تسقيه فقالت له المرأة:

- (أيها الكاهن الجليل! إنى امرأة من جماعة المنبوذين، فكل صلة بى أو حديث معى محرم عليك).

– فقال لها (أناندا):

- (لم أسألك يا أختى عن مولدك ونسبك، ولا عن الأسرة التى تنمين إليها، وانما سألتك جرعة ماء، فإن كان لديك فضل منه فجودى به على ولا تحبسيه دونى، فتكونى الكريمة المتفضلة.)

– فاضطربت المرأة الشابة، ودهشت من أن تعامل هذه المعاملة الكريمة اللينة، وهى تنتمى إلى جماعة المنبوذين، فكان هذا الحادث وحوادث أخرى مماثلة له، سببا فى أن تعتنق المرأة البوذية، وتنخرط منها فى سلك الكاهنات.

– ٤- أراد يوما أحد الصبية أن يقدم إلى (بوذا) هدية من الهدايا، ولكنه لم

(١) لم يحفل: لم يكترث.

(٢) الشقى: البائس التعس.

يكن يملك فى هذا العالم شيئا، ففكر فى هذا الأمر طويلا، وهدته نفسه الفتية وذهنه الغرير[1]، إلى فكرة ساذجة تمكنه من أن يحقق مبتغاه، ويهدى إلى (بوذا) شيئا ما، فجمع بيده الصغيرتين حفنة[2] من التراب وقدمها إلى (بوذا)، فتأثر (بوذا) كل التأثر من هذه اللفتة، وقبل الهدية باسما شاكرا.

- ولقد قدر لهذا الطفل فيما بعد، أن يولد فى حياة مقبلة، ويكون فيها الإمبراطور البوذى (أسوكا) ذلك الإمبراطور الذى يعده التاريخ خير من حكم على الأرض من الملوك والأباطرة.

- ٥- قدم قرد من القرود يوما إلى (بوذا)، كوبا مملوء بالعسل، فلم يرفض (بوذا) تلك الهدية بل قبلها ضاحكا، فاهتز القرد سرورا، وأراد أن يعرب عن فرحه الكبير، فقفز فى الفضاء قفزة جريئة سقط بعدها إلى الأرض جثة هامدة، فضمن له جوده وهديته أن يولد ولادة جديدة فى الحال، وأن يرتفع فيها من طبقة الحيوان إلى طبقة الإنسان، وأن يكون فيها ابنا لأحد البراهمة.

- وتجرى القصص والحكايات على هذه الوتيرة[3]، وكلها تدل على وداعة (بوذا)، واتباعه، وعلى الحلم الذى يقوم عليه مذهبه، كما تدل على نعمة التقرب من صاحب ذلك المذهب.

- وكان (سودانا) والد (بوذا) يتتبع أخبار ابنه وهو بعيد منه، ويتحرق شوقا إلى رؤيته، فمازال الشوق يلح به ومازال ينتظر لقاء ابنه على أحر من الجمر، حتى قرر أن يوفد إليه رسولا أمينا يطلب منه أن يعود إلى أبيه وأهله.

- فلم يكد الرسول يقترب من (بوذا) السعيد الطوباوى، حتى نسى الرسالة التى جاء من أجلها، وأصبح شغله الشاغل أن يعتنق مذهب (بوذا) ويكون فيه كاهنا من الكهان وهكذا كان.

---

(١) الغرير: الشاب لا تجربة له.

(٢) الحفنة: بفتح الحاء وضمها، ملء الكفين.

(٣) الوتيرة: الطريقة.

- وحدث مثل هذا لثمانية من الرسل جاءوا على التوالى يطلبون من (بوذا) العودة إلى أبيه وأهله، فكانوا ينسون رسالتهم التى حملوها إلى (بوذا) ويعتنقون مذهبه.

- فاضطر (سودانا) فى آخر الأمر إلى أن يعتمد على (أودابن) وكان هذا فيما مضى صديقا حميما للأمير (سيدهارتا) فرغب إليه الملك أن يذهب إلى لقاء ابنه، ويصف له ما يكابد من شوق مضطرم[1] إلى لقائه وما يعانيه فى ذلك من ألم وحزن عميق.

- وانتهى الأمر بهذا الرسول أيضا إلى مثل النتيجة التى انتهى إليها من كان قد سبقه من الرسل، فاعتنق هو أيضا البوذية، وأصبح فيها كاهنا من الكهان.

- وفى يوم من الأيام أقبل (أودابن) على (بوذا) ينصحه بالسفر والطواف[2] فى البلاد فقال له (بوذا):

- (لماذا تطالعنى بهذه النصيحة يا (أودابن)؟)

- فقال له (أودابن):

- (لأن أباك الملك (سودانا) سيسره كل السرور أن يراك بعد غيابك الطويل عنه).

- فقال (بوذا):

- (سأرحل إذن إلى (كابيلافاستو، وأرى أبى).

- ودخل (بوذا) المدينة التى كانت مسقط رأسه[3] تحيط به هالة[4] من النور بهرت عيون جميع الناظرين إليه.

---

(١) المضطرم: المشتعل الملتهب.

(٢) طاف فى البلاد طوافا: جال.

(٣) مسقط رأس الرجل: موضع ولادته.

(٤) الهالة: دارة القمر.

– وحدث ولا حرج[١]، عن الفرحة الكبرى التى شملت أعضاء أسرته، عندما رأوه وكحلوا النواظر بلقائه، وحدث كذلك ولا حرج عن الدهشة العظمى التى ساورت أفراد الشعب، عندما رأوا أميرهم القديم يستجدى طعامه، ويرتدى الملابس الرثة[٢] التى لا يرتديها إلا أفقر النساك.

– حال من الدهشة والاستغراب، سوف تظل طاغية عليهم فترة من الزمن، ولن تزول عنهم إلا حين يفهمون حقيقة ذلك التغير الذى طرأ على أميرهم، ويدركون نبل الرسالة السامية التى يبشر بها.

– ولقد سر (بوذا) سرورا عظيما عندما علم أن زوجته (جوبا) تعيش عيش الزهد والتقشف، تمثلا بما قد سمعته عن زوجها.

– ولم يمض طويل وقت، حتى اعتنق ابنه (راهولا) البوذية...

– أما ابن عمه (أناندا) الذى كان قد انتظم فى سلك البوذية قبل ذلك، فسوف يصبح أوفى تلميذ (لبوذا).

– على أن (بوذا) سوف يلقى خصمه العنيد، فى رجل من رجال أسرته، هو ابن عمه (ديفاتا)، وتعد البوذية هذا الرجل عدو مذهبها وخائنه.

– كان (ديفاتا) يضطرم رغبة فى أن يخلف (بوذا) على تزعم الطائفة، ورأى أنه لن يحقق رغبته المستعمرة فى صدره، مادام (بوذا) على قيد الحياة، فعزم على أن يقتله ليحل محله، فاتفق مع بعض القتلة السفاكين على اغتيال (بوذا)، ولكنهم لم يكادوا يقتربون منه حتى طرحوا عنهم فكرة الاغتيال، وخروا ساجدين عند قدمى (بوذا) يعبدونه ويبتهلون إليه.

– وعلم (ديفاتا) بالأمر، فأرغى وأزبد[٣] وحرق الأرم[٤] غيظا وسخطا،

---

(١) حدث ولا حرج: حدث ولا إثم.

(٢) الملابس الرثة: الملابس البالية.

(٣) أرغى وأزبد: كناية عن شدة الغضب والسخط.

(٤) الأرم: الأضراس، ويحرق الأرم: يحكها بعضها ببعض فى غيظه.

ففكر فى طريقة أخرى يقتل بها (بوذا)، ليخلو له الجو، ويتبوأ كرسى الرياسة على عشيرته، فاختار فيلا من أشد الفيلة قوة وضخامة، وسقاه قدرا كبيرا من الخمر حتى أسكره، ثم دفع به إلى درب ضيق تعود (بوذا) أن يختاره مستجديا مستنديا أكف[1] المحسنين، فاندفع الفيل فى ذلك الدرب الضيق ذات اليمين وذات الشمال، هائجا ثائرا، فحطم البيوت، وداس المركبات والمارة.

– وكان (بوذا) فى ذلك الدرب، فاستمر فى طوافه هادئا ساكنا رابط الجأش[2]، حتى إذا رأى الفيل يكاد يدوس طفلة صغيرة دفعها الطيش إلى اجتياز الطريق قال للفيل:

– – احقن دم[3] هذه الطفلة البريئة، فأنت إنما دفعت إلى هذا المسلك بغية قتلى أنا، فأنا طريدتك وفريستك).

– فهدأت ثائرة الفيل على الفور وبرك عند قدمى (بوذا) الطوباوى، وأخذ يمسح بخرطومه الغبار العالق على ملابس (بوذا) المقدسة.

– ووقف (ديفاتا) على جلية الخبر، فطار صوابه، ثم تصنع الندم والأسف، وجاء إلى (بوذا) وركع عند قدميه مستغفرا طالبا الصفح عن جريمته، ولكنه كان قد أخفى تحت أظافره سما زعافا[4]، فحاول أن يجرح كاحل (بوذا) ليتسرب السم إلى دمه.

– وضاقت عدالة الأرض والسماء بجرائم ذلك الغدار الأثيم، فانشقت الأرض وابتلعته...

– وبلغ (بوذا) الثمانين من العمر، فرأى أن رسالته على الأرض قد تمت، فقرر أن يرحل عنها ويدخل (نرفانا).

---

(١) استندى الأكف: طلب الإحسان.

(٢) الجاش: القلب والصدر. ورابط الجاش: شجاع.

(٣) حقن دمه: صانه ولم يرقه.

(٤) السم الزعاف: السم الذى يقتل سريعا.

– وكان الانتقال من الأرض إلى الفردوس يجب أن يحدث فى (كوسينارا)، فوصل (بوذا) إليها مريضا متعبا، لا تكاد قدماه تحملانه...

– فوضع أتباعه سريره بين شجرتين توأمين، فازدهرت على الفور الشجرتان، وامتلأت أغصانهما بالأزهار، وإن لم يكن الفصل فصل تفتح الأزهار، وانسكب على (بوذا) مطر من الزهر والريحان.

– وعلم (بوذا) وهو فى حشرجة[1] الموت، أن (أناندا) تلميذه المقرب إليه لا ينفك يبكى وينتحب، فبعث إليه من يقول له:

– – (يا عزيزى (أناندا) إن الزعيم يريد أن يحدثك).

– فخف[2] (أناندا) إلى زعيمه، وسجد عند قدميه، ثم جلس إلى جانبه، فحدثه (بوذا) حديثا كله عطف ومحبة وقال له:

– – (لا تنتحب يا عزيزى (أناندا) ولا تصعد مثل هذه الزفرات...

– لا تجعل اليأس يستولى عليك... تذكر ما سبق أن قلته لك: إن الإنسان سوف يفارق أحب الناس إليه على هذه الأرض... يكفيك أن تحفظ فى قلبك تذكار الإخلاص الذى أظهرته لسيدك، وتذكار الحنان الجم[3] الذى أحطته به دائما... استمر فى عمل الخير، تدخل أنت أيضا فى يوم من الأيام رحاب (نرفانا...)

– واحتشد أتباعه وتلاميذه للمرة الأخيرة من حوله، فالتفت إليهم وأوصاهم بهذه الوصية التى تنحصر فى هذه الكلمات الثلاثة: (جاهدوا ولا تملوا)

– وانتقل روحه بعد ذلك من سماء إلى سماء، حتى وصل فى نهاية المعراج[4] إلى (نرفانا) جنة الخلد.

---

(١) حشرج حشرجة: غرغر عند الموت وتردد نفسه.

(٢) خف: سارع.

(٣) الجم: الكثير من كل شىء.

(٤) المعراج: السلم والمصعد.

– واحتفل تلاميذه ونبلاء (كوسينارا) بحرق جثته عند أبواب المدينة، وعلى مرأى من الشمس الطالعة...

– فى سنة ١٨٩٨، عثر المنقبون فى تل من التلال المملوءة بالآثار على جرة تشير الكتابة المنقوشة عليها إلى أنها كانت تحتوى رماد جثة (بوذا)...

– وفى (زتشوان) أحد أقاليم الصين، يحج كثير من الحجاج إلى سفح جبل (أومى)، ويشاهدون (بوذا) متجليا على قمة ذلك الجبل، فبعضهم يراه جالسا، وبعضهم يراه واقفا...

– هذا وحياة (بوذا) من المهد إلى اللحد[١]، نجدها منقوشة فى حروف بارزة على القسم الأسفل من معبد (بورو بودور) بجزيرة (جافا).

– ولقد اجتزت[٢] يوما به، ومررت بنقوش طولها ثلاثة كيلومترات، تصور حياة (بوذا) فى مختلف مراحلها، فرأيت فى مرحلة منها صورة (بوذا) قد حفت برأسه هالة من النور، ووقف يخطب فى تلاميذه ويحدثهم حديث اللين والوداعة، وهم يستمعون إليه فى عيون شبه مغمضة، ووجوه متألقة الأسارير، فشعرت فى تلك اللحظة أنى أصبحت تلميذا من تلاميذ (بوذا) ولو إلى حين...

■ ■ ■

(١) من المهد إلى اللحد: من السرير إلى القبر. أى من بدء حياته إلى مماته.

(٢) هذا كلام مؤلف الكتاب.

# تقمص بوذا

من معتقدات النفس الهندية إيمانها بالتقمص.

ويشير ذلك المعتقد إلى أن كل مخلوق على الأرض، مقدر له أن يمر بسلسلة لا تنتهى من الحياة على هذه الأرض، أو فى عوالم أخرى، سيان فى ذلك الإنسان والحيوان.

وقد ينقلب الإنسان فى هذه الحياة حيوانا فى حياة تالية، أو قد ينقلب الحيوان فى هذه الحياة إنساناً فى حياة مقبلة، ومدار ذلك على الخير والشر الذى تصطنعه الخلائق فى كل حياة تحياها.

فالاخيار[1] ينتقلون بعد الموت إلى مرتبة أسمى من المرتبة التى كانوا فيها، على حين أن الأشرار ينحدرون بعد مماتهم إلى دركة[2] سفلى من سلم المخلوقات.

وتعتقد البوذية أن أعمال الإنسان تقربه من (نرفانا) أو تبعده منه، و(نرفانا) إما أن تكون مكانا للعدم، ينقطع فيه عذاب الإنسان، وإما أن تكون جنة الخلد، يذوق فيها نازلها كل أسباب اللذة والنعيم.

وحينما يقترب الإنسان من دخول (نرفانا) يعلم عندئذ سلسلة ما عاش فيه من حيوات سالفة.

وقبيل أن يدخل (بوذا) رحاب (نرفانا) تجلت له المعرفة، فعلم كل حياة حييها فى شكل إنسان أو حيوان.

فإليكم ثلاث أحوال من حالات تقمصه:

---

(١) الأخيار: الصلحاء.

(٢) الدركة: الدرجة إذا اعتبرت النزول لا الصعود ويقابلها الدرجة للصاعد.

١- كان (بوذا) مرة أرنبا جميلة من الأرانب، طويلة الأذنين، ذات ذنب قصير معقوف[١].

وكانت هذه الأرنب تعيش فى جبل من الجبال، على مقربة من إحدى الغابات، تقتات بالعشب والنبات، وتتغذى بالثمار وورق الشجر، فلا تؤذى أحدا، ولا تلحق الضرر بمخلوق من المخلوقات.

وكان لها أصدقاء ثلاثة: قرد وابن آوى وكلب صغير من كلاب الماء، يسكن كل منها على مقربة من الأخرى، وتجتمع كلها معا من الصباح إلى المساء.

ولم تكن الأرنب من تلك الجيران الثلاثة الصديق الحميم فقط، بل كانت كذلك هاديتها إلى الخير، ومرشدتها الحصيفة[٢]، فكانت تعلمها تمييز الخير من الشر، وتحثها على عمل الخير واجتناب الشر.

وفى ليلة من الليالى القمرية الباهرة الضياء، نعمت تلك الجماعة من الحيوان بفتنة الليل البهى وسحره، واستعدت لاستقبال النهار الذى يتلوه، والاحتفال به على أنه عيد من الأعياد، جريا على مألوف عاداتها، فكل نهار يطلع بعد ليلة يكون القمر فيها بدرا تماما، كانت هذه الجماعة تعده عيدا سعيدا هانئا.

وكان من فروض ذلك العيد، اصطناع المعروف فى مظاهره المختلفة، فمن إحسان إلى المتسولين، وإهداء الهدايا للبراهمة، إلى غير ذلك من وجوه البذل والعطاء.

فجمعت الأرنب أصدقاءها، وذكرتها بفروض ذلك العيد ودعتها إلى إعداد هداياها قبل انبلاج[٣] الصباح.

---

(١) عقف العود ونحوه: عطفه من طرفه وعوجه فانعطف وتعوج.

(٢) الحصيف: من كان جيد الرأى محكم العقل.

(٣) انبلاج الصباح: طلوع الصباح.

(٤) اقعت: جلست.

وبينما كانت أصدقاؤها الثلاثة مشغولة باتباع نصيحتها، أقعت[٤] الأرنب الصغيرة على قائمتيها الخلفيتين، واستسلمت إلى التفكير، وقالت فى نفسها:

- (ماذا عساى أن أمنح الذى يسألنى صدقة من الصدقات؟ فلا أرز عندى ولا فول أتصدق به، ولا لدى زيت ولا سمن، فإنما قوتى العشب، والعشب لا يهدى... فلو جاءنى من يستحق الهدية، واستندى كفى واستهدانى[١] بعض الطعام، فماذا أنا فاعلة؟ يجب أن لا يعود عنى صفر اليدين... إننى لا أملك شيئا من حطام الدنيا، ولكننى أملك نفسى، فعلى إذن أن أهب نفسى...)

ووقف ملك الآلهة على ما يجول بخاطر الأرنب، فاقترب منها فى صباح اليوم التالى، وقد تزيا بزى[٢] برهمى.

رأته الأرنب فلم تترك له مجالا للقول والطلب، بل بادرته قائلة:

- (أحسنت صنعا فى مجيئك إلى تطلب قوتا... سوف ألبى نداءك على الفور... غير أننى أرجو منك أن تجمع بعض الحطب وتوقد النار... ولسوف أعلمك لماذا أطلب منك هذا الطلب.)

فأذعن[٣] البرهمى لمشيئة[٤] الأرنب، ومضى إلى غابة قريبة وعاد منها ببعض الأغصان والأوراق، فجمعها فى مكان واحد، وأشعل فيها النار، ثم جلس قرب ذلك الموقد، فسمع الأرنب الصغيرة تقول له:

- (لعلك ستدهش مما طلبت منك أن تفعله، فإليك البيان: إنك رجل من البراهمة، وإنى لواثقة بأنك تقوم بجميع فروضك وواجباتك على الوجه الأكمل، ولست أجهل أن بعض تلك الفروض يقتضيك أن لا تؤذى أحدا من الأحياء، وأن لا تقتل مخلوقا من المخلوقات، فلو أننى وهبتك نفسى وأنا حية أرزق، لما قتلتنى

---

(١) استهداه: طلب منه هدية.

(٢) تزيا بزى القوم: لبس كما يلبسون.

(٣) أذعن: خضع.

(٤) المشيئة: الإرادة.

لتظفر بقدر من طعام، فسوف أشوى نفسى على هذه النار التى أوقدتها أنت، فإذا تم شوائى استطعت أن تأكلنى...)

فنظر البرهمى إلى الأرنب الصغيرة نظرة جمعت بين الدهشة والإجلال، فعادت هذه تقول بعد صمت قصير:

- (يقال إن خير الهبات هبة النفس، وإنى واهبتك جميع أوصالى وكل لحمى وجسدى... ولعل هذا الذى أجود به هو أسمى ما جاد به حتى اليوم جواد كريم، فالجود بالنفس أقصى غاية الجود[1]!!)

- وما إن أتمت الأرنب الصغيرة كلامها، حتى اندفعت إلى الموقد، ورمت نفسها فى النار المتأججة[2].

- وتبين لنا النصوص المقدسة، ماذا شعرت به الأرنب عندما استقرت فى النار واللهب، لقد أحست بما نحس به نحن من متعة وانشراح عندما نرمى أنفسنا فى المياه الباردة هربا من الحر الشديد اللافح[3].

٢- كان (بوذا) فى حياة أخرى قردا من القردة، بل كان ملك القرود، وكان جلده ناعم الملمس رمادى اللون، أما عيناه فكانتا متألقتين بشعاع الذكاء ونور المحبة والعطف، وأما جسمانه فلم يكن ضخما ولكنه كان مع ذلك على جانب كبير من القوة والصلابة والليونة.

فاقترب منه يوما رسول من القردة، وهمس فى أذنه قائلا:

- (وقفت الساعة أيها الملك على نبأ هائل، فإن جماعة من الرجال الأشرار، قد عقدوا العزم على مهاجمتنا، وإن مئة منهم وقد شرعوا[4] الرماح فى أيديهم، يقتربون من مقرنا، وبغيتهم أن يحاصرونا فيه حصار شديدا، وأن يأسرونا

(١) أقصى غاية الجود: منتهى الجود.

(٢) المتأججة: المشتعلة الملتهبة.

(٣) لفحت النار أو السموم بحرها فلانا: أصابت وجهه وأحرقته.

(٤) شرع الرمح: سدده وصوبه.

جميعا أو يقتلونا. ولسوف يضعون عددا منا فى أقفاص ليتسلى برؤيتنا بعض الحمق البله[1] من بنى آدم، ثم يعمد[2] السفاكون، وكلهم سفاكون، إلى قتل بقيتنا وسلخ جلودنا ليستعملوها فراء لهم.)

فقال ملك القرود:

- (يجب إذن أن ننقذ جماعتنا بل كل قرد فى جماعتنا!)

وكانت جماعته فى تلك اللحظة، ولا يقل عددها عن ثمانين ألفا من رعاياه، تلهو وتلعب فى غابة من شجر المانجو، تقفز من غصن الى غصن، وتتسلق قمم الأشجار، وتهبط منها إلى الأرض وتقوم بغير ذلك من ألاعيبها البهلوانية، وهى لا تعلم بالخطر الجسيم المحدق[3] بها.

وكان معسكر القرود يستند إلى نهر عظيم، هو نهر (الكنج) المقدس، وكان النهر منفذها الوحيد إلى النجاة، ولكن كيف السبيل إلى عبوره، وتلك الآلاف المؤلفة من القرود الصغيرة لا تعرف السباحة؟

أطرق ملك القرود يفكر ويقدح زناد[4] فكره، باحثا عن وسيلة ينقذ بها شعبه، فما عتم بعد قليل، حتى وجد الوسيلة، فارتاح باله وهدأ بلباله[5].

أمر رعاياه أن تجتمع حواليه على جناح السرعة، فأقبلت من كل حدب وصوب[6]، والتفت حوله متطلعة إليه فى شىء من الحيرة والدهش، فأنهى إليها بالخطر وبالشر المستطير الذى سينقض عليها، ثم طلب إليها أن تعبر[7] النهر على حبل من القصب سوف يصنعه هو ويمده فوق سطح النهر.

(١) جمع أحمق وأبله.

(٢) عمد للشىء وإلى الشىء: قصد فعله.

(٣) أحدق به: أحاط به.

(٤) زناد: جمع زند، العود الأعلى الذى يقتدح به النار.

(٥) البلبال: شدة الهم.

(٦) من كل حدب وصوب: من كل جهة.

(٧) تعبر: تجتاز.

وعلى الفور صنع ذلك الحبل، وربط طرفه إلى غصن شجرة والطرف الآخر إلى حزامه، ثم قفز قفزة هائلة فعبر النهر.

ولكن الحبل كان، ويا للأسف، يقصر قليلا عن عرض النهر، فأمسك ملك القرود في قفزته بغصن شجرة من الشجر الذي ينبت على ضفاف النهر، وتشبث[1] به، ومد جسمه فأكمل به طول الحبل، ودعا رعيته إلى عبور النهر على ذلك الجسر الذي أقامه لها.

تقدمت طائفة من القرود الجريئة، وجازفت بأرواحها ولكنها عبرت النهر، ووصلت إلى ضفته الثانية في أمن وسلام.

ودبت الشجاعة والحماسة في البقية عندما رأت أن الطائفة الأولى منها قد نجحت في عبورها، فهمت تقتدي بها وتعبر النهر إلى الضفة الثانية غير حافلة بالنقد الشديد المر الذي كان يوجهه الى المليك قرد ضخم أحمر الشعر ينبعث الشر من عينيه (هذا القرد الشرير سوف يكون في حياة مقبلة يهوذا البوذية أي خائنها وسيكون اسمه ديفا داتا).

وعلى هذا عبر النهر ذلك العدد الضخم من القرود مسرورة فرحة بنجاتها مما كان ينتظرها من أسر وموت، فعادت تقفز وتلعب في الضفة الثانية وتملأ الفضاء صراخا وصياحا.

وكان ذلك القرد الضخم الشرير الأحمر الشعر، آخر قرد عبر النهر، فمشى فوق الحبل حتى وصل إلى جسم الملك، فتظاهر بأن قدمه قد زلت، فقفز في الفضاء وسقط على ظهر الملك سقطة شديدة ثقيلة، فهوى الملك إلى الأرض مغشيا عليه ومثخنا بالجراح[2] والرضوض، أما القرد الشرير فهبط إليها سليما معافى.

ومر بتلك الضاحية ملك (بنارس) فرأى القرد الجريح، فأخذته الشفقة

---

(١) تشبث: تعلق.

(٢) أثخنته الجراح: أوهنته واضعفته.

عليه، فأمر أن ينقل إلى قصره.

وفى قصر ملك (بنارس) صحا القرد الملك من غيبوبته، فشكر مضيفه ومنقذه، ونصحه أن يكون على الدوام ملكا عادلا شفيقا، ذا مروءة ونجدة، محبا للسلام والعدالة.

ثم ذكر فى ختام حديثه أنه يطيب له أن يموت سعيدا بعد إذ فدى بحياته حياة ثمانين ألف قرد من رعاياه، وفيها القرد الشرير الأحمر الشعر، السيئ الخلق.

٣- وفى حياة أخرى من حيواته الكثيرة، كان (بوذا) إنسانا من بنى الإنسان، بل ملكا عظيما تملأ جوانحه الرحمة والشفقة والعطف على كل حى من الأحياء، إنساناً كان ام حيوانا، ولا سيما على تلك الفصيلة الجميلة الرشيقة من الحيوان وهى العصافير والحمام.

وفى يوم من الأيام، سقطت فى حضنه حمامة وديعة كان يطاردها عقاب جارح[1] فقالت له:

- (إذا لم تخف إلى مساعدتى[2] فهلاكى محقق.. إن الحياة جميلة فأنقذنى من براثن[3] الموت لأحيا وأنعم بالحياة!)

فقال لها الملك وهو يمسح ريشها بيده:

- (لا تخافى أيتها الحمامة الجميلة... آه ما أجمل عينيك إنهما تشبهان الورد الأحمر الذى ينبت على شجر (أسوكا)!)

وظلت الحمامة تضطرب وترتجف خائفة مذعورة، فقال لها الملك:

- (قلت لك لا تخافى... لقد أنقذت دائما من الموت كل حى التجأ إلى واستنجد بى، ولن أبدل سنتى ولو فقدت فى سببها عرشى أو حتى حياتى...)

---

(١) العقاب: طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى المخالب وله منقار أعقف.

(١) تخف إلى مساعدتى: تسارع إلى مساعدتى.

(٢) البراثن: جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان.

وكان العقاب قد تبع الحمامة، فلم يجرؤ أن ينقض عليها وهى فى حضن الملك، فتوجه بخطابه إلى الملك وهو يقول له فى جرأة غريبة وجسارة:

- (أعد إلى هذه الحمامة إنها فريستى... فليس من حقك أن تقحم[1] نفسك فى مشاجرات طيور السماء!)

فقال له الملك:

- (حاول أن تفهمنى أيها الطائر النبيل... إن هذه المخلوقة المسكينة قد هرعت[2] إلى خائفة مرتجفة، فكيف أصم[3] أذنى عن استغاثتها وأحبس عنها معونتى؟ إن تسليم من يستنجد بنا محتميا مستجيرا خيانة تلوث بالعار من يرتكبها... نعم إنها خيانة وظلم...)

فقال له العقاب:

- (أتهرب من ظلم إلى ظلم أيها الملك! أو لست ظالمى عندما تمسك عنى هذه الحمامة فى حين يكاد الجوع يقتلنى؟ إن هذه الحمامة هى طعامى وغذائى، وستكون غذاء زوجتى وأولادى أيضا، فكأنك قد حكمت علينا جميعا بالموت إذا حرمتنا هذه الفريسة... وإنك لا تجهل أن المخلوقات تحتاج إلى الغذاء لكى تحيا وتعيش، ولا مناص من ذلك... فلا تمنع عنا هذه الفريسة التى كدت أظفر بها..)

فقال له الملك:

- (إنك جائع، وإنك تريد أن تغذى زوجتك وعيالك... فلا بأس... سأوفر لك الغذاء، ولك أن تحمله إلى حيث شئت... فأى لحم تؤثر؟ ألحم العجل أم لحم الغزال أم لحم القنفذ[4]؟)

فقال له العقاب:

(١) أقحمه فى الأمر: أدخله فيه من غير روية.

(٢) هرع إليه: التجأ إليه فى خوف.

(٣) صم القارورة: سدها.

(٤) القنفذ: دويبة ذات ريش حاد فى اعلاه.

- (أوثر لحم الحمام، فالعقاب ما أكل قط من هذه الأطعمة التى تعددها وتعرضها على، بل أكل دائما لحم الحمام... تلك سنة خالدة وليس من حقك تبديلها...)

فقال له الملك:

- (أنت على حق وصواب فى رفضك الأطعمة التى عرضتها عليك، وإنى لعلى خطأ إذ اقترحتها عليك فلو أنك قبلتها ورضيت بها لكنت ارتكبت جريمة قتل حىّ من الأحياء... على أننى أود أن أنقذك من الجوع، ولكننى لا أستطيع مع ذلك أن أخون الحمامة التى استجارت بى والتمست عندى النجاة... فاطلب منى ما شئت، اطلب أى قدر من المال والثراء، واطلب ملكى بل اطلب حياتى أجد راضيا مختارا بما ترغب فيه إلى... أجل إنى معطيك ما تطلب كائنا ما كان إلا هذه الحمامة...)

فقال العقاب ساخرا مستهزئا:

- (إذا كانت هذه الحمامة عزيزة عليك، وإذا كان لها فى قلبك هذه المنزلة من الحب والعطف، فسوف أمكنك من وسيلة تستطيع بها أن تبرهن عن محبتك وودادك، فضعها فى كفة ميزان، واقطع من لحمك ما يعدل وزنها، وضعه فى الكفة الأخرى، فلئن فعلت لأتركنها لك...)

فقال الملك:

- (أجمل بسداد رأيك أيها الطائر! فشكرا لك على هذا الفضل الذى غمرتنى وغمرتها به...)

وأمر الملك أن يؤتى له فى الحال بميزان وبسكين حادة. فوضع الحمامة فى كفة من الميزان، ووضع فى الكفة الأخرى قطعة من اللحم اقتطعها من إحدى فخذيه حتى بان العظم أجرد عاريا.

وفى أثناء الجدال الذى جرى بين الملك والعقاب، كانت الملكات وكان أبناء

الملك ووزراؤه وخدمه، قد أقبلوا جميعا يشهدون ذلك الصراع ويسمعون حواره، فلما انتهى بتلك الخاتمة الأليمة أجهش من أجهش بالبكاء[1]، وصاح من صاح رعبا وسخطا.

وكان وزن الحمامة أثقل من قطعة اللحم، فعرى[2] الملك فخذه الثانية، واقتطع منها قطعة رمى بها فى كفة الميزان.

ولكن وزن الحمامة كان لا يزال أثقل مما وضع الملك من لحمه فى الكفة الأخرى، فعمد إلى ذراعيه وصدره وبطنه واقتطع من كل منها قطعة ورمى فى كفة الميزان بكل تلك القطع الدامية، فما عدلت وزن الحمامة.

فصعد بعد ذلك هو نفسه إلى كفة الميزان، ووقف بجسمه الدامى الممزق إزاء الحمامة...

وحدثت فى تلك اللحظة معجزة خارقة، فقد غاب العقاب من الوجود، وظهر فى مكانه الإله (إنجرا) وغابت كذلك الحمامة وحل محلها الإله (آنى) فقالا معا:

- (يا أمير الناس! لقد جئنا إليك فى شكل هذين الطائرين، لنمتحن فضلك وفضائلك، فقدمت لنا أعظم مثال لذلك، فلتكن مباركا إلى الأبد... ستعود إليك قطع جسدك، وينقلب جسما سويا، ولسوف تروى الأجيال والأزمان قصة وفائك وإخلاصك مادام على الأرض أحياء يرزقون...

ولسوف يكون جزاؤك أعظم من هذا كله... ستكون فى حياتك المقبلة خير بنى الإنسان: ستكون (بوذا)...)

وانهمرت الأزهار عند ذاك من السماء على قطع اللحم من جسم الملك، فاستحال جسما سويا[3] يفوح منه عرف[4] الطيب والمسك...

---

(١) أجهش بالبكاء: تهيأ له.

(٢) عرى: كشف.

(٣) السوى: المستوى لا عيب فيه.

(٤) العرف: الشذا وطيب الرائحة.

# المصباح المسحور

(بين هذه الأسطورة فى أدب الهند.. وأسطورة عـلاء الدين فى ألف ليلة وليلة شبه كبير.. وليس من شك أن لكل منهما أصلا واحدا، يؤكد ذلك أن أغلب أساطير ألف ليلة يوجد لها شبه فى أساطير الهند والصين.. بل وفى كثير أيضا من أساطير فينقيا. على أن كل واحدة منها تختلف فى الغالب عن شبيهتها بتأثير البيئة وأصول الحياة التى تعيش فى أرضها كأسطورة.. كما حدث فى (المصباح السحرى).

عندما فتحت الباب، وجدت امامها عملاقا اسود قبيح الخلقة كوجه عفريت. واذا أرادت أن تغلق فى وجهه الباب وضع قدميه بين ضلفتيه ليمنعها.. وقال لها:

– ما كنت أظن امرأة فى العالم تستقبل شقيق زوجها الأكبر كما تستقبليننى الآن..!

وتوقفت يدها فوق الباب وهى تحدق فى وجهه. أيمكن أن يكون هذا العملاق حقا شقيق زوجها الذى مات منذ سنوات!؟ لقد كان زوجها خفيف السمرة وهذا أسود.. وكان زوجها قصيراً وذاك عملاق، وكان لزوجها عينان صافيتان كماء البئر، بينما عيناه تبرقان بريق الثعبان فى خبث ودهاء.

وانتهت المرأة من تفكيرها على صوته يقول:

– لقد تركت تجارتى فى بلاد الرقراق وجئت لأطمئن على أخى الذى افترقت عنه منذ أكثر من عشرين سنة. وانى لأكاد أموت جوعا لطول الرحلة عبر الصحارى والقفار، كما أحس رعدة الحمى من البرد بعد اذ أغرقتنى مياه الأمطار طول ليلة أمس.. فهيا يا امرأة أخى خذينى بقرب النار استشعر الدفء

على حين تعدين بعض طعام يزيل عنى الجوع الذى يكاد يقضى على..!

وأمام المدفأة وهو يأكل، راح الرجل يسمع من الأرملة كيف مات أخوه فى حادث بالبحر، وكيف أحضروه اليها وهو لا يستطيع أن يخرج من بين شفتيه سوى لفظ واحد فقط لم تستطع أن تفهم ما يعنيه.. فقد كان يقول.. الكنز.. الكنز.. ولا شىء بعد.

وفكر الرجل قليلا وهو يتلكأ فى المضغ قبل أن يجيب:

– الكنز يا زوجة أخى العزيز.. الكنز.. أجل انك تريدين معرفة مكانه.. ولعلك اذا أذنت لولدك بالخروج معى للبحث عن الكنز الذى أظنه فى واد كنا قد أجتزناه معا أنا وزوجك ذات يوم.. فسنعود معا محملين بجواهر لا حصر لها ولا مثيل..

وابتلعت المرأة لعابها وهى تبتسم فى فرح.. فقد استطاعت أخيرا أن تعرف سر الكنز..!

وظل الرجل ضيفا عليها لبضعة أيام. وعندما جاء اليوم الذى حدده للرحيل خرج ومعه الغلام يحمل كيسا كبيرا ملأته لهما المرأة بكل ما يلزمهما خلال الرحلة من طعام وشراب. وقطع الاثنان معا عدة أميال فى طرق طويلة وعرة. وإذ أحس الغلام بالتعب قال لعمه:

–لقد تعبت يا عماه.. وما عدت أقوى على السير أكثر مما سرت...

وعنف الرجل الغلام فى قسوة لضعفه وخوره.. فاندفع يمشى بأقصى ما يستطيع من سرعة يمكن ان يحتملها جهده الصغير...

وتوقفا آخر الأمر عند تل تسلقاه. وعندما بلغا قمة التل، أمر التاجر الفتى الصغير بجمع حمل كبير من الحطب، واشعال النار فيه. وجمع الفتى الحطب ثم وقف امامه لا يدرى كيف يوقده على حين أن عمه واقف يتأمل.. ولا يفعل شيئا قط..!

وأمره الرجل أن ينفخ بفمه كما لو كان يشعل النار. وظل الغلام ينفخ وينفخ والنار لا تريد أن تشتعل. وقال لعمه:

- عماه..

ولم يتركه الرجل يكمل.. فقد صفعه على وجهه وهو يقول:

- اسكت أيها البغل فلست عم احد.. انفخ..

وعاد الفتى ينفخ فى الحطب ورأسه يدور.. فهذا الرجل ليس بعمه.. وهو لذلك يعذبه ويصفعه ويقسو فى معاملته قسوة لا يبررها شئ قط...

وفوجئ الفتى بالرجل يلطمه من جديد ويقول:

انك لا تنفخ جيدا. انفخ وإلا قضيت عليك..!

وبكى الغلام.. وأبى ان يعيد النفخ..

وانهال الرجل عليه ضربا وركلا حتى تعب. وتحول هو الى الحطب وراح ينفخ فيه بقوة.. حتى اشتعلت النار فجأة. وامسكت بالحطب حتى أتت عليه. وعندئذ.. ظهر بين الرماد باب سحرى، أمر الرجل الفتى الصغير أن ينحنى عليه ويفتحه بيده.

وراح الغلام يجذب الباب بشدة. ولكن الباب أبى أن ينفتح.. وعاد الرجل يضرب الفتى بشدة ويقول له:

- انك بغل كبير... لا تريد أن تعمل إلا تحت ضرب السياط.. وعاد الصغير يجذب الباب بكل ما منحه الله من قوة.. وأخيرا رفع الباب من مكانه..واذا تحت الرماد سرداب طويل يضيئه مصباح.. تراكمت حوله كميات كبيرة من الزهور مصنوعة من ذهب..!!

- وأمر الرجل الغلام بالنزول فى السرداب. وحذره من أن يطأ الزهور الذهبية بقدميه، وأمره أن يذهب الى المصباح المعلق فيأخذه وينير لنفسه المكان.. حتى يستطيع أن يجمع أكثر ما يستطيع جمعه من الأزهار الذهبية،

ويضعها على صفحة من فضة كانت هناك.

- ونفذ الغلام الأمر. ورفع الصفحة المملوءة بالزهور الذهبية فناولها الرجل. ثم طلب منه أن يرفعه الى الخارج ليغادر السرداب. غير أن الرجل لم يكد يأخذ صفحة الذهب حتى ضرب الكفين الممدودتين اليه فى قسوة، ثم اغلق الباب الحديدى السحرى.. ومضى تاركا الصبى حبيسا داخل السرداب المظلم المخيف.!

وراح الغلام يبكى ويستغيث. ولكن صوته الضئيل لم يكن من الممكن أن يخترق الباب الحديدى الضخم الذى يفصل بين السرداب وسطح الأرض..!

ومرت الساعات طويلة قاسية، وبدأ اليأس والجوع يحطمان أعماق الفتى الصغير.. وراح يبكى.

وبدأت عيون الفتى تنضب فلا تجد حتى الدموع. ومد يده الصغيرة يمسح ما فوق خديه من آثار الدموع.. وقد خطر بباله أن ينهض ليدور فى السرداب عله يجد اى شىء يستطيع أن يأكله.

ومد الفتى يده الى الأرض يتكئ عليها وهو ينهض. فاصطدم كفه بالمصباح الذى كان ملقى على الأرض فى الظلام.. واحتك الخاتم الذى يضعه فى أصبعه بجوانب المصباح.. وفى لحظة.. أضاء المصباح كأنه البرق.. ثم خرج منه فى الحال عفريت مارد.. انحنى أمام الغلام فى احترام وقال له:

- مولاى.. أنا عبدك بين يديك.. مر بما تريد انفذه فى اللحظة والتو..!

وارتعد الفتى الصغير وهو يرى العفريت. غير أن انحناءته وكلماته العامرة بالاحترام أزالت من قلب الفتى شبح الخوف.. وانطلق لسانه يقول فى دهشة:

- هل تستطيع يا سيدى أن تفتح الباب وتخرجنى.؟!

وفى لمح البرق، مد العفريت ذراعه العملاقة ففتح الباب الحديدى، ثم مد يده فرفع الغلام من داخل السرداب ليضعه على سطح الأرض. ولم يكد يفعل

حتى اختفى فجأه تماما كما ظهر من قبل.

وانطلق الغلام يجرى ويجرى، وفى يده المصباح حتى بلغ داره. وعندما دخل البيت ألقى بنفسه فى أحضان أمه التى صرخت وهى تشهد هزاله، وسألته عما به فقال لها:

- انه لا يستطيع أن يقص عليها الأمر حتى تقدم له ما يسد منه الرمق.

وقالت الأم فى أسف حزين:

يا ولدى المسكين. ليس فى المنزل شىء أقدمه لك..!

قال الغلام:

- لا تحزنى يا أمى.. سأبيع هذا المصباح الذى وجدته فى السرداب ثم نشترى بثمنه طعاما كثيرا.

وبدأ الفتى يحك المصباح لينظفه. ومرة أخرى لمس الخاتم جوانب المصباح.. فاذا البرق يخطف، واذا العفريت ينطلق منه، وينحنى فى احترام ويقول:

- مولاى.. أنا عبدك بين يديك.. مر بما تريد انفذه فى اللحظة والتو..!

ولم يرتعد الفتى هذه المرة. بل قال له فى شجاعة:

- أرجو أن تأتينى بأرز مطهو.. وآخر غير مطهو..!

وفى اللحظه نفسها.. امتدت أمام الفتى وأمه مائدة حافلة بأطباق أرز ساخنة، والى جوارها أكياس أخرى مليئة بأرز كأنه حصد منذ لحظات.

ومضت أيام ونسى الغلام أمر المصباح..!

ثم مضى عام.. وتبعه أعوام.. وبلغ الغلام مبلغ الشباب.

وذات يوم بينما هو يسير فى الطريق. اذ مرت به ابنة حاكم المقاطعة تختال فى محفتها وهى فى الطريق الى البحيرة. وراح الفتى يراقبها ويتبعها حتى بلغ حاملو المحفة جانب البحيرة.. ونزلت الأميرة الجميلة وخلعت ملابسها.. ثم

انزلقت الى الماء تستحم.

واختبأ الفتى خلف شجرة، وراح يراقب حركات الأميرة، وقد امتلأ حبا وشغفا. وعندما عاد الى البيت آخر اليوم كان ملء أعماقه رغبة فى أن تصبح الأميرة زوجة له..!

وانطلق الفتى الى أمه يستحلفها أن تذهب الى الرجا فتخطب له ابنته. وزهلت المرأة وهى تسمع طلب ولدها. وقالت له:

– كيف يا ولدى.. وهل تجرؤ على خطبة ابنة الرجا ونحن فقراء لا نملك شيئا على الاطلاق..!؟

أجاب الفتى العاشق:

–اذهبى اليه يا أماه واسأليه عن شروطه.. لعل السماء التى ملأت بالحب قلبى أن تمنحنى ما يطلب الرجا لقاء هذا الحب..!

وانطلقت الأم الى الرجا فوقفت ببابه. وقالت له فى استحياء إن ولدها يحب الأميرة.. ويسأله أن يأذن له بزواجها..!

وأجاب الرجا:

– لامانع لدى من أن تتزوج ابنتى.. ولكنى لن أزوجها الا لمن يستطيع أن يقدم لها من المال ما يزيد على ما املكه انا نفسى..!

– وعادت الام الى ولدها فحدثته بما أجاب الرجا. وامتلأ الفتى حيرة وراح يقضى النهار والليل يفكر ويبكى.. والعشق يكاد يقضى عليه.

وبينما الفتى فى عذابه اذ ذكر العفريت الذى كان يظهر له عندما يحك بخاتمه المصباح. فانطلق اليه ومد اصبعه بالخاتم يفعل به كما كان يفعل من قبل. وفى اللحظه نفسها انطلق العفريت من المصباح. وقدم له من المال أضعاف ما يملكه الراجا..

وحمل الفتى كنزه الى قصر الرجا الذى فتح عينيه دهشة. ثم قبل أن

يخطب له ابنته، وحدد موعدا قريبا لاتمام الزفاف.

غير ان الوقت راح يمضى والرجا لايريد أن ينجز وعده. وعندما ذهبت اليه أم الفتى آخر الأمر تستنجزه الوعد، راح يحاول التهرب والتحلل مما وعد به، فلما ضيقت عليه الخناق طلب أن يعد الفتى لابنته قصرا لا يقل عن قصره رونقا وفخامة.!

وامسك الفتى المصباح من جديد..وطلب من العفريت أن يبنى الى جوار قصر الرجا قصرا يفوقه جمالا ودقة.. وبينما الليل يمضى كان العفريت قد انتهى من تشييد قصر رائع بدا قصر (الرجا) الى جواره كوخا ضئيلا.

وكان لابد للراجا بعد ذلك ان يمتثل..

وتزوج الفتى بفتاته...

ومضت شهور.. من بعدها شهور..

وذات يوم خرج الفتى فى رحلة صيد. وبينما هو على مسافة غير قصيرة من القصر ظهر أمام البوابة رجل كئيب الوجم عملاق. كان هو نفسه (العم الشرير) الذى حبس الغلام فى ظلام السرداب.

وفتحت الأميرة باب القصر للرجل الذى كان يحمل مصباحا جديدا يتألق ويبرق. وعرض الرجل على الأميرة المصباح الجديد متنازلا عنه مقابل أى مصباح قديم تعتر عليه فى القصر..!

وفرحت الأميرة بالمصباح الجديد.. وانطلقت تبحث عن مصباح زوجها القديم الذى علاه الصدأ، فأعطته للرجل.. وهى لا تدرى من أمره شيئا..!

وعندما ابتعد الرجل قليلا عن القصر.. حك المصباح بخاتمه.. فظهر العفريت وانحنى يقول له:

- مولاى.. أنا عبدك بين يديك.. مر بما تريد انفذه فى اللحظة والتو..!

وطلب الرجل من العفريت أن ينقل القصر والأميرة بداخله الى بلده عبر البحار...

وعندما عاد الأمير من صيده يبحث عن قصره فما وجد له أثرا.

وراح يصرخ ويبكى كمن أصابه مس.. وينادى على زوجته الحبيبة.. ولكن رجع الصدى وحده هو الذى كان يجيبه من بعيد..!

ولم يكن من الممكن أن يفهم الرجا شيئا من ذلك السر المجهول.. كل ما كان يبغيه أن تعود ابنته التى اختفت مع القصر.. وصرخ الرجا فى الفتى وهو يهدده ويتوعد:

– سأمهلك ايها الفتى ثلاثة عشر يوما. فاذا لم ترد الى ابنتى خلالها.. قطعت رأسك قبل الصباح.

وانطلق الفتى يبحث فى جنون. وراح يدور فى كل مكان، فى الصحارى والقفار.. فى الجبال والوهاد، ولكن أحدا لم يستطع أن يهديه قط..!

وجاء اليوم الثالث عشر. وأيقن الفتى أن الغد سيحمل له الموت فاستسلم لقدره، وصعد على قمة جبل ينام على الصخر ويريح جسده المنهوك.

وبينما هو نائم.. اذ احتك خاتمه بالصخرة التى اسند اليها رأسه.. وفى لحظة ظهرت جنية أيقظته وسألته عما يريد..!!

وصرخ الفتى:

– لقد فقدت زوجتى وقصرى.. فدلينى على مكانهما اذا كنت تعرفين.

وتحولت الجنية الى نسر كبير طار به فى الهواء. وعندما بلغ بلد التاجر هبط النسر وترك الفتى أمام باب القصر.. ثم اختفى كأنما بلعته الأرض.

وبقدرة السحر حول الفتى نفسه فى هيئة كلب. وانطلق فى حديقة القصر حيث كانت الأميرة تستلقى فى زهول. وعندما رأته يتمسح بها، وأطلت فى أعماق عينيه أدركت انه زوجها الحبيب.. فعانقته وراحت تحدثه عن التاجر الذى

خطفها. وقالت إنه خرج فى عمل سيعود منه بعد لحظات. وعندما سألها الفتى عن المصباح.. قالت له ان التاجر لا يتركة فى القصر أبدا.. بل يحمله فى سلسلة تحيط عنقه حتى لا يخطفه منه أحد...

وسألها زوجها:

- وما الذى يمكن أن نصنعه الآن..؟!

أجابته الزوجة الوفية:

- ان الشر لا يقضى عليه الا الشر. فدعنى أدس له السم فى طعامه هذا المساء..!

وعندما عاد التاجر من عمله.. أمر بعشائه فأعد له. واذ انتهى منه أحس آلاما كريهة قاتلة.. ولم يكد يدرك سرها حتى سقط على الأرض ميتا..!

وعاد الكلب الى صورته الاولى.. ومد الفتى يده فخلع المصباح من السلسلة التى تحيط بعنق التاجر. وسأل العفريت أن يعيد القصر وهما فيه مكانه الأول.. بجوار قصر الرجا..

وحمل العفريت القصر فوضعه فى مكانه القديم.. ولكنه قبل ان يختفى أقسم ألا يعود أبدا.. فما عاد يستطيع حمل القصور.

■ ■ ■

# عريس واحد وست فتيات

(لهذه الاسطورة فى الأدب الهندى مثل ما لمجنون ليلى من مكانة فى الأدب العربى. ففيها يتمثل الحب بكل ما يحمل من وفاء. وبكل ما فيه من تضحيات، وبكل ما يصور من مثل عليا لها طابعها الفريد الخاص..

ولكن جنبا الى جنب مع قصة الحب البرىء، تبرز من بين السطور قصة أخرى تزيح الستار عن نقائص المرأة السبع الكبرى.. الكسل، والغرور، والبخل، والحسد، والشراهة، والغضب، والاسراف.. وهو ما لم تنس أن تقدمه هذه الأسطورة..!)

لم يكن (مادهو) الحكيم الهندى يأسف لشىء مثل عجزه عن الحصول على زوج لكل من شقيقاته الست. وكان يعلم جيدا أن فتياته يقضين فى بيته أياما شقية تتمنى كل منهن أن تهجرها وترحل عنها الى بيت أى عريس يمكن أن يقع فى شباكها. غير أن أحدا من العرسان لم يحاول الاقتراب من بيت مادهو.. فقد كان قبح (زهرة اللوتس) أكبر شقيقاتها الحكيم، وسوء خلقها يحولان بين أى عريس يمكن أن يحاول خطبة أى من شقيقات الصغيرات. فقد كان لها هى حدها الحق فى الخروج، والحق فى الكلام، والحق فى مخاطبة الشبان. والحق أيضا فى الحصول على أول الأزواج..!

وبلغت (زهرة اللوتس) سن الأربعين. ولم يعد فى استطاعة شقيقاتها الانتظار أكثر مما بدأت كل منهن تفكر فى وسيلة للخلاص من (العانس العجوز) لولا بعض خير يرسب فى قلوبهن.. من ذلك النوع الذى يملأ قلب شقيقهن..

ولمس (مادهو) ما بلغ اليه الحال من حرج.. فأقسم ألا يرفض زوجا يتقدم لأى من الفتيات.. حتى ولو طلب العريس يد (نور الفجر) الصغيرة التى لم

تتجاوز السابعة عشرة بعد..!

فى ذلك الوقت، التقى مادهو بضابط شاب غنى يسمى (شاندور) وكان شاندور من ذلك النوع من الشباب العربيد الذى لا يعرف كيف تكون الحياة بعيدا عن زوجات الآخرين..!! غير أنه فى ذلك اليوم الذى التقى فيه بمادهو، كان قد سئم عبء هذه الحياة وقرر أن ينفض عن نفسه ثوب الخطيئة... ويتزوج..!

وعرض الحكيم على الضابط أن يزوجه واحدة من شقيقاته الست (الجميلات) ولم يرفض شاندور عرض صديقه.. غير انه اشترط أن يقضى فى بيته أربعا وعشرين ساعة.. يكون له الحق بعدها فى اختيار العروس التى يريد..

وانطلق (مادهو) يبشر شقيقاته بالعثور على الزوج.. ويخبرهن بالشرط الذى أبداه.

وهزت (زهرة اللوتس) رأسها فى استنكار وهى تقول:

- يتخير عروسه..!؟ هل نحن بقرات يأتى الغريب ليقلبهن ويركبهن ليشترى منهن واحدة..!؟

وقال لها مادهو:

- ان هذا من حقه.. ومع ذلك فإن لك امتياز الأولوية فى التقدم اليه.. بحكم الأقدمية..!

وهتفت الفتاة:

- ولكن لم لا تقدمنى وحدى على شقيقاتى.. ثم يكون لهن حق الزواج بعد ذلك من أى فتى يردن..!؟

قال مادهو:

- لقد فعلت ذلك مدى عشرين عاما.. ولكن الضابط صمم على شرطه - فهل أدعه يفلت منا..؟

هتفت الفتيات الباقيات فى صوت واحد:

- لا .. لا .. ان من حقنا ايضا أن نتزوج. ومن حقه وحده أن يختار الزوجة التى يريد..!

وعاد الحكيم يقول:

- ولكنى أريد أن أصارحكن بما لا أبوح به لأحد غيركن.. لقد اجتمعت فيكن النقائص السبع الكبرى.. الكسل، والغرور، والبخل، والحسد، والجشع والغضب، والاسراف.. ويجب أن تتخلصن منها قبل أن يأتى العريس المنتظر..!

وصاحت (زهرة اللوتس) فى شقيقاتها وكأنها وضعت على رأسها هالة قدسية:

- ان النقائص السبع تجتمع فيكن.. ولهذا فلن تستطيع واحدة منكن اختطاف العريس الجديد الذى سيكون من نصيبى وحدى..

وهتفت أسولا:

- ان النقائص فيك انت وحدك، أما أنا فطاهرة نظيفة لا يستطيع أحد أن يعثر لى على نقيصة..!

ودبت المعركة بين الفتاتين واشتركت فيها بعد ذلك بقية الشقيقات.. عدا نور الفجر.. أصغرهن وأجملهن.. وأبعدهن عن أية نقيصة من النقائص الكبرى السبع.

وهتف مادهو:

- سكوتاً.. وإلا فلا زوج..!

وفى لحظة. انتهت المعركة، وبدت كل منهن وكأنها كانت بعيدة كل البعد عما دار فى القاعة منذ لحظات. واطمأن مادهو الى الهدوء الذى ساد المكان. فنهض ليدبر غرفة للضابط شاندور، والجندى الذى يوم على خدمته.

لم يكن (مادهو) يغادر القاعة حتى تسللت (زهرة اللوتس) الى مخدعها، فأغلقت من خلفها الباب، وراحت تلتهم أوراق كتاب (فن الحب) وتحفظ ما جاء به من نصائح تمكن المرأة من الفوز بقلوب الرجال. وعندما استوعبت كل ما قرأت من نصائح، تزينت بأجمل ما لديها من جواهر، وارتدت أغلى ما لديها من ثياب، وفتحت الباب لتشترك مع شقيقاتها فى قاعة الجلوس..!

وأطلت (زهرة اللوتس) الى شقيقاتها.. فاذا كل واحدة منهن قد فعلت بنفسها ما فعلته هى أيضا.. الا نور الفجر، فقد كانت لا تزال جالسة فى المقعد الذى كانت تجلس عليه من قبل بغير ما زينة او جواهر، تقرأ كتابا فى الشعر، وكأنها لا تهتم لما يدور حولها على الاطلاق.

قالت مورارى، وهى التى تلى (زهرة اللوتس) فى السن:

- أقسم أننى وحدى التى سأفتن الضابط شاندور..!

فأجابتها (ياداة):

- لن يفتنه الا جمالى.. وأنا واثقة من أننى أنا التى ستفوز بحبه واعجابه.

واسكتتهما (زهرة اللوتس) وهى تستعيد فى رأسها نصائح كتاب (فن الحب) التى استوعبتها منذ لحظات وقالت:

- انما تخدعن أنفسكن.. فأنا التى سأفقده وعيه..!

فأجابتها أسولا ساخرة:

طبعاً سيفقد وعيه.. ولكن لقسوة الواقع..!

وانطلقت اللعنات من فم (زهرة اللوتس).. وأجابتها بألعن منها كل من الشقيقات الأخريات. وبينما الشجار يكاد يتحول الى معركة، ارتفع صوت (نور الفجر) فى رقة وعذوبة:

- يا شقيقاتى العزيزات.. خير لكن بدل الشجار أن تصلين لكاما.. اله الحب.. حتى يسبغ عليكن من الجمال ما يسحر قلب الضابط ويغريه بالاختيار..!

وسكتت الفتيات فى الحال.. ثم ركعن جميعا فى خشوع رافعات أيديهن الى السماء يسألن كاما ان يزيدهن حسنا وجمالا فى عين العريس المنتظر..!

وفى تلك اللحظة، دخل مادهو يعلن قدوم الضابط.

وانقطعت الصلاة.. فما عاد هناك وقت لاتمامها.. وأسرعت كل من الفتيات تتخذ لنفسها خير الأوضاع لابراز محاسنها والكشف عن مفاتنها.. وترسم على شفتيها ابتسامة حارة تنم عن الترحاب الصادق، والاستقبال الحافل..

ودخل شاندور القاعة. ومن خلفه جنديه وتابعه (سانفو).. وراح ينحنى تحية لكل من الفتيات اللاتى وقفن كتماثيل مرسوم على وجهها بسمات صناعية جليلة المعالم.. فرسم هو الآخر على وجهه بسمة من نفس النوع وهو يقول:

- مرحى مرحى.. ما أروع المشهد الذى يتبدى لعينى لقد ملأتن أحلامى منذ أيام.. ورأيتكن بعين خيالى. ولكن خيالاتكن عجزت عن أن تصور الحقيقة الرائعة التى اتمثلها أمامى الآن.. فأنتن فى الواقع أكثر جمالا وأروع حسنا من كل ما تخيلت.

وتصنعت الفتيات الخجل، وتركن أخاهن يجيب التحية الرقيقة العذبة بخير منها ويقول:

- مرحبا بك أيها الضابط العظيم.. الذى جمع كل صفات المجد والنبل والثراء..!

وتحركت (زهرة اللوتس) الى الأمام.. وبدا لها أن تكون البادئة بالكلام لعلها تلفت نظر الضابط الى جمالها ورونقها. ورآها شاندور فانحنى من جديد أكثر مما انحنى من قبل.. والتفت الى مادهو وهو يشير الى زهرة اللوتس ويقول باحترام:

- ليحرسكما الرب فيشنو.. وليسبغ رعايته عليك وعلى أمك..!

وصرخت (زهرة اللوتس) مجفلة كأنما لدغتها عقرب:

- أمه.. أمه.. إننى صغرى أخواته.. أصغرهن جميعا..!

وقال مادهو:

- أجل انها من أصغر أخواتى.. فقد كان لى ست وثلاثون أختا رزق بهن أبى من ثلاث نساء. وقد تزوجن جميعا عندما كبرن.. ولم يبق سوى هؤلاء الفتيات الست الصغار..!

وانحنى شاندور من جديد لزهرة اللوتس وهو يقول:

ما أشد غبائى.. فقد خدعتنى الأصباغ على وجهك فحالت بينى وبين الحقيقة..!

وجذب مادهو ضيفه فى اضطراب إلى الحجرة التى خصصها له. وعندما جلسا وحدهما قال شاندور:

- ما أجمل شقيقاتك وافتنهن. وما أسعدنى بالحصول على عروس منهن تزيل وحشتى وتملأ وحدتى وتترع حرمان قلبى.

وأجابه مادهو فى ابتسامة راضية:

- اذا أردت أن تسعد حقا فأنا أرشح لك (زهرة اللوتس).. فهى مثال الرقة والعفة وعلو النفس.

وهز شاندور رأسه وهو يقول:

- حقا.. حقا.. ان لها لصفات حميدة كثيرة.. ولكن هناك سنها..!

أجابه مادهو:

- لا تخدعنك الظواهر. ومع هذا أليست الأكبر هى أقدر الجميع على الفهم والادرك وأكثرهن اهتماما بأمور الزوج وحاجات البيت؟

قال شاندور:

- أعلم هذا. ولكن ألست ترانى سريع الغضب عنيف الرد مما قد تعجز

فتاة مثلها على ارضائى؟ ومع ذلك فهبنى لا أميل اليها ولا أبغيها!؟

قال مادهو:

– لتكن الثانية اذن.. موراری.. انها مثال اللطف والسماحة والبراعة فى الحب والارضاء.

هز شاندور رأسه وقال:

– لنفرض أننى لاأجد ما يجذبنى اليها، فماذا يكون الأمر..!؟

أجاب مادهو:

– تكون أحق بالثالثة.. رادها.. فهى أقدرهن على خلق السعادة وملأ جو البيت فرحا وبهجة.

قال شاندور:

– هب أننى..

وقاطعه مادهو:

– يبقى بعد ذلك اثنتان.. يادافا، وأسولا،ودعنا من أمر نور الفجر فما زالت صغيرة يافعة..!

وسكت شاندور، وسرح ببصره فى شرود. ثم قال وهو يهمس:

– انها لطيفة...

وأسرع مادهو وهو يقول:

– بل انها فى غاية اللطف والرقة.. وهى أفضل من جميع الأخريات اذ هى خلو من كل العيوب..!

وانتهز الضابط الفرصة وهتف:

– اذن للأخريات عيوب!؟

وعض مادهو على نواجزه لانزلاق لسانه. ولم يجد الا أن يقول له:

- ان بوسعك على أى حال أن تختبرهن بنفسك. وستجد متسعا لذلك خلال الأربع والعشرين ساعة التى ستقضيها بيننا. وأؤكد لك أنك ستجد كل واحدة من الفتيات خيرا من الأخرى حتى لتعجز عن اختيار أفضلهن..!

ووافق الضابط على فكرة الاختبار. وقرر أن يختبر كل واحدة من الفتيات على حدة، يجلس اليها فترة فى المساء، يتحدث اليها، ويستشف أخلاقها وثقافتها ويقارنها بالأخريات.

وقبل أن يهبط الليل خرج الجميع الى الحديقة، وراح شاندور يجرب أمامهن قوسه وسهامه، فيصفقن له كلما أصاب هدفا. وظلوا على ذلك حتى جاء المساء.

وهنا بدا الاختبار.. وكانت (زهرة اللوتس) قد ذهبت الى مطبخ الدار تصنع عجة. فحمد شاندور للقدر تلك الفرصة وجلس مع الفتاة التى تليها (مورارى).

لم تكد مورارى تدخل قاعة الجلوس حتى تثاءبت.. وعندم دعاها للجلوس ليتبادلا الحديث قالت له:

- ما دمت تريد أن نتحدث.. فأرجو أن تحضر ذلك المقعد الذى فى أقصى الغرفة لأجلس عليه..!

ونهض (سانفو) من مكانه ليقدم لها المقعد وعندئذ لمحت فى يده مروحة صغيرة فقالت له:

- ما اشد الحر هنا.. ألست ترى اننى وانا امرأة، أحق منك بهذه المروحة؟

وقدم لها (سانفو) مروحته فى هدوء. فأمسكتها بيدها وظلت تجلس ساكنة والعرق يملأ جبهتها وخديها. وعندما ازداد عرقها قال لها الضابط:

- حركى المروحة حتى تمنع الحر عنك..!

قالت له وهى لا تزال ساكنة:

- اننى تعبة.. فهل لك يا عزيزى أن تأمر الخادم بتأدية تلك المهمة!؟

وانحنى التابع فى سخرية، وأمسك المروحة وراح يحركها أمام وجهها ليخفف عنها الحر. أما الضابط فقد راح يحدثها فى موضوعات شتى.. يتنقل بها من حديث الى حديث، فلا يجد جوابا بأكثر من لا أو نعم. وخيل اليه انها استكثرت حتى الاجابة بأحداهما عندما وجدها لا تجيبه. وبعد لحظات سمع غطيطا خفيفا يتصاعد مع زفرات مورارى هاتفة:

وتناول الضابط المروحة فألقاها على وجه مورارى، فما تحركت. فنهض من مكانه ليغادر القاعة، واذ ضحكة صاخبة تنطلق من عند الباب فأطل فاذا (زهرة اللوتس) التى كانت تسترق السمع تدخل القاعة.. لقد كانت نائمة..!!

- هل نامت الكسول كالعادة..؟ ان هذا هو عيبها الذى تفشل دائما فى اخفائه.

وتقدمت (زهرة اللوتس) بجوار الضابط. وبدأت تحدثه وتقول:

- لست أدرى كيف نامت هذه الكسول. وهل يطيق الرجل امرأة تنام بين يديه..!؟ اننى لا يمكن أن أنام على حين أن زوجى الحبيب يحدثنى ويجلس معى.

وبينما هو يتحدث اذ بالشقيقة الثالثة، رادها، تدخل القاعة فى صخب بلا استئذان، ثم تهتف فى اختها وهى تختلس النظر الى الضابط الجميل:

- أهكذا تهملين العجة وتتركينها على النار حتى تحترق!؟ لو كنت مكانك لاهتممت بالطعام واتقنت صنعه بدل أن أتركه يفسد..!

وأدركت (زهرة اللوتس) أن أختها تريد أن تنتهز الفرصة لتكشف عيوبها.. فقالت لها ساخرة:

- هل تظنين أنك بمسلكك هذا قادرة على اسعاده.

قالت لها رادها:

- بالطبع أستطيع اسعاده. سأهتم دائما بطعامه واتقن صنعه. سأقدم له

حساء السلحفاة فى السابعة صباحا متى استيقظ من النوم. وأقدم له الفطائر المحشوة فى الثامنة. وفى التاسعة أكون قد أحضرت له الافطار وفيه طبق من المربى التى اتقن صنعها بيدى. ومتى جاءت العاشرة أكون قد صنعت له طبقا من الأرز بالتوابل. أما فى الحادية عشرة فسيكون اللحم قد تم طهوه فأقدمه له. وعندما يحل الظهر أكون... وصرخ شاندور يقاطعها:

- كفى كفى يا آنستى فمن المستحيل أن آكل كل هذا ..!

قالت رادها فى زهو:

- اننى أحب الطعام. ولذلك لا يمكن أن أترك (العجة) تحترق.

وتذكرت (العجة) المتروكة على النار. فغادرت القاعة وانطلقت الى المطبخ، فى حين ابتسمت (زهرة اللوتس) فى ارتياح. فقد اقتنعت أن الضابط قد أدرك عيوب (رادها) كما أدرك من قبل عيوب موراری. وهكذا اختفت من أمامها منافستان خطيرتان.

وعادت (زهرة اللوتس) تتحدث عن أختيها، وتتبسط فى ذكر معايبهما. وبينما هى كذلك اذ انحنى التابع على ضابطه وأسر اليه كلمات ابتسم لها فى سخرية. وغاظ هذا التصرف (زهرة اللوتس) وظنته يسخر بها فهتفت فى عنف:

- منذ متى يتدخل الخدم فى أحاديث سادتهم؟

وسكت (سانفو) وهو يكظم غيظه، على حين حاول شاندور تهدئتها وتغيير مجرى الحديث وقال:

- وكيف تستطيعين أنت اسعاد زوجك؟!

أجابته زهرة اللوتس:

- ألا يكفى لاسعاد زوجى أن أبدأ حياتى معه بصداق كبير.. أكبر من صداق كل اخواتى اذ اننى أكبرهن..؟!

قال لها شاندور:

- أنا لا اهتم بالصداق او المال.. فانا أملك منه ما يزيد على حاجتى..!

وتذكرت (زهرة اللوتس) انها لم تنفذ النصائح التى قرأتها فى كتاب (فن الحب). وحاولت ان تتذكر شيئا من النصائح فوجدت انها قد نسيتها.

ونهضت (زهرة اللوتس) تستأذن فى الانصراف قليلا.. وفى ذهنها أن تذهب الى حجرتها لتعيد قراءة (فن الحب).

وعندما غادرت (زهرة اللوتس) القاعة.. ظهرت (أسولا) بالباب تختال زشاقة وهى تتحنى وتستأذن فى الدخول. وهمس الضابط كأنما يحدث نفسه:

- لقد ذهبت الكسول، والأكول، وسليطة اللسان. فماذا يكون وراءك أنت..!؟

واستقبل الضابط (أسولا) فى ترحاب، ودعاها الى الجلوس وهو يقول:

- ما أغبانى اذ أنسى الأسماء دائما.. أليس اسمك ا.. س..

واسرعت أسولا تقاطعه:

- أسولا.. اسمى أسولا.. وان شقيقاتى يسميننى (ذات الأنف المثلج)!

وفتح الضابط عينيه فى دهشة وقال:

- ولماذا يطلقن عليك ذلك الاسم؟

أجابت الفتاة وهى تضحك فى مرح:

- لأن جسمى يصطك بردا من أشد الأيام قيظا..!

وهز شاندور كتفيه وهو يقول:

- مهما كان الامر فانا لا أهتم بالجسد بقدر ما أهتم بالروح. ولهذا فأريد أن اسألك أولا سؤالا لم أستطع أن اجد جوابه عند شقيقاتك، مما يجعلنى أنصرف عن زواجهن. فكيف تستطيعين اسعاد زوجك.. وما هى وسائلك الى راحته؟

قالت أسولا:

- ليس الأمر عسيراً قط.. فهناك وسيلة واحدة شاملة لاسعاده.. هى أن أفعل كل ما يريد.

قال لها وهو يفتح عينيه دهشة:

- ماذا تقصدين بكل ما يريد..؟

أجابت أسولا:

- أعنى كل شىء، فعلى المرأة أن تطيع زوجها، وألا تكون كسولا أو أكولا، أو سليطة اللسان.

واهتز شاندور طربا وشعر كأنه قد وجد بغيته. وعاد يسألها:

- وهل هناك وسائل أخرى لاسعاد زوجك؟

قالت الفتاة:

- اذا لم يكن يكفيه هذا فأنا أستطيع أن اجذبه الى بمختلف الوسائل الأربع والستين التى ذكرها الاله كاما فى كتابه.

وامتلأت نفس الضابط غبطة وراحة وسرورا. فقد أيقن انها هى الزوجة التى تستطيع أن تجعل من بيت زوجها جنة.. وقال لها:

- انك نعم الزوجة يا أسولا.. وخاصة اذا كنت تعرفين الرقص.

وضحكت أسولا.. فقد كانت بارعة فى الرقص.

ونهضت فى رشاقة تقدم رقصة مثل رقصة شيفا.. لم تكد تستمر فيها حتى انطلقت من فم سانفو ضحكة جهد أن يخفيها. ولم تكد أسولا تراه يضحك حتى اقتربت منه ومدت كفها فصفعته فى غضب وهى تصرخ:

- أيها العبد.. خذ هذه لك..!

ونهض ساندور غاضبا يهتف فيها:

- ما هذا الذى تصنعين..؟!

فمدت أسولا يدها من جديد وهبطت بصفعة أخرى على خد سانفو:

- وخذ هذه لسيدك..!

وانطلقت أسولا.ز الى خارج القاعة!

وفى تلك اللحظة كانت (يادافا) تتنزه فى الحديقة. وعندما أحست ضجة فى القاعة أسرعت لترى ما هناك. فوجدت شاندور منحنيا على (سانفو) يخفف عنه ما أصابه. وعندما شهدها شاندور، اعتدل فى وقفته واستعد لاستقبالها. غير انها أدارت ظهرها وانطلقت وهى تقول فى صوت مسموع:

- ألا ما أحقر سيد ينحنى على خدمه..! انما أريد أن أتزوج سيدا يحترم نفسه لا سيدا يحترم عبده..!!

وذهل ساندور، وجلس على مقعده وراح يفكر. لقد كان من العجب ألا يجد بين ست فتيات واحدة فقط تصلح للزواج.. وتخلو من العيوب.. فالأولى كسول، والثانية أكول، والثالثة سليطة اللسان، والرابعة طويلة اليد، والخامسة مغرورة يملؤها الكبر. والسادسة...

ولكن أين هى السادسة؟ نور الفجر. انه لم يختبرها بعد، ولم تحاول هى الحضور اليه كما تتابعت شقيقاتها الأخريات..

وقرر أن يذهب هو ليراها...

وتسلل شاندور من القاعة، وسار فى خفة حتى بلغ غرفة مسدلة الستائر، وأطل من خلال احد الثقوب، فاذا (نور الفجر) رائعة وديعة.. جالسة فى هدوء تكتب على الورق. ووقف فترة طويلة يتأملها، ثم سمح لنفسه أن يدخل الغرفة بغير استئذان. وانحنى أمامها معتذرا على جرأته فى اقتحام عزلتها. وقال لها فى أدب:

- هل أستطيع أن أسمح لنفسى بسؤالك عما تكتبين..؟!

وترددت (نور الفجر) لحظات.. ثم أجابته فى بساطة وخجل:

- كنت أنظم قصيدة..

قال الضابط:

- هل أستطيع أن أسمع بعض أبياتها..؟!

فرفضت الفتاة فى خجل. غير انه ألح عليها. فخجلت من الرفض. وفتحت الورقة وراحت تقرأ له ما كتبته.. لقد كانت أبياتا رائعة من شعر الحب.

قال لها وقد سمح لنفسه أن يجلس:

- ما اروع معانيها! وما أرق ألفاظها! انها لتكاد تحكى روعة جمالك ورقة نفسك. وتكشف الفرق الكبير بينك وبين شقيقاتك الأخريات.

وقالت له نور الفجر:

- ان شقيقاتى جميعا لطيفات.. رقيقات.. ولن تجد خيرا منهن زوجات..!

قال شاندور:

- بل ان اختيار إحداهن زوجة لأمر شاق. فما وجدت واحدة منهن خالية من العيوب..!

قالت له نور الفجر:

- لقد فهمتك الآن. فأنت صاحب مثل أعلى تريده فى المرأة. انك تريدها أن تكون رقيقة عذبة، بعيدة عن الغرور والحسد، ربة منزل متحفظة، أى أن تكون حائزة لجميع الصفات الحسنة.. وهذا ما لا يمكن أن يتوافر فى امرأة..!

هتف شاندور:

- ولكنها متوافرة كلها فيك انت يا نور الفجر.. فهل تقبلين أن أكون زوجك؟!

وانطلقت من بين شفتيها كلمة واحدة:

- لا...!

وفوجئ شاندور، فما تصور ان تجيب امرأة على عرضه بالرفض. وأحست الفتاة مقدار الصدمة التى أصابته بها. ولكنها قررت أن تواجهه بحقيقة رأيها فيه:

– انك يا سيدى تظن نفسك مالك رقاب.. يكفى أن تزور أسرة لينحنى لك كل فرد فيها.. وأن تصدر أمرك فيتلهف الجميع الى ارضائك إنك مستهتر مغرور يا سيد شاندور. ولن يشرف امرأة، أن تقبلك زوجا.. لأنك تستهين بالمرأة وتحتقرها.. وترى فيها محظية فحسب!

وأراد شاندور أن يحتج ويعترض.. غير انها استمرت تقول:

– اذا كنت ترانى كاذبة فيما أقول.. فهل تقسم على أن هذا لا يدور فى خاطرك!؟

وسكت شاندور.. وراحت مظاهر الاعجاب المختلط بالدهشة تتضارب فى الأعماق منه. وهنا قالت له:

– ها هو ذا سكوتك يعترف بدلا منك. ومع هذا فأنا لا أستطيع أن أنكر أنك نلت اعجابى. واننى اذا فكرت فى قبولك زوجا فإنما لى شروط أنا الاخرى.

وهتف شاندور مغضبا:

– شروط..!؟ لعلك تظنين نفسك خير النساء.. لا يا سيدتى انك لمغرورة متكبرة لا تقدرين قدر نفسك..

فقالت له فى ابتسام:

– اذا كنت مغرورة فلدى ما اغتر به. أما أنت فماذا لديك؟ أتراك كريما.. أم ذكيا!؟ انك لا تستطيع أن تنكر انك كسول..!

وضرب شاندور الارض بقدميه فى غيظ. ونهض من مكانه وغادر الدار مغضبا. وقد اقسم الا يتزوج على الاطلاق..!

فى اليوم التالى انطلق مادهو ومعه شقيقاته الخمس الى الوزير، وقد قررن

الانتقام من الضابط الذى رفض زواجهن. ولم تكن(نور الفجر) قد ذهبت معهن، فقد أبت أن تشترك فى عمل لا يرتاح له ضميرها. أو هى فى الحق كانت قد أحبت الفتى فاستكثرت أن تشترك فى مؤامرة تدبر ضده.

ووقف مادهو يطلب من الوزير انزال النقمة بشاندور. غير ان الوزير لم يجد فى مواد القانون ما يجعله يصدر حكماً على شاندور.. ولم يكد يعلن ذلك حتى هتفت مورارى تقول:

- هنالك قانون يا سيدى يعاقب من لا يدفع الضرائب.. وشاندور لا يدفع الضرائب قط برغم غناه.

وهتف الوزير:

- فكرة صائبة يا ابنتى.. فلنستدعه للتحقيق..!

- وأرسل الوزير جنوده لاستدعاء الضابط. وعندما حضر كان الوزير جالسا فى حجرة جانبية يدبر الأمر مع مادهو.. بينما كانت الفتيات الخمس يجلسن مع (أونا) زوجة الوزير التى راحت تستمع الى وصفهن له فى اعجاب.. ظل يزداد ويزداد حتى دخل الضابط القاعة. فأحست بقلبها يخفق بين جنبيها. ودار رأسها فى سرعة تدبر أشياء أخرى غريبة...

تقدمت (أونا) من الضابط وقالت له:

- لماذا ترفض دفع الضرائب أيها الضابط..؟!

أجابها شاندور:

- ولماذا أدفعها..؟!

قالت له:

- ان الضرائب تضمن للوزير حسن سير أمور الولاية.

قال لها:

- واذا كنت لا أرى أن شئون الولاية تسير سيرا حسنا..؟! بل أراها تسير من سيئ الى أسوأ..

وكان الوزير قد دخل فى تلك اللحظة.. فأثاره رد الضابط. وأصدر أمره فى الحال باحتجازه حتى يتم التحقيق..

واقتيد الضابط الى غرفة الحجز.. على حين كانت (أونا) تتبعه بنظرات ملؤها رغبة جامحة تشتعل كالنار.

وبينما هو فى غرفة الحجز، اذ أطل عليه من خارج النافذة وجه كان يعرفه جيدا.. انه وجه (نور الفجر)، التى لم يستطع أن ينساها منذ غادر دار أخيها حتى تلك اللحظة التى ظهرت له فيها وهو غارق فى ظلمات السجن...

وهمست الفتاة:

- أيها الضابط.. أسرع بالفرار.. وخذ هذه الأدوات اكسر بها نافذة السجن لتفر..!

وهز شاندور رأسه وقال لها:

- ولماذا اهرب؟! اننى أعرف جيدا كيف أرد على التهم التى يريدون إلصاقها بى...

ولكن نور الفجر هتفت فيه متوسلة:

- ان المسألة أدق وأخطر من كل ما يبدو لك.. فهناك مؤامرة تدبر ضدك. فاهرب فى الحال او ادفع لهم الضرائب التى يطلبونها منك قبل أن يلصقوا بك تهمة الاعتداء على الحكومة...!

قال شاندور:

- لن أدفع حتى أعرف سر الأمر بالقبض على. ومع هذا فما هو سر اهتمامك بى..؟!

أجابت الفتاة:

- لقد شعرت بالخطر الذى يحيط بك. ولقد كرهتك عندما كانت النساء يتلهفن عليك.. أما الآن، وأنا أجد الخطر المحدق بك، فلا يسعنى الا أن أسرع اليك لأنقذك.. فأنا.. أنا.. أنا أحبك..؟!

وفى تلك اللحظة سمع وقع أقدام الوزير. فاختفت نور الفجر.. على حين دخل الوزير الحكيم وأونا والفتيات الخمس. ووقف الوزير يقرأ الحكم الذى أصدره على المتهم:

- لقد حكمنا عليك أيها الضابط بالحرمان لمدة عام كامل من الحب فاذا خالفت القرار كان عقابك الموت. كما تعاقب بالموت أيضا كل امرأة تشاركك الحب خلال تلك المدة..!

وطربت الفتيات الخمس وصفقن شماتة.. على حين رنت (أونا) الى زوجها الوزير وهى تغمز بعينيها..

وملأ الزهو قلب شاندور.. وفى لحظة كان قد ارتمى على قدمى مادهو وهو يهتف:

- إننى ارتمى على قدميك أيها الحكيم طالبا يد نور الفجر..!

وصعقت الفتيات.. على حين كانت نور الفجر تدخل من الباب. وتحول الجميع اليها فاذا بها تقف فى جرأة وتعلن انها تحب شاندور وانها لن تتزوج سواه.

وهتفت (زهرة اللوتس) فى غيظ وشماتة:

- ولكن الحكم يحرم على الضابط الحب ولو ارتبطت معه برباط الزواج..

هز الفتى كتفيه وقد ارتاح لاعتراف نور الفجر. وقال:

- من أجل أن أكون جديرا بنور الفجر.. أقبل أن أظل عاما كاملا محروما من نيل ثمار حبى..!

وتحول الحكيم الى أخته وقال لها:

– ان من المستحيل يا شقيقتى أن يظل أى رجل وفيا لامرأة بعيدة عنه عاما بأكمله. فلا تصدقيه.. ومع هذا فان عليه أن يدفع أيضا الضرائب كاملة..!

فصاح شاندور:

– لا.. لن أدفع..!

وعندما رأى الحكيم جرأة أخته. وتصميم الضابط.. امر اثنتين من اخواته باقتياد نور الفجر الى البيت وحبسها هناك حتى لا تحاول الاتصال بالضابط السجين.

وبينما كان الجميع يغادرون غرفة السجن.. تأخرت (أونا) لتكون آخرهم.. ثم همست فى اذن الضابط:

– انك الآن تتحدى النساء.. ولكنك ستثوب الى رشدك بعد حرمان شهر كامل منهن. وسأكون انا عندك بعد انقضاء تلك المدة.. وسترى يومئذ انك سترتمى تحت أقدامى أنا.. ملتمسا حبى!

وضحك شاندور فى سخرية فقد أقسم أن يكون وفيا لنور الفجر مهما امتد به الحرمان.. ولو تجاوز العام...

والحق ان شاندور قد أثبت وفاءه للعهد.. فبرغم أن الحكيم ترك (زهرة اللوتس) لتراقب تنفيذ الحكم على الضابط بالابتعاد عن حب النساء.. وبرغم محاولات (أونا) خلال زياراتها له فى السجن لاغرائه على حبها.. الا ان شاندور ظل ثابتا على وفائه لنور الفجر.. ساخرا بكل رقابة.. مقاوما لكل اغراء.. مثيرا بتلك المقاومة قلوب كل الناس الذين راحوا يهاجمون الوزير لقسوة الحكم الذى اصدره على الفتى.. ويتهمونه بالسماح لامرأته بالتدخل فى شئون الحكم واصدار أحكامه كما تهوى النساء..!

وازدادت ثورة الرأى العام ضد الحاكم.. واضطر آخر الأمر صونا لكرامته

الى الذهاب الى مادهو، ودفع مبلغا كبيرا له كهدية صداق لاغرائه على قبول زواج الضابط بنور الفجر.. ودفع الضرائب المتأخرة من الهدية..!

وانطلق مادهو الى شاندور فى سجنه.. وعندما دخل عليه تلقاه بين ذراعيه.. وقال له:

- دعنى أهنئك على ثباتك فى حبك لنور الفجر. ولا تظن أننى قصدت ان أسبب لك كل تلك المتاعب، فانما كنت اريد ان اختبر قوة حبك واخلاصك لها.. وهأنذا أقدم لك اختى نور الفجر لتكون زوجتك.. أما الضرائب المتأخرة عليك.. فقد ذهبت الى الوزير بنفسى ودفعتها.. وهكذا سقط عنك الحكم..!

وفى نفس اليوم تم زواج العروسين. ومدت زهرة اللوتس يدها بنفسها فوق رأس أختها الصغرة تبارك زواجها.. وتتمنى لها التوفيق!

■ ■ ■

# السلطان الجشع

تروى الأساطير كثيرا من القصص والروايات التى ترجع عهودها إلى الأزمنة السحيقة[1] الموغلة[2] فى القدم، ومن بين ما ترويه الأساطير هذه القصة:

قيل: إن الملك (موررداجا) كان منذ ألف سنة، يحكم بلاد الغرب، وكان طول حياته ينتقل من نجاح إلى نجاح، ومن فوز إلى فوز، فى كل ما يقوم به من أعمال، ويشهر[3] من حروب.

وقيل: إنه كان يمتلك سبعة أمور ثمينة نادرة لا تقدر قيمتها بمال وهى: حصان أشقر جميل أصيل، وفيل أبيض، وجوهرة يتألق فرندها[4] تألق القمر البهى، ودولاب من ذهب يستطيع أن يطير بنفسه فى الفضاء، وزوجة بارعة الحسن والجمال، وفية مخلصة له، ورئيس وزراء حكيم رزين، وقائد ماهر مشهود له بالبراعة والمقدرة.

وكان له عدا ذلك ألف ولد، وكلهم كيس[5] ذكى مثقف شجاع شجاعة الأسود، اما رعيته فكانت غنية سعيدة تعيش فى أعطاف[6] الرغد والإقبال.

فأراد يوما أن يمتحن القدر ليعلم هل هو على العهد به خادمه ومسعفه فيما يطلب ويبتغى، فرغب إلى سيد السماء أن يمطر على بلاده سيلا من قطع الذهب والفضة، فانهمر ذلك السيل مدة سبعة أيام وسبع ليال، فغمر وجه

---

(١) السحيق: البعيد.

(٢) اوغل فى الشىء: بالغ وأبعد وذهب.

(٣) اشهر الحرب: أعلنها.

(٤) الفرند من الجوهر والسيف: ماؤه ووشيه ولمعانه.

(٥) الكيس: الظريف الفطن الحسن الفهم والأدب.

(٦) فى أعطاف: فى جوانب.

الأرض فى بلاده بالذهب والفضة.

ولما انقضى على تبوئه العرش ألف عام، قال فى نفسه: إنى اليوم السيد المطلق على بلاد الغرب، فما أسعدنى لو أستطيع أن أضم إلى بلادى بلاد الجنوب الخصبة الزاهرة.

وما كاد يفكر فى هذه الأمنية، حتى طار دولاب الذهب متجها إلى الجنوب، ولحقت به الجيوش راكبة متن الهواء، فاستقبلتها بلاد الجنوب التى يطمع فيها الملك بمزيد الترحاب، وخضع أهلها لسلطانهم الجديد عن رضى وطيب خاطر.

وانقضت بعد ذلك ألف سنة أخرى، فقال الملك فى نفسه: إنى اليوم السلطان المطلق على بلاد الغرب، وبلاد الجنوب، وبلاد المشرق، فما أسعدنى لو أستطيع أن أضم إلى هذه البلاد كلها بلاد الشمال.

فلم يكد يفكر فى هذه الأمنية حتى طار دولاب الذهب متجها إلى الشمال، فلحقت به الجيوش راكبة متن الهواء، فاستقبلتها بلاد الشمال التى يطمع فيها الملك بمزيد الترحاب، وخضع أهلها لسلطانهم الجديد عن رضى وطيب خاطر.

وانقضت بعد ذلك ألف سنة أخرى، فقال الملك فى نفسه: إنى اليوم السلطان المطلق على بلاد الغرب، وبلاد الجنوب، وبلاد المشرق، وبلاد الشمال، فما أسعدنى لو استطعت أن أصعد إلى السماء وأزور السلطان الذى يحكمها.

فلم يكد يفكر فى هذه الأمنية، حتى طار دولاب الذهب متجها إلى السماء، ولحقت به الجيوش راكبة متن الهواء.

فرحب ملك السماء بملك الأرض أجمل ترحيب، ودعاه إلى الجلوس بجانبه على عرشه، فأعجب (موارداجا) بالقصور السماوية أيما إعجاب، فواحد منها كان مشيدا من الذهب الأصفر، وآخر كان مبنيا بالفضة البيضاء، وثالث كان كله من البلور، ورابع من المرجان، وخامس من العنبر، وسادس من اللآلئ.

ففكر ملك الأرض الذى يحكم البلاد الأربعة فيها وقال فى نفسه:

- (إنى أملك أربع ممالك، فلو مات ملك السماء وخلفته على عرشه لجمعت السعادة من جميع أطرافها.)

وكان ملك السماء يملك ان يقرأ أفكار كل من يأتيه زائرا.

فشكر (مّورداجا) على زيارته، وأفهمه أنه لا يريد أن يطيل إقامته لديه، فرجعه إلى الأرض.

وعاد ملك البلاد الأربعة إلى الأرض، وانتابه[١] المرض لأول مرة فى حياته الطويلة، فلزم الفراش، وأحس أن منيته[٢] قد اقتربت، وأنه مفارق هذه الدنيا بعد قليل.

فاستدعى إليه وزيره الحكيم وقال له:

- (لو سألك سائل ما العلة التى قضت على الملك، وأوردته موارد الهلاك، فقل له إن العلة الوحيدة فى ذلك هى الجشع[٣] بل الجشع الأحمق، إنه العدو اللدود[٤] للحياة وللسعادة.)

- ... وصمم ملك (خوتن) ذات يوم على مهاجمة ملك (كشمير) ليضم بلاده إلى بلاده، ويستولى على كنوزه فيزداد بذلك ثراء وغنى، فقص عليه كاهن من الكهان هذه القصة البوذية، فاعتبر[٥] بها وانصرف عن محاربة جاره.

- فلو أن جميع رؤساء الدول والممالك، سمعوا مثل تلك المواعظ والعبر، وعملوا بها، لعم السلام على الأرض، ونعم البشر بالسعد والرغد والهناءة.

■ ■ ■

---

(١) انتابه: أصابه.

(٢) المنية: الموت.

(٣) الجشع: أشد الحرص وأسوأ الطمع.

(٤) اللدود: الخصم الشديد الخصومة.

(٥) اعتبر بها : اتعظ بها.

# من الأساطير الهندية القديمة
# ألف ليلة وليلة

## الملك والشيطان

على ضفة نهر (جودافارى) تقع مملكة (براتيشتانا).. وكان يجلس على عرشها الملك (تريفيكراماسينا)، الذائع الصيت، الذى كان نفوذه يضارع نفوذ الاله (اندرا)[1].. وقد اعتاد ذلك الملك أن يعقد ندوات أسبوعية، فى قاعة الاجتماعات الشعبية، يؤمها أفراد الشعب، ويتقدمون اليه فيها بمطالبهم ومظلماتهم..وهداياهم. وقد لاحظ الملك أن أحد المتسولين يداوم على حضور هذه الندوات، ويقدم اليه - فى كل مرة - هدية من الفاكهة.. فكان يقبل الهدية شاكرا، ثم يسلمها الى أمين الخزانة الواقف ضمن بطانته.

وذات مرة، جاء المتسول بهديته من الفاكهة ثم انصرف. وعندئذ لمح الملك قردا قد تحرر من وثاقة وتسلل مبتعدا عن صاحبه. فألقى اليه الملك بثمرة من ثمار الفاكهة، فما أن قضمها القرد حتى سقطت منها جوهرة ثمينة. فالتفت الملك الى أمين خزانته قائلا: (ان هذا المتسول يقدم هذه الفاكهة مذ عشر سنوات. فماذا فعلت بها؟)، فأجابه أمين الخزانة: (لقد كنت ألقيها فى المخزن من النافذة دون أن أفتح الباب. فاذا شئت بحثت لك عنها!)

وأومأ الملك برأسه موافقا. ومن ثم غادر أمين الخزانة القاعة، ولم يلبث أن عاد بعد هنيهة متهلل الأسارير، وقال للملك: (اننى لم أجد بالمخزن شيئا من الفاكهة.ولكننى وجدت بدلا منها كومة من الأحجار النفيسة).. فسر الملك بأمانة الرجل، وأهداه المجوهرات مكافأة له.

حتى اذا عاد المتسول فى اليوم التالى كعادته سأله الملك قائلا: (لماذا تأتى

(١) «اندرا» كبير الآلهة عند الهندوكيين.

كل يوم – يا سيدى – لتقدم فروض ولائك على هذا النحو الذى يكلفك غاليا؟.. سأرفض هداياك منذ الآن مالم تفسر لى الأمر). وقد تردد المتسول – فى البداية – لكنه لم يلبث أن انتحى بالملك جانباً وقال له: (اننى أرغب فى عمل تعويذة سحرية. وتلزمنى لذلك معونة رجل يتصف بالشجاعة.. لذلك أناشدك – يا أشجع الشجعان – ان تمد لى يد العون!).. فأبدى الملك استعداده للقيام بكل ما يطلبه منه، مما أدخل السرور فى قلب المتسول، فاستطرد: (اذن، تعال الى أرض المحرقة المتسعة الرقعة، فى اليوم الرابع عشر من محاق القمر، عند منتصف الليل. وستجدنى هنالك فى انتظارك تحت شجرة (الفاتا)، فأجابه الملك قائلا: (سأجىء بالتأكيد).

وما ان حل اليوم الرابع عشر من محاق القمر، حتى تذكر الملك الأمين الوعد الذى قطعه على نفسه للمتسول. فانتظر حتى غربت الشمس، ثم تسلل خارجا من القصر الملكى، متدثرا بعباءة زرقاء داكنة، قابضا على سيفه بيمينه استعدادا للطوارئ. حتى اذا بلغ المكان المحدد القاء، كان الظلام قد خيم على أرض المحرقة، وغدا الجو مقبضا كئيبا، تفوح منه رائحة الدخان ممتزجة برائحة الجثث المحترقة، وبدت له جمرات النار المتخلفة عن الحطب المحترق، وكأنها عيون شياطين تنظر اليه شذرا وتحيط به من كل جانب، كلما خطا خطوة فوق أكوام الجماجم والهياكل العظيمة المتخلفة من عدد لا حصر له من الموتى!.. وتعالت فى أذنيه الصيحات المفزعة التى كانت تتردد فى أرض المحرة، ملؤها الحقد والفزع الدفين، تلك الصيحات التى لا يمكن أن تصدر الا من اله الخوف!

بيد أن ذلك كله لم يستطع أن يثنيه عن عزمه، بل انه على العكس حث الخطى متقدما الى الامام، وهو يتلفت حوله.. وأخيرا لمح المتسول جالسا تحت شجرة (الفاتا)، وقد انهمك فى رسم دائرة سحرية! فبادره قائلا: (ها أنذا قد حضرت يا سيدى المبجل. فماذا تريد منى؟)، وعندئذ رمقه المتسول بنظرة تفيض امتنانا وعرفانا بالجميل، ثم أجابه: (لقد غمرتنى بفضلك يا صاحب الجلالة اذ أنجزت وعدك. ومادمت قد طوقتنى بهذا الجميل، أرجو منك أن تتم صنيعك

معى فتتجه نحو الجنوب، حتى تصادفك شجرة (سيستو) قائمة هناك فى عزلة عن غيرها من الأشجار، وعلى هذه الشجرة ستجد جثة مدلاة، فتكرم - يا مولاى الشجاع - وائتنى بهذه الجثة!)

وكان الملك من الذين يوفون بالوعد، فسرعان ما اتجه نحو الجنوب، ومضى فى طريقه لا يلوى على شىء، على ضوء الجمرات التى كانت ترسل بصيصا يهديه السبيل. وأخيرا وصل الى شجرة السيستو، وهنالك رأى جثة رجل مدلاة تتأرجح فى الهواء. فتسلق الملك الشجرة، وقطع الحبل الذى يربط الجثة بها فوقعت الجثة وارتطمت بالأرض. واذ ذاك ندت عنها صرخة حادة، وكأنها أحست ألما فظيعا!.. فنزل الملك وأمسك بالجثة فى رفق، خوفا من أن يكون صاحبها لا يزال حيا.. بيد أنه بوغت اذ سمع رنين ضحكات تخرج من فم الجثة، فأيقن أن شيطانا قد سكنها. الا أن ذلك لم يروعه، وانما واجه الشيطان بشجاعة قائلا: (لماذا تضحك؟ هيا قم، ولنذهب فى طريقنا!)

لكنه لم يكد يفوه بتلك الكلمات حتى اختفت الجثة عن ناظريه، وما أن راح يتلفت حواليه، حتى رآها مدلاة - مرة أخرى - من الشجرة.. وكان الملك الشجاع يملك قلبا صلبا لا يتزعزع، ولا تفيه حقه أثمن اللآلئ وانفس الجواهر!.. ومن ثم عاد فتسلق الشجرة، وقطع الحبل. ثم رفع الجثة فوق كتفيه، ومضى فى طريقه.. وفيما هو يسير تحدث اليه الشيطان من فوق كتفه قائلا: (سأحكى لك قصة طريفة تخفف عنك عناء الطريق. انصت:

## الرجل الذى تحول الى امرأة!

(تقع مدينة (سيفابورا) فى أرض نيبال. وفى عصر من العصور الغابرة، كان يتولى الحكم فيها ملك اسمه (ياساهكيتو)، ومعناه بيرق الشرف. وكان لذلك الملك وزير يدعى (براجنا ساجارا) - أى محيط الحكمة - خبر فيه الحنكة والحصافة فى ادارة شئون الدولة. ومن ثم ألقى عليه أعباء الحكم - بدلا منه - لينغمس هو فى اغتراف ملذات الهوى مع زوجته الفاتنة الملكة (كاندرابرابها)..

وما لبثت الملكة أن أنجبت له ابنة أطلقا عليها اسم (ساسيبرابها) أى (بهاء القمر).. وان كان ثمة اسم يناسبها فقد كان ذلك الاسم، اذ كانت تحاكى القمر بهاء ورواء. وكان مرور السنين لا يزيدها الا جمالا وسحرا، حتى أصبحت امرأة ناضجة، بالغة الفتنة والاغراء!

وذات يوم، خرجت الأميرة - مع صويحباتها - الى حدائق القصر، يستمتعن بمشاهدة المهرجانات التى أقيمت احتفالا بعيد الربيع. وفيما كانت منحية تقطف باقة من الأزهار، وقع عليها بصر شاب، هو ابن أحد أثرياء البرهميين، وكانت احدى يديها ممتلئة بالورد الذى قطفته لتوها، فلما مدت يدها الأخرى لتقطف مزيدا من الورد انثنى رداؤها قليلا، ليكشف عن ثدى ممتلئ، رخص، أبيض كالبللور. وكان هذا الشاب - ويدعى (ماناهسفامين) - قد خرج بدوره ليشاهد احتفالات عيد الربيع. فما وقع بصره على مفاتن هذه الحسناء حتى تسمر فى مكانه، وقد أحس بأنها سلبته لبه. ورغم أن اسمه معناه (مالك عقله)، الا أن الفتى، الذى صرعه اله الحب بسهامه الطائشة، غدا شارد الذهن، لا يملك عقلا على الاطلاق!

ووقف يسائل نفسه: (من عساها تكون؟ أتراها ربة اللذات خرجت من خدرها لتجمع الزهور - التى نثرها الربيع تحت قدميها - لتزين بها سهام حبيبها اله الحب؟.. أم لعلها حورية من الحوريات، خرجت من الغابة لتقدم فروض الطاعة والولاء للإله كريشنا؟).. وفيما هو واقف هكذا، وقد تسمر فى مكانه، لا يحير حراكا، لمحته الأميرة. فما أن وقع بصرها عليه حتى حسبته اله الحب مجسدا! وعلى الفور استولى عليها حنين طاغ اليه ورغبة عارمة فيه، حتى لقد نسيت تماما كل شىء عن أزهارها، وجسدها، وروحها! ووقف العاشقان يختلس كل منهما النظر الى الآخر فى صمت وخجل فطرى، أضفى عليهما مظهرا خلابا!

وفجأة انبعثت حولهما صرخات تنم عن الفزع، فلما رفعا رأسيهما ليتبينا جلية الأمر، وقع بصرهما على فيل ضخم، رهيب المنظر، يندفع نحوهما فى سرعة جنونية، مكتسحا الاشجار الضخمة التى تعترض طريقه!.. وكانت حرارة

الجو قد أهاجته وأثارت ثائرته، فحطم السلاسل التى كان مقيدا اليها، ثم انطلق هاربا ورنين السلاسل يصلصل خلفه. فاستولى الرعب على رفيقات الأميرة وولين الادبار هاربات، تاركات أياها لمصيرها!

ولكن (ماناهسفامين) ما كاد يلمح الخطر الذى يمدد حياة محبوبته، حتى اندفع نحوها، ورفعها بين ذراعيه القويتين، المفتولتى العضلات، مبتعدا بها عن طريق الفيل الهائج.وعندما أنزلها الى الارض كان قلبها يخفق فى قوة وعنف، وقد تضاريت عواطفها بين الخوف وذلك الاحساس الجديد الذى خدر أعصابها، والذى لم تخبره من قبل!.. فلما زال الخطر، عادت رفيقاتها اليها - ينتابهن احساس بالخجل لهربهن - وأحطن بها، ثم رحن يثنين على شجاعة البرهمى الشاب!

وفيما كن يقدن الاميرة الى القصر، التفتت خلفها، ووقفت لحظة ترمق محبوبها البطل بنظرات تنم عن العشق والهيام.. حتى اذا بلغت القصر لم تستطع أن تبعد طيفه عن ذاكرتها، بالليل أو بالنهار، وأحست بوخزات الهوى الجامح تقض مضجعها، وقد باتت تحترق بنار الحب الملتهبة!

أما (ماناهسفامين) فقد وقف يتابعها بنظراته الملتاثة، حتى اختفت عن انظاره داخل القصر. وعندئذ راح يناجى نفسه قائلا: (أواه!.. لم تعد الحياة تطيب بدونها!.. فلا ملجأ لى سوى معلمى (مولاديفا)، الساحر الاريب!)

وانتظر (ماناهسفامين) الصباح بفارغ الصبر، وقد بات ليلته يتقلب على الجمر، فما كادت الشمس ترسل أشعتها الذهبية على الكون، حتى كان البرهمى الشاب واقفا يطرق باب دار معلمه الساحر، زعيم اللصوص. وحين فتح له الباب وجده جالسا مع تلميذه (قمر) - الذى لم يكن يفارقه أبدا - يمارسان طقوس السحر العجيبة، التى كانت تضارع فى غرابتها غموض قبة السماء!.. وخر الشاب راكعا أمام الساحر، وألقى بين يديه بالمشكلة التى تنغص عليه حياته، والامنية التى يتعذر عليه تحقيقها دون عونه. فابتسم (مولاديفا) له، واعداً إياه خيرا!

وأخرج زعيم اللصوص من جرابه قرصا سحريا، ما أن وضعه فى فمه حتى

تحول الى برهمى عجوز، ثم أعطاه الشاب قرصا آخر، فانقلب - على الفور - الى فتاة صاعقة الجمال. واصطحب الساحر العاشق المدنف - بعد أن تحول الى فتاة فاتنة - الى الملك، والد الفتاة. وهنالك فى قاعة الاستقبالات الملكية جثا أمام الملك، ثم قال: (لقد رزقتنى السماء بولد واحد ليس لى فى الدنيا سواه. ولما بلغ طور الشباب طلب منى أن أبحث له عن زوجة تؤنس وحدته. فأخذت أتنقل هائما من بلد الى آخر، حتى عثرت له - آخر الامر - على فتاة تصلح له. فاستأذنت والديها فى اصطحابها معى. لكننى عندما عدت الى هنا وجدت ابنى قد فاض به القلق ونفاد الصبر، فخرج يبحث عنى. وهاأنذا الآن، يتعين على أن ابحث عنه بدورى. بيد أننى لا أعرف أحدا أستطيع أن أأتمنه على الفتاة. ومن ثم أحضرتها اليك - يا مولاى - لتعيش وديعة فى كنفك الى أن أعود. فأنت حامى حمى الشعب، وملجأ عند الحاجة!)

وخشى الملك أن تحل به لعنة البرهمى العجوز، اذا رفض أن يلبى طلبه، فنادى ابنته وقال لها: (احتفظى بهذه الفتاة - يا ابنتى - معك واكرمى وفادتها. ولتعش وتأكل فى غرفتك وتنام فى سريرك!).. وما أن اطمأن الساحر الى أن (ماناهسفامين) قد أصبح قريبا من معشوقته، متخفيا فى هيئة فتاة، حتى غادر القصر!

وبعد أيام قليلة، أصبحت الأميرة تثق بالفتاة ثقة عمياء، فجعلتها موضع سرها ونجواها. وما لبثت هذه الفتاة المزيفة أن اكتشفت أن الاميرة تخفى - تحت ستار المرح واللهو - حزنا وقلقا دفينين، وانها تعانى الارق فتقضى الليل تتقلب فى فراشها لا يغمض لها جفن.. فجف عودها وشحب وجهها. وذات ليلة همس لها (ماناهسفامين) فى أذنها، وهو ينام الى جوارها قائلا: (لماذا أراك تعيسة هكذا يا حبيبتى؟ ان كل يوم يمر يزيد من شحوب لونك، ويخمد الحياة فى جسدك الذى بات نحيلا كالعود الجاف، وكأنك تقاسين لوعة الفراق من حبيب لك. فأخبرينى ماذا دهاك. أتراك لا تثقين بى؟ هل بدر منى ما يدعوك الى اساءة الظن بصديقتك التى تحبك ولا ترجو لك سوى الخير. أقسم أن لا أصيب طعاما، الا اذا بحت لى بما يشغل بالك!)

فتنهدت الاميرة وقالت هامسة: (انك تعلمين أن الامر ليس كذلك. فانى أوليك ثقة لا مزيد عليها. بيد اننى لا أريد أن أشغل بالك بمشكلة لا أجد لها حلا. ومع ذلك فها أنذا أدلى اليك بالقصة بحذافيرها.. فانصتى:

(خرجت ذات يوم لأشاهد مهرجان عيد الربيع، واذا بى ألمح برهميا شابا يتمتع بقوة كالفولاذ، ورباطة جأش لا أجد من الكلمات ما يكفى لوصفها.. وكان لا يفتأ يرمقنى بنظرات خجلة، فخلته الربيع وقد بعث - بنظرة من عينيه - صديقه الحب الى الحياة!.. كان بجماله الخلاب يزيد من روعة الطبيعة وجمال الكون.ولكننى، واأسفاه، بينما كنت أتطلع اليه وعيناى تلتهمان أكسير الجمال الذى لاح فى وجهه المتلألئ كطلعة القمر وقت اكتماله، وقد تولتنى رغبة جامحة فى أن أنطلق وأرتمى بين ذراعيه، فى سرعة طيور الجنة.. اذا بى أسمع زمجرة رعد عاصف، وكأن يوم الحشر أقبل قبل أوانه، وما لبثت أن شاهدت فيلا ضخما، أصابه الجنون، فحطم قيوده، وهجم علينا فى سرعة رهيبة، والعرق يتفصد من جسده بغزارة. وقد فزعت رفيقاتى فولين الادبار، ووقفت فى مكانى كأننى تسمرت فى الارض، من فرط الفزع والرعب.. لكن البرهمى لم يبال بالخطر، واندفع نحوى بشجاعة الاسد، ورفعنى بين ذراعيه، وركض بى بعيدا عن طريق الفيل.. وكان لاحتكاك جسده بجسدى وقع غريب، فسرت الرعدة فيه، وأحسست به وكأنى قد فرغت لتوى من تدليكه بالمسك، أو كأننى قد أفرطت فى احتساء خمر الآلهة. وعندما عادت بى رفيقاتى الى القصر، انتابنى احساس من ألقى به من السماء الى الارض!

(ومنذ ذلك اليوم، صرت - حتى حين أكون مستيقظة - أرى سيد حياتى بجانبى، وقد شق طريقه الى، مستعينا بشتى الحيل الماكرة. أما فى الليل، فيتراءى لى فى المنام، وهو يعتصر جسدى بذراعيه المفتولتين، ثم يشبعنى - رغما عنى - عناقا وقبلات، لا تلبث أن تبدد حيائى وخجلى!

(وها أنذا بعيدة عن متناول يده، لا أعرف عنه شيئا لا أعرف حتى اسمه ولا أسرته.. ولا أى شىء على الاطلاق. كما اننى لا أعرف طريقة تجمع شملنا..

وهكذا بت اصطلى بنار البعد عن سيد روحى، مما يكاد يدفعنى الى الجنون!!)

وكان لكلمات الاميرة فى سمع العاشق المدنف، نشوة ألذ من النشوة التى لخمر الآلهة، فراح قلبه يرقص بين جنبيه، وقد أدرك أنه آن له أن يميط لها اللثام عن حقيقته فأخرج القرص من فمه، وعندئذ رأت أمامها شاباً، وسيما، قويا، يفيض رجولة وفحولة. ما لبث أن قال لها: (حبيبتى ذات العينين الفاتنتين اللتين تشبهان زهرة النرجس. انه أنا ذلك البرهمى الذى فتنته نظراتك فى الحديقة، وسلبه هواك رشده. لقد انتابنى حزن فظيع، اذ انتهى لقاؤنا على هذا النحو المفاجئ، وكان من نتيجة أساى وحزنى أن تحولت الى فتاة، كما كنت تريننى منذ لحظة. وقد آن لنا الآن أن نتخلص من تلك الآلام التى احتملناها طويلا، ولنبدأ حياة سعيدة، يظلها حب خالد لا يموت!.. فان صبر عاطفتى قد نفد، ولم أعد أطيق الانتظار!

فما رأت الاميرة فاتنها يبعث هكذا أمام ناظريها، على حين غرة، حتى فاضت روحها عشقا وصبابة، ولم تلبث ان ارتمت على صدره، وقد استسلم كلاهما للشوق واللهفة اللتين اعتملتا طويلا فى صدريهما، ووهب كل منهما نفسه للآخر على شريعة (جاندرهافاس)[1]، وقضيا ليلتهما يحتفلان بغرامهما المتوقد، ويجرعان كؤوس الهوى مترعة، حتى الصباح!

ومنذ تلك الليلة ، عاش (ماناهسفامين) فى قصر الملك بهيئتين مختلفتين.. فكان فى النهار يضع القرص فى فمه فيبدو فتاة، فى الليل يخرج القرص من فمه فيعود رجلا!

وكان للملكة (كاندرابرابها) - زوجة الملك (ياساهيتكو) - أخ يدعى (مرنجانكاداتا). وقد أقام ذات يوم حفلة، دعا اليها الملك وأسرته وحاشيته، بمناسبة زواج ابنته (مرنجانكافاتى) من الفتى البرهمى (برجنا ساجارا)، بن مستشار الملك وصيفه الامين. فذهبت الى هناك الاميرة (بهاء القمر،

(١) شريعة «جاندرهافاس» هى الشريعة التى كان يدين بها موسيقيو الآلهة فى زواجهم. وكان الزواج فى عرفهم لا يتطلب سوى موافقة الزوجين دون التقيد بأية مراسم او اجراءات أخرى!

واصطحبت معها البرهمى الشاب (ماناهسفامين) - الذى كان يبدو فى هيئة عذراء جميلة - كوصيفة من وصيفات الشرف!

وبدا (ماناهسفامين) بين باقى الوصيفات، كالقمر تحيط به النجوم، فما أن وقع بصر العريس - ابن المستشار - على العذراء المزعومة، حتى أصابت سهام الحب قلبه، وأفقدته الفتنة رشده!. وفى تلك الليلة، صحب عروسه الى مخدعه، الا ان الغرفة المؤثثة أفخم تأثيث، والمزينة بفاخر الرياش، بدت له خاوية على عروشها، لا روح فيها.. حتى اذا رفع النقاب عن وجه عروسه، غامت عيناه، واختفى عن ناظريه وجهها، ليبدو بدلا منه وجه الغادة الفاتنة التى لم يقع نظره على أبهى منها طلعة، ولا أرشق قواما!.. فأحس فى هذه اللحظة كأن ثعبان الهوى الجامح قد عض قلبه، بأنيابه التى تقطر السم الزعاف، ولم يلبث أن سقط على الارض فاقد الوعى!

وهرع المدعوون - وعلى رأسهم أبو العريس - على صوت ولولة العروس الملتاعة. وتمكنوا - بعد جهد - من اعادته الى وعيه. الا أنه كان باح خلال هذيانه بسر وجيعته! فاضطرب الاب اضطرابا شديدا، اذ حسب أن ابنه قد فقد عقله. وسرعان ما بلغ الامر مسامع الملك، فبادر بزيارة الشاب الذى أضناه الحب، وبلغ به المرحلة السابعة من مراحل المرض، فدعا مجلس الوزراء على الفور الى اجتماع عاجل، لمناقشة المشكلة، علهم يصلون الى حل بشأنها!

وعرض الملك الامر على المجلس قائلا: (إن تلك الفتاة التى فتنت ابن المستشار، هى ابنة رجل برهمى، أودعها عندى لتكون فى رعايتى، ومن ثم فلست فى حل من تزويجها لمن أشاء. وفى ذات الوقت، أجدنى مضطرا الى تزوجها لهذا الشاب، والا فانه سيصل - لا محالة - الى آخر مراحل المرض: المرحلة القاضية! واذا حدث ذلك فان أباه لن يلبث ان يلحق به. وبموت المستشار ستتقوض دعائم المملكة. فأخبرونى، ماذا عساى أصنع؟).. فأجابه الوزراء: (منذ قديم الازل، كانت أولى واجبات الملك هى المحافظة على ما يتمتع به رعاياه من فضائل ولما كان المستشارون يمثلون الهيئة التنفيذية فى الدولة، وهم الذين يقع

على عاتقهم القيام بهذا الواجب، فان موت أحدهم سينجم عنه - بلا جدال - انهيار الفضيلة!.. ومن ثم، ينبغى أن تتدبر الامر، وأن توفى المشكلة حقها من البحث، مما سيؤدى بك حتما الى تغليب مصلحة الدولة العليا على مراعاة أصول اللياقة والواجب، فان الخطر الذى يهدد الفضيلة هو خطر جدى، لا يمكن تجاهله. لذلك ننصحك بأن تزف الفتاة - ابنة البرهمى الذى تركها فى رعايتك - الى ابن المستشار. ولا شك أنك بذلك ستخون أصول الثقة والرعاية، بيد أن هذا امر بوسعك أن تعالجه فى الوقت المناسب!)

ومن ثم لم يجد الملك مندوحة من الاستسلام للأمر الواقع فوعد المستشار بتحقيق رغبة ابنه، وحدد له موعدا لاتمام مراسم الزفاف. ووصل أمر هذا الاتفاق الى مسامع (ماناهسفامين)، فطلب مقابلة الملك فى جلسة خاصة، قال له فيها: (يا صاحب الجلالة. انك تعد العدة لتزويجى من أحد رجال حاشيتك، بينما جاء بى أبى الى هنا لأتزوج من رجل آخر. فان كنت مصرا على ارتكاب هذا الذنب العظيم، فهذا شأنك، وعليك وحدك تقع تبعة الاثم الذى ستقترفه. بيد أننى سأمتثل لكل ما تأمر به، ولكننى أشترط لذلك شرطا واحد: وهو أن لا يضاجعنى زوجى قبل ان يحج الى الاماكن المقدسة، فى رحلة تستغرق ستة شهور. هذا هو الشرط الذى أصر عليه. واقسم أنك اذا رفضته، سأعض لسانى حتى أموت!)

وقد نقل الملك الشرط الذى اشترطه (ماناهسفامين) لاتمام الزفاف الى ابن المستشار. فوافق هذا - دون تردد - عليه، وقد بدا له شرطا هينا، مقابل الاستحواذ على مالكة فؤاده وسالبة رشده. وبالفعل تمت مراسم الزفاف، وأسكن العريس زوجته الاولى (مريجانكافاتى) وعروسه المزيفة (ماناهسفامين) فى حصن منيع، ثم شد رحالة الى الاماكن المقدسة، تاركا ذلك الرجل - المتخفى تحت هيئة امرأة - يقاسم زوجته فراشها!

وذات ليلة، بينما كان الخدم مستغرقين فى النوم، همست (مريجانكافاتى) فى أذن (ماناهسفامين) - الراقد فى فراشها - قائلة: (احكى لى يا حبيتى قصة

مسلية، علها تجلب النوم الى عينى اللتين شكتا من طول السهاد!) فراح الشاب - المتنكر بشكل امرأة - يقص على اسماعها بصوت حالم وأسلوب مثير، قصة الملك (ايللا) - ولى عهد مملكة الشمس - الذى ألقت عليه الالهة البيضاء لعنتها. فانقلب - لتوه - الى امرأة تتمتع بجمال باهر سحر العالم أجمع.. وما حدث عندما تلاقت تلك المرأة مع الملك (بوذا)، فأغرم كل منهما بالآخر، وما لبثا أن تواصلا فى ساحة المعبد!.. وكيف أن البطل (بوروراڤاس) كان ثمرة هذا الوصال!

واسترسل (ماناهسفامين) فى قصته قائلا: (ومن هذا ترين أنه فى الامكان أن ينقلب رجل الى امرأة، أو امرأة الى رجل - وان كان هذا لا يحدث سوى مرة واحدة كل عدة أجيال - إما انصياعا لامر الهى، أو بفعل بعض العقاقير السحرية. وفى هذه الحالة، لابد أن يقع ذلك الشخص - الذى يحدث له التغيير - فى غرام أول من يلاقيه من الجنس الآخر، وأن يتم بينهما الوصال!)

فما سمعت الزوجة الشابة، المضطرمة العواطف - والتى هجرها زوجها فى ليلة زفافها - قصة ضرتها التى باتت توليها ثقتها، حتى انطلقت تبوح لها بمكنون فؤادها، قائلة: (لست اعرف ماذا دهانى!.. لقد راح جسدى يرتجف ارتجافا فظيعا - كقصبة فى مهب الريح - ونبضات قلبى تزداد عنفا، وأنا استمع الى قصتك. فما معنى هذا؟.. أخبرينى يا صديقتى!)

- هذه علامات الحب يا عزيزتى. أهى أول مرة ينتابك فيها ذلك الاحساس؟.. لا أخفى عنك أننى كثيرا ما خبرت هذا الشعور من قبل!

واذ ذاك همست مريجانكافاتى فى اذن رفيقتها بصوت خافت: (يا حبيتى. أتعلمين أننى بت أحبك أكثر من حياتى؟.. لعله من الاوفق أن لا اطلب منك ما أفكر فيه - فانه لامر غير لائق - ولكن، أليس بوسعنا أن ندخل رجلا الى غرفتنا؟). فرأى (ماناهسفامين) فى عبارتها بشيرا بتحقيق آماله، وكتلميذ نجيب (لمولاديفا) الساحر زعيم اللصوص، بادرها بقوله: (اذا كان هذا غاية مرادك،

فانني سأسر اليك أمرا: لقد منحني الاله (فيشنو) تعويذة سحرية، أستطيع بواسطتها أن أتحول - في الليل - الى رجل!.. ولما كنت لا أحتمل ان أخيب لك رجاء، فانني سأستجيب الى طلبك وأتحول الى رجل، لأجل خاطرك!)

وأخرج (ماناهسفامين) القرص السحري من فمه، فاذا به يتحول أمامها الى شاب، مليح الوجه، رشيق القد، يفيض رجولة وفحولة.. وكانت الكلفة قد زالت من بينهما، والعواطف قد اضطرمت في جسديهما، فاحتفلا سويا بعيد الحب، في حماس يناسب المقام!!

وهكذا انقضت الايام، والبرهمي الشاب يعاشر زوجة ابن المستشار، متخفيا كامرأة فاتنة في النهار، وكرجل عارم الرغبة في الليل. وما لبث غرامهما أن بلغ أوجه فما أن حان موعد عودة الزوج المخدوع، حتى كانت الزوجة والعشيق يتسللان من المنزل هاربين!

وفي اليوم التالي، تقمص مولاديفا، أستاذ ماناهسفامين - وكان على علم بمجريات الامور - هيئة البرهمي العجوز، واصطحب معه تلميذه الآخر(قمر) - وقد اتخذ لنفسه شكل برهمي شاب - وذهب إلى الملك (ياساهكيرو) قائلا: (ها قد عدت من رحلتي يا صاحب الجلالة. والآن رد لي عروس ابني!).. ولم يجرؤ الملك - في بادئ الامر - على الافضاء له بأنها قد فرت من منزله، لكنه لم يلبث أن استجمع شتات شجاعته، واتخذ صوته لهجة التوسل، وهو يقول له: (أيها البرهمي. لست أعرف أين ذهبت عروس ابنك. لهذا أناشدك المغفرة. ولكني على استعداد لان أعوض خسارة ابنك، وذلك بأن ازوجه من ابنتي (العذراء) الاميرة (ساسيبرابها!)

واستشاط مولاديفا - زعيم اللصوص- غضبا، وهدد بالويل والثبور وعظائم الامور، وخاطب الملك بلهجة حادة، خارجا عن طوره. لكنه لم يلبث - آخر الامر - أن بدا عليه الهدوء، والامتثال للامر الواقع. وعلى الفور عقدت مراسم زفاف الاميرة (ساسيبرابها) على تلميذ مولاديفا (قمر)، الذي زعم بأنه كان ابنه!..

وعاد الساحر مع (قمر) والاميرة العروس (ضياء القمر)، الى منزل الساحر، حيث وجدا (ماناهسفامين) ينتظر قدومهم. وطالب هذا بأن يتنازل قمر له عن عروسه، على زعم أنه تزوجها - عندما كانت عذراء - بموافقة معلمه مولاديفا.. أما قمر فقد رفض التنازل عنها، وأصر على الاحتفاظ بها، وصاح بغريمه قائلا: (بل أنها زوجتى أيها المأفون. وقد عقد أبوها مراسم زواجنا أمام النار المقدسة).. لكن الخلاف استمر بينهما، وكل منهما يأبى الاستماع لمنطق الآخر أو يسلم بوجهة نظره!)

واستطرد الشيطان قائلا: (والآن أخبرنى يا صاحب الجلالة. مَن مِن الاثنين كان احق بالزواج منها؟ تذكر انك لو فشلت فى حل هذا اللغز، حلت اللعنة بك!).. وكان الملك قد توصل الى الحل السليم لذلك اللغز الذى القاه إليه الشيطان من فوق كتفه، فقال: أعتقد أن (قمر) كان زوجها الشرعى، فقد وهبها أبوها له، بالطريقة القانونية، علانية أمام الناس. أما (ماناهسفامين) فقد توسل بالغش والخداع للاستحواذ عليها، وكانت علاقتهما تتسم بالسرية، بلا احتفال وليس ثمة قانون فى العالم يجيز للسارق التمتع بالمال المسلوب!)

فما سمع الشيطان اجابة الملك حتى اختفى من فوق كتفيه، وعاد - مرة أخرى - الى مأواه فى شجرة (السيستو)، فتعقبه الملك (تريفيكراماسينا) ثم قبض عليه وحمله مرة أخرى.. ومن فوق كتفى الملك نطق الشيطان قائلا: (دعنى اقص عليك يا صاحب الجلالة قصة أخرى، تنسيك عناء الطريق).

■ ■ ■

# الحساسون الثلاثة

(فى مدينة (فريكشاجاتا) - احدى مدن ولاية انجاس -

كان يعيش رجل برهمى على درجه كبيرة من الثراء.. وكان متدينا، لا يفوته فرض من فروض العبادة المنصوص عليها فى الكتب. وقد تزوج بامرأة برهمية من عشيرته، انجبت له ثلاثة ابناء، اتصفوا بالترفه وشدة الحساسية! وذات يوم طلب منهم ابوهم ان يحضروا له سلحفاة، ليقدمها للآلهة كقربان وفاء لنذر قديم. وذهب الأخوة الثلاثة إلى شاطئ البحر، ولم يلبثوا أن عثروا على السلحفاة، لكن أحدا منهم لم يقبل أن يحملها، فقد قال الاخ الأكبر: (ينبغى أن يحمل أحدكما السلحفاة إلى ابى، فاننى لا أستطيع ان ألمس هذه المخلوقة القذرة!)، فأجابه الآخران (ونحن مثلك لا نستطيع أن نلمسها!)، فقال الأخ الأكبر: ( ولكن، لابد من أن تحملا السلحفاة الى ابى، والا فسد قربانه، وذهبتما بسبب ذلك الى الجحيم!).

فضحك اخواه وقالا: (ها أنت تلقننا الواجب الذى علينا، ونسيت واجبك أنت. وهو فى الحقيقة عين واجبنا!).

– لكنكما تعرفان جيدا الحساسية التى اعانيها بشأن الطعام.. فأنا لا استطيع أن أبتلع لقمة واحدة من الطعام تشمئز منه نفسى!

– أما أنا فأعانى حساسية أشد منك، وان كانت تلك الحساسية تتجه نحو النساء!

– إذن، فليحمل أصغرنا السلحفاة.

لكن هذا تجهم فى غضب ثم قال: (يا لكما من غبيين!.. إن حساسيتى بشأن الفراش الذى أرقد عليه أشد من حساسيتكما معا!).

وسرعان ما دب بينهم شجار، ولم يتمكنوا من الوصول الى حل يرضيهم، فتركوا السلحفاة فى مكانها، ويمموا شطر مدينة (فيتانكابورا) ليحتكموا الىَ ملكها (براسيناجيت).. وقد رحب الملك بهم ترحيبا حارا وأكرم وفادتهم. وبعد أن نالوا قسطا من الراحة سردوا على الملك قصة الخلاف الذى دب بينهم. فقال الملك: (امكثوا فى قصرى فترة من الزمن، ريثما أستطيع اختيار كل منكم على حدة!).

ولما جاء موعد العشاء، أجلس الملك البرهميين الثلاثة فى مكان الشرف من المائدة، وأمر بأن يقدم لهم طبق ملكى فاخر يتكون من الأرز وقد أضيفت اليه الروائح الست الشهية المعروفة. فهجم الجميع على الأرز يأكلونه بشهية عارمة، ما عدا البرهمى الذى كانت لديه حساسيه نحو الطعام، فقد عافت نفسه الطبق الشهى، وأمسك أنفه باصابعه، وقد بدا على وجهه الاشمئزاز بأجلى معانيه!.. فسأله الملك بلطف ورقة: (لماذا لا تأكل أيها البرهمى؟ ألا يروقك الطعام؟ لقد أمرت خادمى بتقديم أجود صنف منه، كما أنه يعبق برائحة ذكية!).. فأجابه الأخير هامسا بصوت مبحوح: (يا صاحب الجلالة. مهما كانت درجة جودة الارز، ومهما أضيف اليه من روائح شذية، فإننى أشتم خلاله رائحة جثة محترقة. ومن ثم لا أستطيع أن أبتلع حبة منه!).

فدهش الملك لقول الشاب دهشة بالغة، وأمر بأن يشم جميع الحاضرين الأرز. ففعلوا وأجابوا جميعا بأنه من صنف ممتاز، وأنه لذيذ المذاق، عذب الرائحه وليس به أية رائحة كريهة. بيد أن الشاب ظل مصرا على زعمه، ممسكا بأنفه، رافضا ان يمس الطعام. ومن ثم لم يجد الملك بدا من اجراء تحقيق فى الأمر، واذا أحد الطهاة يقول ان ذلك الأرز انما هو من محصول يقع على مقربة من أرض المحرقات، حيث كان القرويون يحرقون جثث موتاهم.

وإذ ذلك سر الملك من الشاب وقال له: ( لقد اقمت الدليل على أن حساسيتك بشأن الطعام حقيقية، لا زيف فيها ولا ادعاء. ومن ثم أمرت بأن يقدم اليك صنف آخر!).. وما أن فرغ البرهميون من تناول العشاء حتى اتجه كل

منهم الى غرفة نومه.

وكان لذلك الملك محظية على درجة كبيرة من الجمال والفتنة، فأمر الملك بتزيينها أكمل زينة، وبتعطيرها بأفخر العطور وأغلاها ثمنا، حتى أصبحت مثالا حيا لجمال الأنوثة الخلاب. وأرسلها الملك الى مخدع البرهمى الثانى - الذى تتجه حساسيته نحو النساء - فدخلت مخدعه، يشع من وجهها ضو كضوء القمر، وبدت كأنها تحمل فى يدها مشعل إله الحب، فأضاءت الغرفة بسنائها وبهاء طلعتها.. فما لمحها الشاب عند باب الغرفة حتى أخذ يمنى نفسه بليلة هانئة، لم يذق مثلها من قبل. بيد أنها ما أقتربت منه حتى قفز من مكانه - وكأن عقربا قد لدغته - وهو يسد أنفه بيده، ويئن انينا فظيعا، وقد كاد يغشى عليه. وصاح مناديا الخدم، واذ أتوا مهرولين، قال لهم: (ابعدوا هذه المرأة عنى!.. سأموت لامحالة اذا ظلت بجوارى لحظة أخرى. ان رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز!).

وذهب أفراد الحاشية بالمحظية البائسة الى الملك، وأنهوا اليه ما حدث. فاستدعى الملك البرهمى وقال له: (ان هذه المحظية اجمل نساء حريمى وأقربهن الى قلبى. وقد قبلت ان أتنازل عنها تكريما لك. وهى تسير وسط سحابة من أعذب العطور من المسك والكافور. ومع ذلك تزعم أن رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز؟!).

ولكن منطق الملك عجز عن اقناع الشاب الذى ظل مصرا على رأيه، ممسكا بأنفه. واذ ذاك راودت الشكوك ذهن الملك فاختلى بالمحظية، وراح يتوسل اليها ويحاورها ويداورها كى تكشف له عن الحقيقة. وأخيرا قالت له: إنها عندما كانت طفلة فقدت أمها ولم يكن لديها مرضعة. وكادت تموت من الجوع لولا أن تقدمت اليها احدى الجارات بلبن المعيز فأطعمتها منه. وعندئذ بلغت الدهشة بالملك كل مبلغ، واعترف بحساسية البرهمى!.

ثم أصدر الملك تعليماته لحاشيته بأن يزود البرهمى الثالث - الذى كان

يدقق فى اختيار فراشه - بسرير وثير تغطيه سبع حشايا، كل منها فوق الأخرى.. لكن البرهمى الحساس لم يغفل الا ساعة وبعض ساعة ثم استيقظ - عند منتصف الليل - صارخا من فرط الألم، وهو يمسك جنبيه بيده. فلما نضا رجال الحاشية الثياب عنه، شاهدوا شريطاً احمر اللون، متعرجا، مطبوعا بوضوح فى لحمه، أشبه بقضيب من الصلب غائر فى كتلة من الصلصال!..

فلما ذهبوا الى الملك وأنهوا اليه الأمر، أصدر أمره بفحص الحشايا فحصا دقيقا، ليتأكدوا من أن شيئا لم يترك - سهوا - بين ثناياها. فلما نفذوا أمره وجدوا مابين الحشية السفلى والسرير شعرة رأس، لا يزيد طولها عن عشر سنتيمترات، فأحضروها للملك، الذى ما أن رآها وقارن بينها وبين العلامة الغائرة التى وجدت بجسد البرهمى، حتى قال لنفسه: ( أمن المعقول أن تنفذ شعرة مثل هذه خلال سبع حشايا ثم تطبع هذا الأثر على جسده؟ انه لأمر محير حقا!).

وفى الصباح جمع الملك البرهميين الثلاثة كى ينهى اليهم القرار الذى اتخذه فى شأنهم: وهو أنهم جميعا يتمتعون بحساسية لا سبيل الى انكارها. ثم اهدى كلا منهم مائة ألف قطعة من الذهب مكافأة له على صدقه وأمانته. ولم يلبثوا أن عادوا الى وطنهم وقد نسوا تماما موضوع السلحفاة. وبذلك ارتكبوا خطيئة لا تغتفر، اذ تسببوا فى إفساد قربان أبيهم!).

وما أن فرغ الشيطان من سرد هذه القصة الرائعة حتى سأل الملك قائلا: (والآن يا صاحب الجلالة، تذكر اللعنة التى صببتها عليك - فهى لا تزال سارية المفعول - وأخبرنى من من أولئك الشبان الثلاثة المرفهين الحساسين نحو الطعام والنساء والفراش هو أشدهم حساسية؟).

فأجاب الملك الحكيم قائلا: ( اننى اعتقد أن البرهمى الأخير - الذى تتجه حساسيته نحو الفراش - هو أكثرهم رقة وحساسية!.. فهو الوحيد بينهم الذى لم يكن بوسعه أن يزيف الامر او يختلقه، اذ كانت العلامة الظاهرة على جسده

ابلغ دليل على صدقه. اما الآخران فقد كان بوسعهما الحصول على معلوماتهم من مصادر مختلفة!).

وعلى الفور اختفى الشيطان من فوق كتف الملك المثابر أدراجه، مطاردا اياه، ومرة أخرى أنزله عن شجرة (السيستو)، ولم يلبث الشيطان أن قال له: سأحكى لك الآن - يا مولاى - قصة عجيبة أخرى. فأنصت اليها.

■ ■ ■

# العشاق الثلاثة

(يحكى أن رجلا برهميا حكيما كان يعيش - فى سالف العصر والأوان - فى ولاية (براهماستالا) التى تقع على ضفة نهر (الكاليندى). وكان اسمه (اجنيسفامين). وكان لذلك البرهمى ابنة رائعة الجمال والرواء، حتى لقد كان الناس يحدسون ان الخالق ولا شك قد احتقر سائر مخلوقاته من عذارى الجنيات، بعد أن صاغها فى تلك الصورة النادرة من الفتنة والبهاء!.. وانقضت الشهور والسنون حتى اذا بلغت الفتاة سن الزواج، حدث أن وصل الى الولاية ثلاثة من البرهميين قادمين من ولاية (كانياكوبجا)..

وتقدموا جميعا الى الأب طالبين يدها. وكان كل منهم يضمر للآخر حقدا فظيعا، اذ ينافسه فى الفوز بها، حتى لقد هدد كل منهم بالانتحار اذا تزوجت من غيره وقد خشى أجنيسفامين أن ينفذوا تهديهم، فيتحمل وزر سفك دماء بريئة، ومن ثم قرر الا يزوجها لأى منهم. وظلت الفتاة بكرا.. لكن الخطاب الثلاثة لم يفقدوا الأمل، فقبعوا فى أماكنهم، وظلوا - طوال الليل والنهار - يتأملون سناء وجهها الوضاح الذى يشبه البدر، دون كلل أو ملل، وكأنهم طيور الكاكورا التى تتغذى على ضوء القمر!

وفجأة داهمت الحمى العذراء (ماندارافاتى) ولم تلبث ان فاضت روحها، فقام الخطاب الثلاثة بمراسم الدفن، وقد هدهم الحزن هدا، فحملوا جثتها على اكتافهم الى أرض المحرقة، ثم أشعلوا فيها النيران.. وشيد أحدهم كوخا صغيرا فوق قبرها، وظل يرقد - أثناء الليل وأطراف النهار - فوق رماد جثتها، ولا طعام له سوى ما يجود عليه به اهل الخير من الخبز. وجمع الثانى العظام المتبقية من جثتها ورحل بها الى نهر (الجانجز). أما ثالثهم فقد أخذ يهيم على وجهه يتسول، متنقلا من بلد الى بلد آخر.. حتى وصل الى قرية (فاكرولاكا)، حيث

دعاه أحد البرهميين للنزول فى داره. وفيما كان يتناول طعامه، بدأ أحد أطفال صاحب الدار فى البكاء. وعبثا حاولت الأم اسكاته، فاستشاطت غضبا، وما كان منها الا أن قذفته بالنار المشتعلة. فما كاد جسده الرقيق يلمس النار حتى تحول الى رماد. واذ ذاك وقف شعر المتسول فزعا واستنكارا، وصاح قائلا: (يا للهول!.. لابد اننى دخلت منزل غول آدمى. وحاشا لى أن ألمس شيئا من هذا الطعام الذى هو الخطيئة ذاتها!)

لكن الأب قال له: (لا تفزع يا صديقى. فان عندى سحرا يبعث الموتى!).. وأمسك مخطوطا صغيرا، وراح يقرأ منه تعويذة سحرية، فوق كومة من التراب، حتى اذا انتهى من القراءة، نثر التراب فوق رماد الجثة، فاذا الطفل ينهض حيا، ليس به ثمة سوء. فهدأ روع المتسول وعاد الى طعامه من جديد. وعلق المضيف المخطوط على مشجب فى الدار، ثم انهمك فى التهام عشائه!

وانتظر المتسول حتى استغرق جميع أهل البيت فى النوم، ثم سار على أطراف أصابعه الى المشجب، وأخذ المخطوط وتسلل به خارجا. واتجه لتوه الى أرض المحرقة التى تضم رماد جثة (ماندارافاتى).. وفى الطريق صادف البرهمى الثانى عائدا من نهر (الجانجز)، بعد أن طهر عظامها فى مياهه المقدسة. وبعد مسيرة عدة أيام انضما الى زميلهما الثالث الذى مكث فوق أرض المحرقة ليحرس رماد جثتها! وقال المتسول: (لابد من هدم الكوخ، حتى أستطيع أن أعيد محبوبتها الى الحياة، مستعينا بقوة التعويذة السحرية).. وتكاتفوا على العمل حتى هدموا الكوخ. واذ ذاك أمسك المتسول بالمخطوط وراح يقرأ التعويذة السحرية فوق كومة من التراب، ثم نثر التراب فوق رماد جثة (ماندارافاتى).. وعلى الفور نهضت حية، فى صورة أجمل وأبهى مما كانت عليها من قبل.. وكأن النار قد طهرت جسدها وصقلته من جديد!.. وأن وقع بصر البرهميين الثلاثة على الفتاة التى بعثت من الموت، على ذلك القدر من الجمال، حتى أصاب قلوبهم سهم العشق، فرغب كل منهم فى الاستحواذ عليها دون الآخرين، وما لبث الشجار أن دب بينهم من جديد!

قال الأول: (انها زوجتى. فأنا الذى أحييتها بالتعويذة السحرية). وقال الثانى: (بل الفضل فى ذلك يعود الى، فأنا الذى طهرت عظامها فى مياه نهر (الجانجز)).. أما الثالث فقال: (كلا، انها زوجتى انا.. فلولا حراستى لرمادها، لما تبقى منها ما يمكن احياؤه!.. ان الفضل يعود الى اخلاصى وتفانى!).

وقال الشيطان للملك: (هب انك كنت قاضيا، وعرضت عليك هذه القضية، فبماذا كنت تقضى فيها؟.. أيهم أحق بالزواج من الفتاة؟.. واعلم أن رأسك سيمزق أشلاء. اذا كنت تعرف الجواب، وتأبى الافصاح عنه!)

فأجاب الملك قائلا: (الرجل الذى أعادها الى الحياة بواسطة التعويذة السحرية - بعد مجهود شاق - يمكن اعتباره أباها، فان الدور الذى قام به أقرب الى دور الأب منه الى الزوج.. والثانى الذى طهر عظامها فى مياه نهر (الجانجز) يمكن اعتباره ابنها.. أما الثالث الذى هجر العالم، وكرس حياته لحراسة رمادها، فهو - فى رأيى - الزوج الحقيقى!)

وما كاد الملك يفرغ من اجابته حتى اختفى الشيطان من فوق كتفه، فقرر ان يقتنصه من جديد.. ذلك لأن الرجل العظيم، الذى يتصف بالأخلاق القويمة، لا يقبل أن يحنث بوعده، مهما كانت المخاطر التى يتعرض لها فى سبيل ذلك. وعاد الملك الى شجرة (السيستو)، وهناك وجد الجثة تتدلى منها، فحملها فوق كتفيه.. وفيما كان يسير بحمله، تحدث إليه الشيطان قائلا: (أرى أنك تتصف بالحكمة والمثابرة. وهذا من دواعى غبطتى وسرورى فدعنى اذن أفضى اليك بقصة ظريفة.. انصت الى اللغز التالى:

■ ■ ■

# الزوجة الحائرة

(منذ أجيال بعيدة، كان يتولى حكم الكرة الأرضية ملك مشهور، يدعى (ياساهكيتو) - أو (بيرق الصيت) - وقد اتخذ من مدينة (سوبهافاتى) عاصمة لملكه.. وكان الناس يتوافدون من كل أرجاء المعمورة ليحجوا الى معبدها الجميل الذى كرس لعبادة الآلهة البيضاء، وليغتسلوا فى مياه بحيرتها - المسماة بحيرة الآلهة - حتى يتطهروا فى مياهها المقدسة من ذنوبهم وآثامهم!

وذات يوم، شد أحد الحجاج الشبان رحاله، من بلدته (براهماستالا)، متجها الى البحيرة المقدسة ليتطهر من أدرانه.. فلما وصل اليها وقع بصره على فتاة رائعة الجمال، كانت قد أتت بدورها لتغتسل فى البحيرة.. وكان اسمها (مادانا سوندارى)، وهى ابنة كاهن البحيرة (سودهاباتا). فما أن لمحها (دهافالا) - وكان هذا هو اسم الشاب - حتى أصاب سهم الغرام قلبه، وقد بهره جمالها الأخاذ، فخيل اليه أنها ولابد قد سلبت القمر بهاءه!

وعاد الى منزله - فى ذلك المساء - وهو يعانى آلام الشوق والهيام، فعافت نفسه الطعام والشراب، ولاحت عليه دلائل العشق والغرام واذ لاحظت أمه التغير الذى ألم به، سرى القلق الى فؤادها، فأخذت تلح عليه بالسؤال عساه يفضى اليها بمكنون قلبه، حتى كشف لها - آخر الأمر - عن سر غرامه بالفتاة.. ذلك الغرام الذى لم يكن له فيه ثمة أمل. فهرعت الأم الى زوجها (فيمهالا) طارحة بين يديه مشكلة ابنها. بيد أن هذا لم يجد فى الأمر مدعاة لليأس، وقال لابنه: (لماذا انت مبتئس هكذا يا بنى؟ ان امنيتك ليست عسيرة التحقيق. ان (سودهاباتا) لن يضن عليك بيد ابنته، اذا طلبتها منه. حقا اننا لا ندانيه فى شرف المهنة ووفرة الدخل، الا اننا أصدقاء منذ زمن بعيد، وللصداقة حقوقها!)

وأعادت كلمات الأب السلام والطمأنينة الى نفس الابن، فهدأ روعه، وعاد

الى تناول طعـامـه. حـتى اذا كـان اليـوم التـالى، اصطحب الأب ابنه الى منزل (سـودهـاباتـا) - والد الفـتـاة - وطلب منه أن يوافق على زواج ابنتــه من ابنه (دهافالا). وكـان الأب على حق فى تفاؤله، اذ أن أب الفتاة رحب بطلب الرجل، بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك اذ حدد اليوم التالى لعقد القران!

وما انتهت مراسم الزواج، حتى شد الفتى رحاله عائدا الى أبيه فى مدينة (براهماستالا)، حيث عاش مع عروسه هانئين، ترفرف السعادة حولهما!

وذات يوم، زارهم شقيق العروس، فرحب به جميع أهل البيت ترحيبا حارا. وبعد أن نال حظا من الراحة قال لهم: (لقد أرسلنى أبى لدعوة (مادناسوندارى) وزوجها لحضور الاحتفال بتكريم (الألهة العظيمة)، فقبل العروسان الدعوة بسرور، وقضت (مادناسوندارى) وجميع أهل البيت بقية اليوم فى اعداد لوازم الرحيل، وفى تزويد الضيف بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب!

وفى اليوم التالى شرعوا فى رحلتهم عند الفجر.. وفى أثناء سيرهم، مروا بمعبد الالهة البيضاء، الفخم البنيان، فحلت بالزوج نوبة من نوبات الورع والتقوى، وقد أحس بحاجة ملحة الى تقديم صلاة الشكر الى الالهة التى حققت له أعز أمانيه. فقال لزوجته وأخيها: (هلم بنا نزور سيدتنا، (الآلهة العظيمة)، لكن الأخ اعترض على ذلك بقوله: كيف نزور الآلهة، دون أن نحمل لها هدية أو ذبيحة؟)، فقال (دهافالا): (اذن، سأذهب بمفردى، فانتظرانى هنا).

ودخل (دهافالا) المعبد، وخر على ركبتيه فى خشوع أمام تمثالها، وراح يسكب قلبه فى صلاة خاشعة، مرددا مآثرها وأفضالها على البشر، مناجيا اياها بقوله: (يا من خنقت المارد (رورو) بأذرعك الثمانى عشرة، ومن وطأت المارد (ماهيشا) بقدميك الدقيقتين اللتين تشبهان زهرة اللوتس!).. واذ ذاك خطر فى ذهنه خاطر غريب، فقال فى نفسه: (ان الناس يزورون الآلهة حاملين معهم ذبائح تقطر دما، يتزلفون بها اليها، أفكثير على أن أقدم لها أعظم ذبيحة على وجه البسيطة.. وهى نفسى؟!)

والتفت حوله فوقعت عيناه - فى المذبح الخالى من الرواد - على سيف كان بعض الحجاج قد تركوه خلفهم، فربط شعر رأسه بحبل الناقوس، ثم حز رقبته بالسيف. وكان لسقوط رأسه على الأرض رنين كرنين الأجراس، دلالة على أن تقدمته قد حازت القبول لدى الالهة!

وطال انتظار الزوجة وأخيها له فى الخارج، دون أن يبدو له أثر. وأخيرا لم يجد الأخ مفرا من دخول المعبد ليبحث عنه. فاذا به يعثر على جثة زوج أخته ملقاة على الأرض، مقطوعة الرأس. فاضطرب اضطرابا فظيعا، وانتابه كرب وهم لا قبل له بهما، ولم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لأن يعود الى أخته حاملا ذلك النبأ المشئوم، ففضل أن يتخلص بدوره من حياته، مستخدما ذات السيف فى قطع رقبته!

ولما لم يعد الأخ كذلك، هاجمت الهواجس والمخاوف نفس (مادانسوندارى).. فدخلت المعبد، وتخيل يا صاحب الجلالة مدى جزعها ولوعتها، حين شاهدت جثتى زوجها وأخيها ملقاتين على الأرض بدون رأسين!.. لقد أخذت تولول وتندب، صارخة: (وا لهفتاه!.. وا حر قلباه!.. ماذا بقى لى بعد أن فقدت زوجى الحبيب وأخى العطوف؟)، ولم تلبث أن سقطت على الأرض مغشيا عليها.

حتى اذا عادت الى وعيها لم تذكر شيئا مما حدث، ولكنها ما لبثت أن لمحت المنظر الرهيب، فعادت ترثى حبيبيها اللذين فقدتهما فجأة وهما بعد فى ريعان شبابهم، وأخذت تسائل نفسها ما جدوى حياتها من بعدهما؟.. ومن ثم قررت أن تلحق بهما. الا أنها قبل أن تشرع فى تنفيذ ما استقر عليه عزمها، اتجهت الى الالهة بصلاة قالت فيها: (أواه أيتها الالهة العظيمة!.. صاحبة السلطان على جميع الالهة.. يا من توزعين السعادة والفضيلة بين الناس.. يا من تمنحين جسدك - عن حب - لزوجك عدو الحب!.. يا ملجأ الجميع عند الضيق.. يا من تواسين المكروبين وتمسحين عنهم أحزانهم!.. لماذا حرمتنى من زوجى وأخى.. اننى لا أستحق منك ذلك. فأنا أشد عبادك اخلاصا وتدينا. ها أنذا ألقى بنفسى تحت قدميك، سائلة اياك الرحمة. اننى على استعداد لأن أخلع عن

نفسى هذا الجسد الفانى، ولكن.. أناشدك عندما أولد من جديد، أن تخلقينى بنفس هيئتى، وأن يكون زوجى هو ذات زوجى، وأخى هو ذات أخى!)

وعندما فرغت من صلاتها الحارة انحنت للألهة فى تبجيل واحترام، ثم علقت انشوطة على فرع من فروع شجرة (أسوكا) فى فناء المعبد. وفيما هى تهم بوضع الانشوطة حول رقبتها، اذا بصوت من السماء يتردد فى تلك اللحظة قائلا: (لا تمسى نفسك بسوء يا بنيتى. انك لا تدركين مقدار سعادتى اذ عثرت على هذا القدر من الفضيلة فى جسد فتاة جميلة، فى ريعان شبابها.. ولذلك قررت أن أستجيب لصلواتك، وأن أبعث زوجك وأخاك الى الحياة.. فابعدى الحبل عن عنك، وضمى رأس كل منهما الى جسده، فاذا هو حى يرزق!)

وقد أطاعت (مادناسونداری) أمر الالهة، فأبعدت الحبل عن عنقها، ثم ركضت الى داخل المعبد، فى اهتياج ولهفة جعلتاها تخطئ فتضع رأس زوجها الى جسد أخيها، ورأس أخيها الى جسد زوجها.. وكادت تطير من الفرح حينما رأتهما ينهضان وليس بهما سوء - اذ لم تكن قد فطنت بعد الى خطئها - وقد خر الرجلان والمرأة عندئذ على الأرض ركعا امام الالهة، يسبحون بحمدها، ويقدمون اليها القرابين!

وفى طريقهم الى المنزل، راحوا يتناقشون فى أمر المعجزة الخارقة التى حدثت لهم. ومن ثنايا ذلك الحديث أدركت (مادانا سونداری) الخطأ الذى وقعت فيه باستيدال رأسيهما، فاستولت عليها الحيرة والجزع، ولم تعرف ماذا تفعل..)

واستطرد الشيطان قائلا: (والآن، أخبرنى يا صاحب الجلالة. من من الرجلين أصبح زوجها؟.. اننى أنذرك بأنى سأحطم رأسك وأحيله الى أشلاء صغيرة، اذا كنت تعرف الجواب وتأبى الافصاح عنه).

واستغرق الملك (تريفيكراماسينا) فى التفكير فترة من الزمن، ثم قال: (ان الرجل الذى يحمل رأس الزوج وجسد الأخ هو زوجها الحقيقى.. ذلك لأن الرأس - الذى يضم بين ثناياه عقل الانسان - هو أهم عضو من أعضاء الجسد،

وأرفعها شأنا. أما باقى الأعضاء فمجرد توابع له تأمر بأمره.. ثم كيف يستطيع جسد الزوج أن يعاشر زوجته والرأس الذى يوجهه يعلم علاقة الأخوة التى تجمع بينهما؟)

وما أن نطق الملك بالجواب الصحيح حتى اختفى الشيطان - مرة أخرى - بطريقة غامضة من فوق كتفيه، فعاد الملك الى مطاردته من جديد. وهنالك وجده متدليا من شجرة (السيستو)، فحمله فوق كتفيه عائدا أدراجه. وبينما كان الملك يسير بحمله، تحدث الشيطان اليه قائلا: (اليك لغز آخر من ألغازى، لعلك تنسى همومك):

■ ■ ■

# ثلاث ملكات رقيقات

(كان (دهارمادهافاجا) ملك اقليم (يوجايينى) متزوجا من ثلاث زوجات يجرى فى شرايينهن الدم الملكى. وكن جميلات فاتنات، مطيعات لأوامره، لا هم لهن الا ازجاء السرور الى نفسه، فكان يغمرهن بعواطفه التى كان يوزعها عليهن بالعدل، دون تمييز بين هذه وتلك. وكانت إحداهن تدعى (ضياء القمر)، والثانية (وهج النجوم)، والثالثة (بشرة الندى). وكان الملك قد هزم كل أعدائه هزيمة منكرة، فاستتب له الأمر، ووفى بعهوده لرعاياه، فلم يعد لديه ما يشغل باله أو وقته. ومن ثم عاش هانئا، سعيدا مع ملكاته الفاتنات!

وذات يوم، خرج الملك مع زوجاته الى حدائق القصر الملكى، ليحتفلوا بمقدم الربيع. وكانت الكروم محملة بالأعناب الناضجة والأوراق النضيرة، التى كانت تلوح وكأنها سهام الغرام فى يد اله الحب، يصوبها الى ضحاياه الراضين بقضائه، وطيور الجنة تصدح بأناشيد الهوى فوق فنن الاشجار، وكأنها همسات اله اللذة الذى ليس له من هم سوى الاغراء بالوصال وتبادل كؤوس الهوى بين العاشقين وربات الجمال!

واستغرق الملك مع زوجاته فى تأمل مناظر الطبيعة الساحرة المتألقة، ورشف كؤوس الخمر المعتقة. وفيما هو يتلذذ بمذاق الشهد المخمر الذى عطرته أنفاس زوجاته، وسرت فيه حمرة شفاههن التى تشبه ثمار الكرز، واذ كان يداعب شعر (ضياء القمر) بأنامله، سقطت زهرة اللوتس التى كانت تزين أذنها فوق فخذها فأحدثت به جرحا غائرا. وعندئذ سالت دموع الملكة الرقيقة - ذات القوام البديع والمنبت الرفيع - وما لبثت أن سقطت مغشيا عليها!

وكاد الملك يفقد عقله من فرط القلق والاضطراب، حين رأى ما حدث لمحبوبته، وأرسل يستدعى الوصيفات على عجل، فهرعن بمراوح من ريش النعام

غمست فى الماء، محاولات أن يعدن اليها رشدها ثم لم يسع الملك فى النهاية الا أن عاد بها الى القصر حيث تركها فى رعاية الأطباء، يعالجون الجرح الخطير بالمراهم والعقاقير!

وفى المساء علم الملك أن (ضياء القمر) قد استردت وعيها، بعد أن التأم جرحها وغدت فى خير حال، فهدأ باله واطمأن بلباله. واصطحب زوجته الثانية (وهج النجوم) الى شرفة القمر التى تقع فوق سطح القصر. وكان هناك سرير ضخم قد هيئ خصيصا لمثل هذه المناسبات، فلم يلبثا أن استسلما للهوى الجامح، وراحا يتبادلان القبلات النارية.

بيد أنه معروف عن القدر انه يحقد على بنى البشر، ويستكثر عليهم لحظة من سعادة، فلم يكد العاشقان يستغرقان فى سنة من النوم، حتى اخترقت أشعة القمر ثوب الملكة الشفاف ولمست جسدها الرقيق، فهبت من نومها صارخة: (أواه!.. لقد احترقت بشرتى!)، ثم قفزت من فراشها وهى تتحسس ذراعيها وساقيها. واستيقظ الملك على صوت صراخها، فرأى آثار قروح تغطى جسدها كله، فسألها مضطرب الروح عن سبب هذه القروح، فأجابته قائلة: (كنت أرقد شبه عارية، فسقطت أشعة القمر على جسدى!)

وعندئذ صاح الملك يستدعى الوصيفات، فأقبلن راكضات فى اضطراب وجزع. فأمرهن أن يهيئن لها فراشا من ورق الأشجار المبللة بالماء، وأن يعالجن حروقها بمرهم الصندل.

أما الملكة الثالثة (بشرة الندى) فما كادت تسمع ما حدث لضرتها الملكية، حتى قررت أن تزورها لتطمئن عليها. ولكنها لم تكد تبرح جناح الحريم، وتقف فى الخلاء، حتى بلغ مسامعها - خلال سكون الليل المطبق - صوت أصم أذنيها.. وكان ذلك صوت طاحونة على مقربة من القصر تطحن أرزا. واذا بالملكة الفاتنة، ذات العينين اللتين تحكيان قطرات الندى، تمد يديها الى الأمام، صائحة: (أواه! اننى أموت!)، ثم سقطت فى الطريق وهى تتأوه من الألم.

وكانت الوصيفات قد عدن لتوهن من عند الملكة الثانية، فوجدن الملكة الثالثة راقدة على الأرض فاقدة الوعى. فحملنها الى جناح الحريم حيث أرقدنها فى الفراش وهى ساكنة لا تحير حراكا، وإن كانت شفتاها نصف المضمومتين لا تفتآن تند عنهما انات تذيب نياط القلوب. ولم تكن واحدة منهن تعرف ما أصاب الملكة، الا أنهن ما كدن يجردنها من ثيابها، حتى انفجرن باكيات معولات، اذ رأين بثورا حمراء تغطى ذراعيها، اللتين لاحتا أشبه بزهرة من زهور اللوتس أوسعها سرب من النحل لذعا ولدغا!

ومرة ثالثة هرع الملك الى معشوقته، متسائلا - فى قلق - عما حاق بها، فكشفت له عن ذراعيها قائلة: (انظر. حين سمعت صوت الطاحونة، امتلأت ذراعاى بهذه البثور الحمراء!).. فأصدر الملك أمره باستدعاء الأطباء ومعالجة ذراعيها بمرهم الصندل وغيره من العقاقير التى تستخدم لعلاج مثل هذه اللذعات واللدغات!

وعند هذا الحد كان اليأس والدهشة قد أخذا من الملك كل مأخذ، فلم يكن يدرى اى عين شريرة أصابت زوجاته الجميلات الوديعات.. فهاهى الأولى تجرح فخدها زهرة رقيقة من ازهار اللوتس، والثانية يحرق ضوء القمر بشرتها، والثالثة أصابها مجرد سماع صوت الطاحونة، تدور من بعيد، ببثور ملأت ذراعيها!.. أواه، لقد شاء القدر الغادر أن يقلب ما كانت تمتاز به ملكاته الثلاث من رقة - وهى الميزة التى كان لا يمل التغنى بها - الى عيب يشوههن كل تشويه!

وراح الملك يذرع غرفته جيئة وذهابا بخطوات مضطربة، وهو يحاول عبثا أن يجد تفسيرا لتلك الكارثة التى حاقت به وبزوجاته الملكات!.. وقضى ثلاث ليال، لا يعرف النوم سبيلا الى جفنيه، فكانت كأنها ثلاث سنوات. ثم فى اليوم الرابع بشره الأطباء بأنهن جميعا قد أبللن من مرضهن، فعادت الابتسامة تشرق على شفتيه، والهدوء يغمر صدره، والهناء يملأ قصره!

وبعد أن فرغ الشيطان من قصته، سأل الملك قائلا: (والآن، أخبرنى أيها الملك، أيهن كانت أشدهن حساسية؟ تذكر أن اللعنة ذاتها ستحل بك، اذا كنت تعرف الجواب وتضن به!)

فأجابه الملك: (ما من ريب فى أن الثالثة كانت أشدهن حساسية، وهى التى ملأ صوت الطاحونة جسدها بالبثور الحمراء. فالأولى والثانية قد لمس جسديهما شىء ما، ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين حالتيهما وحالة الثالثة!)

ومرة أخرى اختفى الشيطان بمجرد سماعه اجابة الملك، عائدا الى مأواه فى شجرة (السيستو). ومع ذلك فقد أعاد الملك الكرة فى اصرار، مقتفيا أثره. ولم يلبث أن أنزله من الشجرة، وحمله فوق كتفيه.. وفيما كان يحث الخطى فى طريقه، انبعث صوت الشيطان قائلا: (لدى قصة أخرى يا مولاى. فانصت اليها):

■ ■ ■

# الغانية الحقود

(منذ آلاف السنين كانت مدينة (كاناكابورا) - التى تقع على ضفاف نهر (الجانجز) - مشهورة باحترام أهلها لقوانينها ونظامها. فلم يكن يجرؤ أحد على اتيان أية مخالفة أو ارتكاب اية جريمة.. ذلك لأن الملك (ياسودهانا) - أو ذائع الصيت - كان يحمل اسمه عن جدارة واستحقاق.. كانت هيبته وجلاله تحميان عرشه من عواصف النكبات، كما تفعل الجبال اذ تحيط بالمدينة، فتحول دون اكتساح الأمواج لشواطئها.. وقد ارسلت طلعته البهية وهجا أضاء جميع بلدان الدنيا، مضيفا عليها بهجة وحبورا.. بل ان صيته ما لبث أن ذاع بين الناس، فطغى على صيت الشمس والقمر معا!.. لذلك فان الباحث عن الحماقة والغباء لم يكن يجد لهما أثرا فى دولته، وان كان يجدهما متوفرين بين خصومه الذين يناصبونه العداء!

وعلى شاكلة سواه من بنى البشر، لم يكن الملك (ياسودهانا) كامل الخصال، بل كانت تشوبه بعض النقائص والعيوب، ولكن هذه العيوب كانت تتخذ شكلا يختلف تمام الاختلاف: فقد كان جبانا.. لا يجرؤ على ارتكاب المعاصي والآثام، شرها، جشعا.. الى الشرف، عنينا، فاقد الرجولة.. بالنسبة لزوجات الآخرين!.. ومن ثم فلا غرابة فى ان رعاياه كانوا يتغنون بمآثره ومزاياه، وينادونه ببطل الشجاعة والكرم والحب!!

وكان ثمة تاجر ثرى يقطن فى تلك المدينة، وله ابنة ذات جمال صاعق، أطلق عليها اسم (يونمادينى)- أو سابية العقول- لان كل من كان يقع بصره على جمالها الفتان، سواء أكان شابا ام شيخا، كان يفقد وعيه على الفور.. وكأن اله الحب ميزها- دون غيرها من البنات - بنعمة الفتنة والسحر!

وانقضت سنوات، شبت فيها الفتاة، وما لبثت ان بلغت طور النساء، وتفجرت

انوثتها. فكتب أبوها الى الملك خطابا قال له فيه: (يا صاحب الجلالة. لقد أنعمت على السماء بابنة ادركت لتوها سن الزواج. وهى تشبه جوهرة العوالم الثلاث لم.. وقد تقدم لها كثيرون طالبين الزواج منها، لما حظيت به من بهاء الطلعة ونقاء السريرة. ولكنى لست أجرؤ على أن أهبها لأحد منهم، قبل أن أعرض الأمر على جلالتكم أولا. فقد جرى العرف على أن الملك أحق الناس بالتمتع بجميع خيرات الدنيا وجواهر العالم!.. والأمر متروك لكم، فإما أن تتفضلوا بقبول هديتى المتواضعة، أو تعتقوها لتكون لغيركم!)

فلما قرأ الملك الرسالة، أرسل ندماءه ليروا إن كانت الفتاة تحمل طابع اليمن والحظ السعيد. واذ وقعت أبصار الندماء على ذلك الجمال الصارخ والفتنة الطاغية التى لم يروا لها مثيلا من قبل، سقطوا جميعا فى غيبوبة، حتى اذا أفاقوا من غشيتهم، راحوا يتشاورون فى الأمر قائلين: (إن زواج الملك من تلك الفتاة من شأنه أن يكون سببا فى تهاوى العرش، لا محالة، لأن هذا الجمال خليق بأن يذهب بعقله ويفقده رشده، ومن ثم ينبغى أن ننقل اليه أنها تحمل دلائل النحس وشؤم الطالع!).. وقد كان من نتيجة التقرير الذى تقدم به الندماء الى الملك، أن رفض العرض الذى تقدم به التاجر. فما كان من هذا الا أن زف ابنته الى (بالادهارا)، قائد جيش الملك، الذى كان قد تقدم طالبا يدها!

وكان (بالادهارا) مثالا للزوج المخلص الوفى، فعاشت (يونمادينى) مع زوجها القائد ترتع فى النعيم، لا ينغص عليها حياتها سوى خاطر ما فتئ يعاودها من فترة لأخرى، فتقول فى نفسها: (لقد رفض الملك أن يتزوجنى، لأنه وجدنى سيئة الطالع!)

وانقضت الأيام والأسابيع والشهور.. حتى أطلق سراح فيل الشتاء، فهشم بأنيابه المصنوعة من زهور الياسمين براعم اللوتس، ثم هجم على أسد الربيع فولى الادبار الى الغابة هاربا!.. وقد جرت العادة - فى مثل هذه الأيام من كل عام - على ان يقام احتفال ضخم. ومن ثم فقد امتطى الملك (ياسودهانا) فيلا، وخرج به الى المدينة ليستمتع بمشاهدة الاحتفالات الشعبية،.. وكان ضاربو

الطبول يتقدمون الموكب، وأحد المنادين يصيح بأعلى صوته محذرا الرجال من ترك نسائهم يتجولن فى الشوارع، أو يظهرن فى الشرفات أو السطوح،خشية أن تقع أبصارهن على جمال طلعة الملك، فيفقدن صوابهن ويرتكبن أفعالا غير لائقة!

فما سمعت (يونمادينى) النداء، حتى صعدت - متعمدة - الى سطح منزلها وتصدت لموكب الملك. فما رآها هذا حتى تسمر فى مكانه غير قادر على رفع نظراته عن تلك المرأة التى لاحت له وكأنها نار الحب قد نفث فيها الربيع انفاسه العطرة. ففاحت منها رائحة المسك، وتأجج لهيبها!.. ولم يلبث جمالها الأخاذ - الذى استخدمه اله الحب كرمح يخترق به قلوب ضحاياه - أن أصاب شغاف قلبه، فسقط مغشيا عليه!

وما كاد يعود الى قصره حتى استدعى افراد حاشيته، وراح يستجوبهم فردا فردا، واذا به يعلم انها هى ذات المرأة التى قدمها أبوها اليه بنفسه، واعتذر هو عن قبولها!..

فما كان منه الا أن أمر بنفى البرهميين الذين نطقوا بالزور والبهتان حين زعموا أنها تحمل دلائل النحس!

وغدا النوم بالنسبة له عصيا، لا ينال منه الا قدرا هزيلا. وكان حتى حين تأخذه سنه من النوم، تتراءى له أحلام غريبة، فيهذى قائلا: (أواه!.. ما أوقح هذا القمر، وما أقل حياءه، اذ يجرؤ على الظهور هكذا بانتظام، وكأنه ليس ثمة مصدر للنور سواه؟!.. ألا يعلم بذلك المحيا الذى يلوح للناس فينسون القمر ويجدون فيه ملهاة وسلوى.. ان دوارق الشراب المذهبة، لا تضاهى ثدييها الشامخين استدارة وامتلاء!.. ومن ذا الذى يرى ردفيها الباسقين ولا تشتعل الدماء فى عروقه، وتتفجر فى جسده ينابيع الرغبة والاشتهاء؟!).. وظل الملك يهذى هكذا فى أحلامه ليلا، ويكتوى بنار الوجد الذى يفتك بجسده نهارا!.. وقد جاهد كثيرا ليخفى مظاهر خزيه وعاره عن أقرب المقربين اليه، غير أن

محاولاته باءت بالفشل، ولم يملك - آخر الأمر - الا ان يجيب على أسئلة خدمه المخلصين - والتى كانت تلاحقه اينما ذهب - فباح لهم بسر هواه المكظوم!

وعندئذ قالوا له: (لماذا تعذب نفسك هكذا والمرأة من رعاياك؟ لعلك تظنها تجد غضاضة فى الاستسلام لذلك الشرف الذى تسبغه عليها، والا فماذا يحول بينك وبين الاستحواذ عليها؟).. الا أن الملك الشريف أبى ان ينصاع لهم، وأصر على التمسك بأهداب القانون الذى يحرم على الناس التعدى على ممتلكات الغير. وسرعان ما انتشرت القصة بين الناس، حتى وصلت الى مسامع قائد الجيش، زوج محبوبته. فبادر هذا بالتوجه الى الملك قائلا: (لقد حضرت - يا مولاى - لأتنازل لك عن زوجتى. وهى منذ اللحظة زوجتك شرعا وقانونا، وليست زوجة أى انسان آخر. أما اذا كان ضميرك لا يجيز لك ذلك، فانى على استعداد لأن أكرسها للمعبد(١)، حتى لا نضطر الى ارتكاب خطيئة اغتصاب زوجة رجل آخر!).

فاستشاط الملك غضبا، وصاح فى قائده قائلا: (اذا كنت وأنا الملك - الموكل اليه شئون رعاياه، والذى يتخذه الجميع قدوة يترسمون خطاها - ارتكب مثل هذا الاسم الفظيع، والمخالفة الصريحة للقانون، فهل أملك بعد ذلك الاقتصاص ممن يخالفه؟.. ألا تعلم أن الناس على دين ملوكهم، إن احسنوا صلحت رعيتهم، وإن أساءوا فسدت الرعية؟.. فما كان ليخطر ببالى يوما من الايام أن تصدر هذه النصيحة المشئومة منك أنت، المخلص لى، فتغرينى على ارتكاب هذا الذنب العظيم، الذى ربما اتاح لى قدراً ضئيلا من اللذة،لكنه سيصبح فيما بعد مصدر عذاب أبدى، يصلينى بناره فى الحياة الاخرى!.. ثم، كيف تجيز لنفسك هجران زوجة وفية، لا هم لها سوى اسعادك؟.. كلا. إن شرفى ونبل محتدى يأبيان على ذلك، بل اننى أفضل الموت على انتهاك حرمة الزواج المقدس بهذه الصورة!).
وبالفعل، ظل الملك يكظم رغبته العارمة فى نفسه، ذلك أن الرجل الذى أوتى روحا صافية - تدأب على السمو بمشاعرها - يفضل الموت على الانحراف عن

---

(١) يقصد أن يوهبها للمعبد حيث تمارس الدعارة التى كانت احدى طقوس العبادة!

طريق الحق والعدالة!.

واحتشد سكان المدينة حول الملك يناشدونه أن يأخذ المرأة، لكنه ظل صلبا كالصخرة، لا يحيد عن القرار الذى اتخذه قيد انملة. الا ان نار الغرام المستمرة ما لبست أن أفنت ذلك الجسد الذى انهكه الصراع الدائر فى داخله بين الوفاء والشهوة، فلم تبق منه سوى قدرا من الرماد، وصيتا نقيا ذاع بين العالمين!.. وحزن الشعب لموت الملك حزنا شديدا، لاسيما قائد جيشه الذى لم يحتمل الصدمة، فانطلق الى أرض المحرقة حيث كان رماد جثة الملك، ثم القى بنفسه بين النيران المتأججة، ولم يلبث أن لحق به فى الحياة الابدية!).

وما انتهى الشيطان من سرد هذه القصة الغريبة، حتى قال للملك: (اخبرنى - يا مولاى - من من الاثنين كان اكثر إخلاصاً؟.. الملك أم القائد؟.. فأخابه قائلا: (لقد كان الملك أكثرهما إخلاصاً!).

فسأله الشيطان آسفا: (لماذا؟ ألم يكن القائد أكثرهما إخلاصا، وهو الذى ضحىَ بزوجته الفاتنة لغيره، بعد أن تذوق مفاتنها ونعم بجمالها؟.. ثم انه احرق نفسه حزنا وكمدا عندما بلغه خبر وفاة الملك. أليس هذا أخلاص ما بعده إخلاص؟.. هذا فى حين أن الملك لم تكن تضحيته خارقة للعادة فهو لم يجرب عناق تلك الزوجة المثيرة، ومن ثم لم يكن من الصعب عليه الاستغناء عنها فابتسم الملك وأجاب: (ربما كان هذا صحيحا. ولكن، ما وجه الغرابة فيه؟.. أمن العجيب أن يضحى قائد - جبل على الاخلاص لسيده - بنفسه فى سبيله؟ لقد جرى العرف على ان يبذل الخدم قصارى جهدهم للمحافظة على حياة سادتهم، حتى لو كان فى ذلك هلاكهم!.. أما الملوك فمفطورون على التعالى على القانون، وهم لا يفتأون يكسرون - مثل الفيلة الجامحة - أغلال العرف والتقاليد، وينطلقون فى جموح وراء شهواتهم وملذاتهم!.. ان الغرور والصلف صفتان متغلغلتان فيهم.. وهم اذ يهشون الذباب والبعوض عن وجوههم بمراوح من الريش تشبه ذيول البقر الوحشى، انما يتخلصون - فى ذات الوقت - من ذرات العلم والمعرفة التى توارثوها عن أجدادهم!.. ومظلاتهم الملكية التى يذودون بها

الشمس عنهم، وتحول بين وصول وهج الحقيقة الى عقولهم المظلمة!.. أما بصيرتهم فتتوه فى ثنايا ذرات الغبار التى يثيرها سلطانهم وجبروتهم، فلا يعودون يتبينون طريقهم!.. وما أن يستولى سلطان الهوى على عقولهم حتى يذهب بها!.. وهكذا ما حدث لناهوشا وغيره من عظماء الملوك الذين قهروا العالم! أما ذلك الملك، فبالرغم من سلطانه ومجده، فانه لم يستسلم لفتنة (يونمادينى). وقد آثر فى النهاية أن يجود بحياته عن أن يحيد عن طريق العدالة والحق!.. لهذا السبب قلت ان الملك كان أكثرهما تضحية وعظمة نفس!).

فما كاد الشيطان يسمع جواب الملك حتى أختفى عن كتفه، عائدا - بقوته السحرية - الى الشجرة، لكن الملك العتيد عاد الى مطاردته من جديد.

وتابع سيره خلال أحراش الموتى الغاصة بالاجداث المحترقة، وقد خيل اليه أن الأشباح كانت تخرج له ألسنتها النارية! حتى اذا انتصف الليل، وصل الملك (تريفيكراماسينا) الى شجرة السيستو. الا أنه لم ير فى هذه المرأة جثه متدلية منها، بل شاهد عددا كبيرا من الجثث تتأرجح فى الفضاء. فقال الملك لنفسه فى لوعة: (أواه!.. ما معنى هذا؟ أترى ذلك الشيطان اللعين قد آلى على نفسه اضاعة وقتى.. اننى سأقتل نفسى لو أن هذه الليلة انقضت قبل أن أفرغ من مهمتى. فلست أطيق ان يهزأ بى أحد!).

وقرأ الشيطان خواطر الملك، وسر من مثابرته، فأمسك عن مداعبته. وعلى الفور اختفت جميع الجثث فيما عدا جثة واحدة. فتسلق الملك الشجرة وانزل الجثة، ثم حملها فوق كتفيه. وفيما كان يسعى فى طريقه خاطبه الشيطان قائلا: (يا صاحب الجلالة. لم ار فى حياتى من هو أكثر منك همة ودأبا. ومن ثم سأروى لك حكاية!.. أنصت:

■ ■ ■

# ابن.. وثلاثة آباء!

(منذ آلاف السنين، كان ثمة مدينة اسمها (فاكرولاكا) تشبه مدينة الآلهة. وكان يتولى الحكم فيها ملك يدعى (سوريا برابها) - أى صنو الاله اندرا - حبته السماء بوجه وسيم، وجسد فارغ ممشوق، مكافأة له على فضائله، وحسن سيرته. فى حياته السابقة[١].. وكان أهالى تلك المدينة يتمتعون بحياة هادئة مطمئنة، ولا تعرف الدموع طريقا الى عيونهم، الا حين تتعرض للدخان، ولا ترد كلمة الموت على لسان واحد منهم الا فى مناجاة حبيب، ولا ترى العصى الغليظة الا فى ايدى خفراء المنازل!.. ولربما كان من الجائز أن تبلغ حياة ذلك الملك - المليئة بجلائل الاعمال ووفير الخيرات - حد الكمال، لو لم ينغص عليه حياته أمر واحد.. وهو انه رغم عشرات المحظيات اللاتى يقتنيهن، لم يكن لواحدة منهن أن تنجب له ابنا ذكرا!

وعند هذا الحد من القصة، ينبغى أن نتجه بأبصارنا الى ميناء (تامرا ليبتى)، حيث كان يعيش (دهانافالا)، التاجر الذى كان من أثرى أثرياء قومه. وكان لذلك التاجر ابنة وحيدة اسمها (دهانافاتى)، يستشف كل من يتأمل بهاء طلعتها، من وراء جمالها الأخاذ، سحر ملكة الجان التى سقطت من عليائها الى باطن الأرض بسبب لعنة صبت عليها!

وما كادت هذه الغادة تدرك سن الزواج، حتى سقط أبوها صريع مرض خبيث، ولم يلبث أن عاد الى عناصره الخمسة الأولى[٢]. وعلى الفور ثار بين أقاربه نزاع حاد بشأن وراثة ثروته الطائلة، فلم يسع زوجته إلا أن تأخذ قدراً من

---

(١) يؤمن الهندوكيون بتناسخ الارواح، وبأن الروح لا تذهب الى عالم آخر، بل تعود الى الحياة فى جسد جديد.

(٢) يقصد انه مات.

الجواهر - كان التاجر قد خبأها قبل موته فى مكان لا يعرفه أحد سواها - ثم تسللت تحت جنح الظلام الى خارج المنزل، خوفا من أقارب زوجها. وسارت فى الطريق تترنح بخطوات متعثرة، وقد أعماها ظلام الليل من حولها، وعتمة الاسى والحزن فى داخلها!.. وقد لاقت فى طريقها أهوالا لا حد لها، غير أنها استطاعت - آخر الأمر - أن تجتاز أسوار المدينة، ومن هناك اتجهت الى الغابة وهى تتكئ على ذراع ابنتها الحسناء!.. وبعد مسيرة يوم كامل صادفت أمراً عجيبا: فبينما كانت تتحسس طريقها فى الظلام، اذا بكتفيها تصطدم بجسد انسان. وكان ذلك لصا قد ضبط متلبسا بجريمته، فحكم عليه بالموت جالسا على (خازوق). وكانت انفاسه لا تزال تتردد فى صدره وهو يحتضر. فما كاد كتف المرأة يحتك بجسده، حتى أطلق أنينا رهيبا، وصاح: (أواه!.. من هذا الذى ألقى فوق جراحى ملحا؟) فسألته زوجة التاجر من يكون، فأجاب قائلا: (اننى لص حكم على بالجلوس فوق خازوق. ولكننى لما كنت مجرما، تأبى روحى أن تفارق جسدى. فأخبرينى يا سيدتى، من أنت، والى أين تقصدين؟)

وراحت الام تحكى له قصتها منذ البداية. وفيما هى تتكلم، ظهر القمر، فألقى ضوءه الفضى المتألق على أرجاء المكان. واذ ذاك استطاع اللص أن يلمح وجهها ووجه ابنتها (دهانافاتى). فقال للمرأة: (قبل أن أموت، لدى رغبة أخيرة أود أن تحقيقها لى، وسأعطيك مقابلها ألف قطعة من الذهب.. هبينى ابنتك لتكون زوجتى!).. فبوغتت الام بطلبه الغريب، بيد أنها لم تملك الا أن تضحك قائلة: (ولكن، ما عسى تكون فائدتها لك؟)، فأجاب اللص قائلا: (اننى اذ أموت الآن، أموت بلا ابن، ولن أبعث فى حياة جديدة، ما لم يكن لى ابن. ولكننى، اذا أصدرت أمرى لزوجتى بأن تنجب لى طفلا - سواء أتى عن طريقى أو عن طريق غيرى - فان هذا الطفل يعتبر ابنى الشرعى، ومن صلبى!!)

وأعشى بريق الذهب والجشع أنظار الام، فوافقت - بلا تردد- على طلبه. وعلى الفور، قامت بنفسها بمراسم الزفاف: أحضرت قدرا من الماء وصبته فوق يدى اللص وهى تقول: (بهذا اهبك ابنتى العذراء).. وما أن أصبحت زوجته

شرعا حتى أمرها بأن تبحث لها عن رجل تنجب منه طفلا. ثم اتجه بحديثه الى أمها قائلا: (احفرى أسفل شجرة التين هذه، وستجدين هناك صرة الذهب التى وعدتك بها. وأوصيك بأن تحرقى جسدى حين أموت، وبأن تلقى ما يتبقى من عظامى فى النهر المقدس. ثم تيممى مع ابنتك صوب مدينة (فاكرولاكا)، حيث تستطيعان أن تعيشا - فى ظل حكم الملك (سوريابرابها) الرشيد - فى أتم سعادة وهناء!).. وكان الظمأ قد برح به، فأحضرت له حماته كوبا من الماء، ما كاد يشرب - بشراهة - جرعة منه، حتى أسلم الروح!

وعملت الأرملة بوصية اللص، فأخرجت صرة الذهب من أسفل شجرة التين، ثم تسللت فى حذر مع ابنتها الى منزل صديق من أصدقاء زوجها. ومكثت هناك حتى تمت عملية احراق جثة اللص والقاء عظامه فى النهر المقدس، حسب الوصيه وطبقا للطقوس الدينية المتبعة حرفيا.

ثم فى اليوم التالى خبأت الكنوز فى ثيابها، وخرجت مع ابنتها. وسافرا معا الى مدينة (فاكرولاكا)، ولم يكونا يتوقفان فى الطريق، الا ريثما يلتقطان انفاسهما!.. وفى تلك المدينة ابتاعت الام منزلا، من تاجر يدعى ( فاسوداتا)، وعاشت فيه مع ابنتها (دهانافاتى)..

وكان يقطن تلك المدينة فى ذلك الحين معلم يدعى (فيشنوسفامين)، على حظ وافر من العلم والمعرفة.وكان يتتلمذ على يديه برهمى ينحدر من أسرة عريقة، الا أنه كان صريع رغبات ومشتهيات شبابه، فكان كلما وقع بصره على غانية تدعى (هامسافالى) اشتعل بدنه رغبة فيها، وخفق قلبه ولها وصبابة بها.. لكن الغانية اللعوب كانت تقدر لجسدها ثمنا باهظا، لم يكن يملك منه شيئا. فقد كانت تطلب خمسمائة دينار من الذهب ثمنا لليلة غرام واحدة، ومن ثم كانت تعاسته وشقاؤه تزدادان ليلة بعد أخرى!.

وقد تصادف أن أطلت (دهانافاتى) - ذات يوم - من شرفة منزلها، فوقع بصرها على ذلك الشاب الوسيم. فانجذب قلبها نحوه على الفور وأخذ يدق دقا

عنيفا. وتذكرت - فى تلك اللحظة - وصية زوجها اللص والقسم الذى جعلها تؤديه أمامه، فاتجهت الى أمها، قائلة فى خبث: (انظرى يا أماه. أترين هذا الشاب الوسيم الطلعة، الفارع الطول؟.. ألا يبعث مرآة البهجة فى القلوب؟).. فأدركت الأم أن ابنتها قد سقطت صريعة الغرام، فقالت لنفسها: (ان من حقها ان تختار بنفسها الرجل الذى تنجب منه طفلا، فلم لا يكون هذا الشاب؟).. ثم بادرت بارسال احدى وصيفاتها الى البرهمى لتستدعيه. وقامت الوصيفة بالمهمة خير قيام، فانتحت به جانبا، وأسرت اليه مضمون رسالتها!

ولكن الشاب الذى كان قلبه متعلقا بهوى الغانية اللعوب اشترط أن تدفع له أم الفتاة خمسمائة دينار من الذهب. فلما عادت الوصيفة بجواب الفتى لم تجد الأم مندوحة من تسليم المبلغ اليها.. وعندما سجى الليل وسادت الظلمة أرجاء المدينة، تسلل الشاب الى مخدع الفتاة العاشقة التى تعلقت أبصارها به، كطائر (الكاكورا) الذى لا يحول نظره عن القمر.. وقضى الشاب الليلة بطولها يعزف لها أعذب ألحان الغرام، حتى اذا ما أشرق الصباح تسلل من غرفتها، فى هدوء، كما حضر!

وأثمرت ليلة الغرام، فحملت (دهانافاتى). وفى الموعد المحدد وضعت طفلا جميلا، يحمل وجهه علامات اليمن والمستقبل السعيد. وزاد من سعادة الام والجدة أن المولود جاء ذكرا..

وذات ليلة، ظهر الاله (سيفا) فى الحلم لكليهما، قائلا: (أرقد الطفل فى سلة، وضعا معه ألف قطعة ذهبية، ثم أتركاه أمام بوابة قصر الملك (سوريابرابها)!.. فلما استيقظتا من نومهما أفضت كل منهما بالحلم الذى رأته الى الاخرى. فوضعتا ثقتهما فى الرب وذهبتا بالطفل الى قصر الملك، ثم تركتاه حيث أمرهما الاله!

وفى ذات الوقت، ظهر الاله - وقد حمل بيرقا عليه شعار الثور - فى الحلم للملك (سوريابرابها)، قائلا: (استيقظ أيها الملك. ان طفلا جميلا قد ترك أمام

قصـرك، راقدا فى سلة، ومـعـه بعض الذهـب).. فلمـا استـيـقظ الملك حـمـل اليـه البـوابون نبـأ العثـور على الطفل أمـام القـصـر. وذهب الملك بنفسـه ليـتـأكـد من الامـر. فـمـا أن وقع بصـره على الطفـل الجـمـيل، وقد زينت يداه وقـدمـاه بوشم المظلة والبيرق - مما يشهـد بطيب منبته وكرم محتده - حتى تهلل طربا وهتف قائلا: (لقد من على الاله (سيفا) نفسه بابن ذكر!)

وأقيـمت الاحـتـفـالات الصـاخـبـة، ووزعت الامـوال على المحتـاجين والمعوزين، حتى غدت كلمة الفقر غير ذات موضوع. واستمر الغناء والرقص والموسيقى بغير انقطاع مدة عشرة أيام. ولم يلبث الملك أن أطلق على الطفل اسم (كاندرابرابها).

ومرت السنون والطفل يترعرع فى قصـر الملك. وكانت وسـامـة محيـاه وحسن خصاله يزدادان يوما بعد يوم. وينشران من حوله عبق السعـادة والهناء، فيتنسم شذاه كل من يختلطون به، لا سيما أولئك الذين يتجهون اليه بمطالبهم.. وقد عرفه الناس شجاعا، كريما، حكيمـا، مما أهله لاحتلال مكان أبيه، بعد وفـاته، بجـدارة.. ومـا لبث الملك أن تنازل له عن العـرش، مكرسـا مـا بقى من سنوات عمـره للعـبادة فى جبـال (البنارس).. فـأمـسك الملك الشـاب بزمـام الحكم، بينمـا اعتزل أبوه العالم لكى يؤدى طقوس العبادة والتصوف، حتى فاضت روحه!

فلما علم الملك (كاندرابرابها) بوفاة أبيـه حزن حزنا شديدا.. وما أن فرغ من مـراسم الجنازة حتى نادى مسـتـشـاريه، وقـال لهم: (كـيف أستطيع أن أرد لابى بعض الدين الذى طوق به عنقى؟.. لقـد قـررت أن أحـمل عظامـه الى نهـر الجانجز)، لاطهرها بمائه المقدس، حسب الطقوس المرعية، ثم أذهب الى اقليم (جـايا) لأؤدى تقـدمـات الميت الى أجـداده. وسـأنتـهـز هذه الفـرصـة فـأحج الى الشواطئ الشرقية القاصية!)

لكن مستشاريه احتجوا عليه قائلين: (هذا عمل لا يليق بك على الاطلاق، يا صاحب الجلالة. كيف تسمح لنفسك بأن تترك مملكتك المهددة بالاعداء من كل جانب بلا حـراسـة؟ دع غيـرك يذهب بالتـقـدمـات. أمـا عن السـفـر، فـهل ترى ان

الحج أخطر شأنا من أداء واجباتك نحو الدولة؟.. وفضلا عن ذلك، ما الذى يدعوك الى تعريض حياتك للاخطار، بالسفر فى طريق مجهولة، بينما الحراس يحيطون بك من كل جانب فى قصرك؟)

فأجاب الملك بقوله: (لا جدوى من الجدال. لقد استقر عزمى على الذهاب من أجل أبى. واذا توانيت الآن - وأنا فى مقتبل العمر وريعان الشباب - عن الحج الى الاراضى المقدسة، فمتى أفعل اذن؟.. من الذى يستطيع التنبؤ بما قد يحيق به - على حين غرة وبلا انتظار - وهو فى جسده الفانى؟ انكم عبثا تحاولون أن تثبطوا عزيمتى!.. كل ما أوصيكم به، هو أن تحرسوا المملكة وتنتظروا عودتى!)..

وكان اليوم الذى حدده الملك لرحيله مشرق الشمس سعيد الطالع فما أن استيقظ حتى اغتسل ثم قدم ذبائحه للنار، وبارك البرهميين، ثم انطلق فى عربته متدثرا بملابس الاحرام الناصعة البياض. وتبعه حشد كبير من الحرس والحاشية والفلاحين الى حدود المملكة. وبعد أن ودع المودعين بدأ رحلته بصحبة كاهنه الخاص وعدد من البرهميين الذين تبعوه فى عرباتهم. وكانت الرحلة حافلة بأسباب التسلية، فقد شاهد مدنا كثيرة لم يزرها من قبل، واستمتع بمنظر الأزياء المتباينة، واللهجات المختلفة!..

وأخيرا وصل الى نهر الجانجز، فاكتحلت عيناه بمرأى النهر المقدس، وقد بدت أمواجه وكأنها سلم متحرك يبلغ بالانسان عنان السماء درجة بعد درجة!.. وكأن (جانجا) الالهة - التى برزت من وسط جبال الجليد - كانت تقلد معابثات (أميبكا) الغرامية، وتداعب بأناملها الرقيقة خصلات شعر الاله (سيفا) الفاحصة السواد!

وهبط الملك من عربته،واغتسل فى مياه النهر المقدسة متطهرا من أدرانه وخطاياه، ثم ألقى - فى احتفال مهيب - عظام ابيه فى مياه النهر. وما أن فرغ من توزيع الصدقات على المحتاجين والقيام بمراسم الجنازة، حتى ارتقى عربته

ميمما شطر اقليم (براجايا) الذى تغنت الالهة بقدسيته.

وهناك حيث تلتقى مياه نهرى (الجانجز) و(جوما)، فيمتزج اللونان الاصفر والازرق فيبدوان كالزبد حين يختلط بالدخان فى لهيب النار، صام الملك عن الطعام، حتى اذا نال قسطا من الراحة بعد ما لقيه من عناء الرحلة، اغتسل وقدم عطاياه للكهنة والمعبد، ثم تابع رحلته الى جبال (البنارس) التى بدت – ومئات البيارق ترفرف فى فضائها فوق مئات المعابد – وكأنها تلوح للناس قائلة: (هلموا الى لكى تنالوا الخلاص الأبدى!)

وهناك قضى الملك ثلاثة أيام صائما عن الطعام، يتعبد للاله (سيفا)، ثم عاد أدراجه الى نهر (جايا) واخترق فى طريقه غابات زاخرة بالاشجار المثقلة بشتى أنواع الثمار الشهية، والطيور تشنف أذنيه بشدوها متغنية بمديحه، والريح تلقى بآلاف الزهور تحت قدميه، تكريما له، وعند ضفة نهر (الجاياسيراس) المقدس، قام بالمراسم النهائية للجنازة، حسب الطقوس المدونة فى الكتب والأوراد، ووزع هدايا ثمينة على الكهنة الذين قاموا بتلك الطقوس. واخيرا ذهب الى الكهف المقدس ليلقى بتقدمة الموتى فى النبع، ولكنه ما كاد يهم بالقائها حتى برزت من الماء ثلاث أياد بشرية، فتحولته الحيرة، ولم يدر فى أى يد يضع التقدمة!

وقال له الكهنة: (ما من شك فى ان احدى هذه الايدى هى يد لص، فإن آثار دق المسمار ظاهرة فيها، بما لا يدع مجالا للشك فى هذه الحقيقة. أما اليد الثانية التى تحمل بعض سيقان من نبات مقدس، فلابد أنها يد أحد البرهميين. وأما اليد الثالثة التى تبدو عليها الجلالة، والتى يلتف حول أحد أصابعها خاتم ملكى، فمن المؤكد أنها يد أحد الملوك. الا أننا لا نعلم فى أية يد يجدر بك أن تضع تقدمتك!)

ثم أنهى الشيطان المتربع على كتف الملك قصته قائلا: (والآن، أخبرنى يا صاحب الجلالة، فى أية يد ينبغى أن توضع التقدمة؟ وتذكر أن الشرط القديم

لازال ساريا)

وكان الملك (تريفيكراماسينا) خبيرا بنصوص القانون السائد فى ذلك العصر، فلم يستغرق فى التفكير طويلا، بل قطع صمته قائلا: (ينبغى أن توضع التقدمة فى يد اللص، فهو - حسب القانون - الأب الشرعى للملك (كاندرابرابها).. لأنه رغم أن البرهمى هو الاب الفعلى له، الا أننا لا نستطيع اعتباره الأب الشرعى، اذ أنه باع أبوته بالمال الذى تقاضاه مقابل انجابه.كما انه كان بوسعنا أن ننسبه الى الملك (سوريابرابها) - لأنه هو الذى كفله طفلا، وأنفق على تعليمه، فأغدق عليه حبه وحنانه - لو أنه لم ينفق - فى سبيل تربيته وتعليمه - من المال الذى عثر عليه معه فى السلة. ومن ثم فلا يسعنا الا أن ننسبه الى اللص لانه هو أبوه الشرعى، اذ هو الذى تزوج أمه بالماء المصبوب على كفيه، وهو الذي أصدر لزوجته أمرا بأن تنجب له طفلا، وهو الذى دفع المال الذى صرف عليه.. وعلى ذلك فلا مناص من أن توضع التقدمة فى يده هو!)

وما كاد الملك يغلق فمه حتى اختفى الشيطان مرة أخرى من فوق كتفيه، عائدا الى مقره. وكما فعل الملك فى المرات السالفة تبعه الى هناك، وأنزله من شجرة (السيستو). وفيما كان يسير - فى صمت - حاملا أياه فوق كتفيه، تحدث هذا اليه قائلا: (لماذا تصر على عنادك يا صاحب الجلالة؟ لا يليق بك أن تسلمنى الى ذلك الراهب اللئيم. أترك هذا الامر واستمتع بملذات الليل. ولكن، مادمت تصر على عزمك، فاليك قصة أخرى:

■ ■ ■

# الضحيــة

(فى ذت يوم من مئات السنين، كان أحد الملوك ويدعى (كاندرافولاكا) يحكم مدينة اسمها (سيتراكوتا) - او الرأس المتألقة - وكانت منيعة الحصون، فأرهب ذلك أعداءها، وجعلهم لا يجرؤون على محاولة اجتياز حدودها. وكان ذلك الملك مرهوب الجانب - مما جعل رعاياه يشبهونه بالحظيرة التى تعجز أقوى الفيلة وأعتاها عن اقتحامها! - كريم الصفات، مما أكسبه محبة شعبه الى درجة العبادة، قوى البنية، كريم النفس، كامل الصفات.. الا انه رغم ان الطبيعة حبته بغاية ما تشتهيه النفس، كان مشغول البال على الدوام بفكرة واحدة لا تنفك تضنيه وتقض مضجعه!.. ذلك أنه بالرغم مما كانت تحفل به مدينته من أجمل الفتيات وأعرقهن حسبا، لم يوفق فى العثور على عروس تناسبه.

وذات يوم شعر الملك بحاجة الى الترويح عن ذهنه المكدود، فارتدى عباءة زرقاء موشاة بالذهب، وامتطى صهوة جواد مطهم، وخرج تصحبه كوكبة من فرسانه الى الغابة الشاسعة ليمارس هوايته المفضلة وهى الصيد!..ولم يكن قد قطع مسافة طويلة فى الغابة حين صادف قطيعا من الخنازير البرية، فأمطره وابلا من سهامه وأسقط منه عددا كبيرا. ثم رفع بصره نحو السماء فأبصر الشمس متدثرة بالغيوم، تكافح لتشق لنفسها ثغرة تنفذ من ثناياها!

وقد أمده منظر الطبيعة الساحرة بقوة تضارع قوة الاله (آرجونا)، فاستدار يطارد قطيعا آخر من الخراتيت يشبه فى ضخامته كتل الجبال التى قص (اندرا) أجنحتها، وما لبث أن ألهبه حماس الصيد، فأحس برغبة جامحة فى أن يتوغل فى قلب الغابة بمفرده، ومن ثم وخز بمهمازه بطن جواده الذى أهاجه وخز المهماز ولذعات السوط، فانطلق راكضا - بسرعة تفوق سرعة الصوت - غير عابئ بما يعترض طريقه من عقبات، حتى قطع فى لحظات عشرة فراسخ

فى جوف الغابة!

وأخيرا توقف الجواد، فترجل الملك وأمسك بلجامه وراح يهيم به - متمهلا - فى الأدغال على غير هدى. وفجأة لمح أمامه بحيرة كبيرة، يحيط بها عدد من أشجار اللوتس، تتمايل اغصانها مع النسيم العليل، فخيل اليه أنها تشير اليه بأصابعها قائلة: (تعال، اقترب منى!)، فأطاع الملك نداءها، واتجه اليها ثم خلع السرج عن الجواد، وأرقده على الأرض، ثم جاء من البحيرة ببعض الماء وسقاه ثم اغتسل بما تبقى منه. وأخيرا أصلح الملك من شأنه وتناول قدرا من الطعام وشرب من ماء البحيرة حتى ارتوى، ثم جاء ببعض الأعشاب الجافة، وافترشها تحت ظل الأشجار. وراح يغمر المكان بنظراته متأملا مناظر الطبيعة فى شغف وافتتان.

وفجأة لمح فتاة عذراء باهرة الجمال، تقف تحت شجرة ضخمة وقد ارتدت ثوبا متواضعا أسود اللون مهلهلا، وعقصت شعرها الى الخلف فى خصلة واحدة. ومع أن وجهها وثوبها كانا مجردين من أى أثر للزينة فإن جمالها كان يبهر العين. وقد ادرك الملك من رقة حالها وتواضع ثيابها أنها احدى الناسكات اللاتى اعتزلن العالم، هاريات من غوايات البشر!

وكان الملك سريع التأثر بالجمال، وهدفا سهلا لسهام اله الحب المصنوعة من أوراق الورد، فوقف يسائل نفسه قائلا: (من عساها تكون؟ أتراها الحورية (سافيتيرى) وقد جاءت لتستحم فى البحيرة؟ أم هى الالهة البيضاء قد تسلحت بكل فتنتها لتسلطها على الاله (سيفا) كى تستعيد حبه، بعد أن سلاها وهجرها؟.. أم لعلها البدر المنير، وقد عاد بعد غيبة دامت نهارا كاملا؟ فلأقترب لأكتشف حقيقتها!)

أما الفتاة فما كادت تلمح الملك يتقدم نحوها حتى سقط من يدها اكليل الزهور الذى كانت تجدله، وتسمرت فى مكانها، مبهورة الانفاس، فاغرة الفم، تناجى نفسها قائلة: (رجل كهذا فى الغابة؟ من تراه يكون؟ أهو أنس أم جن؟ ما

أبدع طلعته وأروع محياه!.. ان بهاءه خليق بأن يبعث الغبطة والسرور فى قلوب البشر جميعا!)..

ومنعها حياؤها من أن ترفع بصرها الى وجهه وكأنما كانت تخشى أن يعشى جماله عينيها، فوقفت والأفكار تضطرم بعنف فى صدرها تخالسه نظرات خجلى، ثم لم تلبث أن أولته ظهرها، بيد أنها ما كادت تشرع فى السير حتى تخاذلت ساقاها وتعثرت خطاها، وكأنما صارت قدماها كتلتين من خشب.

وسرعان ما لحق الملك بها، وخاطبها بأسلوب مهذب، يفيض أدبا، قائلا لها: (لست أطلب منك أن تغدقى مظاهر الترحيب على ضيف وافد من بلاد بعيدة، فقد أغنانى جمالك عن هذا. ولكن، هل تحتم عليكم تقاليد النساك الهروب من الضيوف؟).. فلم تجد الفتاة بدا من الجلوس على الأرض، والترحيب به كما جرى العرف ازاء الضيف. ولم يلبث الملك أن سأل الفتاة التى عشقها من أول نظرة قائلا: (أى عائلة سعيدة الطالع تلك التى تباركت بانتسابك اليها؟.. وما اسمك؟ لابد أنه يشبه فى وقعه على الآذان مذاق خمر الآلهة! ما الذى يدعوك الى اساءة معاملة الزهور، اذ تسجنينها داخل أسوار الدير، بعيدا عن العالم؟)

فأجابته الفاتنة بقولها: (اننى (انديفارابرابها).. أى بهاء اللوتس، وقد أذن لى أبى اليوم أن أجىء الى البحيرة كى أغتسل. وأبى هو الناسك العظيم (كانفا). وقد عشت - منذ أن ولدت - فى صومعة أبى التى تقع فى مكان قريب من هنا!).. وعلى الفور امتطى الملك صهوة جواده، ميمما صوب صومعة الناسك (كانفا) ليطلب منه يد ابنته. فلما دخل الصومعة وجد الناسك متألقا وسط مريديه وحوارييه، وكأنه القمر وهم النجوم يحيطون به من كل جانب، مصغين فى اناة الى مواعظه وتعاليمه!

وبعد أن قدمت للملك واجبات الضيافة، ونال قسطا من الراحة، خاطبه الناسك قائلا: (اصغ الى ما سأقوله لك يا بنى، فهو لخيرك وفائدتك. انك تعرف ما تقاسيه حيوانات الغابة من فزع من الموت. فأية لذة تجدها - اذن -

فى قتل هذه الحيوانات البائسة، التى لم تناصبك العداء؟.. لقد جعل السيف للمقاتل كى يذود به عن نفسه - وعن غيره - حين يتعرضون للخطر. فأولى بك - يا بنى - أن ترعى القانون، وتستخدم سلاحك فى حماية رعاياك. تمتع بمباهج ملكك، واعط بسخاء، ودع رعاياك يثنون على عدالتك، وأمسك عن هذا الصيد الاجرامى، الذى هو بمثابة مداعبة الموت، والذى يتساوى فيه الصياد والفريسة، لأن كليهما سواء فى الوحشية والعدوان!)

فنزلت نصائح الناسك وعظاته على أرض خصبة، وسرعان ما أتت ثمارها. وقد تقبلها الملك (كاندرافالوكا) بامتنان وعرفان بالجميل، وأجاب قائلا: (لقد تبت واهتديت على يديك يا سيدى المحترم. ولن انسى معروفك هذا ما حييت. منذ اللحظة سأتوقف نهائيا عن الصيد!)، فقال له الناسك: (نعم ما قررت يا بنى. وإننى لأقدر شهامتك وفضيلتك، فاطلب منى ما تشاء!)

وقد أدرك الملك أن اللحظة مناسبة لطلب ما يشتهيه فؤاده، فبادر الناسك بقوله: ( اذا تفضلت، هلب لى ابنتك (بهاء اللوتس) لتكون زوجتى!)، فوافق الناسك على الفور.

- وفى هذه اللحظة عادت ابنة الناسك - بعد أن استمتعت بحمامها - فانهى اليها أبوها نبأ خطبتها، ثم قام بنفسه بتزويجها من الملك المفتون. وقامت رفيقات العروس من الناسكات بتزينها، ثم تبعنها الى حدود الدير، والدموع تتقاطر من عيونهن!

وانطلق الملك على صهوة جواده محتضنا عروسه. وفيما هو يخترق أحراش الغابة لمح شجرة تنتصب على ضفاف بحيرة صافية صفاء قلب الانسان الفاضل، وشاهد تحت الشجرة كهفا مظلما غطت أوراق الأشجار مدخله، فلم يجد أفضل من هذا المكان ليقضى فيه ليلته، ومن ثم نزل عن جواده وجلس مع عروسه يستروحان النسيم العليل الذى يهب من البحيرة. وأخيرا أعدا فراشا من الزهور داخل الكهف ثم ولجا مخدعهما آمنين!

وفى تلك اللحظة رفع القمر عن وجهه نقاب الظلام وطبع قبلة على جبين الشرق الوضاح، وارتمت طبقات السماء فى أحضان أشعة القمر التى تسللت خلال أوراق الشجر، فألقت على الأرض ضوءا متألقا يشبه النسيج الموشى باللآلئ، بينما كان الملك يقضى مع عروسه ليلة خالدة، حافلة بأسباب المتعة والهناء!

ونهض الملك من فراشه عند الفجر، وما أن فرغ من صلاة الشروق، حتى خرج مع عروسه ليلحقا بكوكبة الفرسان التى سبقتهما لتمهد لهما الطريق. وكانت الشمس قد صوبت شواظا من سهامها النارية لتغمدها فى صدر أمير الليل الذى أسرع يختفى بين شقوق الجبال.

بيد انهما ما كادا يشرعان فى السير، حتى هبط عليهما - على غرة - مارد من سلالة البرهميين، أسود البشرة، فاحم الشعر، يحيط رقبته بعقد مصنوع من الأمعاء، ويرتدى ثوبا منسوجا من شعر الانسان المجدول. وكان يلتهم قطعا من اللحم البشرى، ويحتسى جرعات من الدم فى اناء مصنوع من جمجمة انسان!.. وما لبث المارد أن أطلق قهقهات مدوية مجنونة، ثم تجشأ دما من فمه الشبيه بكهف رهيب، والمغروسة فيه أسنان من انياب الفيل!

وقال المارد للملك: (أيها اللئيم. اذا كنت لا تعلم من أنا، فاعلم أنى المارد (باصق اللهب)، من سلالة البرهميين. وهذا الكهف مأواى، والآلهة ذاتها لا تجرؤ على انتهاك حرمته!.. ناهيك وقد تخطيت أنت حدوده ودنسته بمخالطتك احدى النساء فيه!.. لقد عدت فى الوقت المناسب، كى اضبطك متلبسا بجرمك، ولكى أعاقبك على الجريمة التى اقترفتها. سأنتزع منك قلبك - أيها المجرم، صريع العشق والهيام - وسأشرب من دمك!)

فلما سمع الملك تلك التهديدات طار لبه شعاعا من فرط الجزع، اذ لاح له المارد ذا قوة جثمانية ليس بوسعه التغلب عليها، فخاطبه بمذلة وخشوع، قائلا: (عفوك يا سيدى ورحماك. فقد ارتكبت هذه الجريمة دون ما قصد. وأنا على

استعداد لأن أقدم لك الترضية اللازمة، فاذا ما صفحت عن ذنبى، وعاملتنى معاملة الضيف الذى يلجأ الى دارك، فسأكون طوع أمرك، انفذ كل ما تأمر به.. فقط ارفع عنى غضبك!)

فحدث المارد نفسه قائلا: (وما المانع؟.. ليس ثمة ضرر من ذلك)، ثم استدار الى الملك قائلا بصوت مسموع: (لا بأس.. أصفح عن ذنبك، بيد اننى أعلق هذا الصفح على شرط أن يحضر لى فى ظرف سبعة أيام طفل فى السابعة من عمره، ابن رجل برهمى، مقدما نفسه طواعية ليفتديك بحياته، وأن يشده أبوه وأمه - بأيديهما - الى الأرض، لتذبحه بسيفك ذبحا!. فاذا أخللت بهذا الشرط سأحطمك تحطيما، أنت وكل ما ملكت يداك!)

وكان الملك فى حالة مروعة من الفزع والخوف، فلم يجد بدا من الوعد بتنفيذ كل طلباته. وعلى الفور اختفى المارد عن ناظريه، فامتطى الملك وعروسه صهوة جواديهما، وسارا ليلحقا بالقافلة، وهما فى حالة من البؤس والشقاء تجل عن الوصف، حتى اذا وصلا الى مدينة (شيتراكيتا) وجدا سكان المدينة قد علقوا الزينات وأقاموا المهرجانات احتفالا بزفافه الميمون، فاضطر الى اخفاء همه فى قلبه طول اليوم.

بيد أنه عقد - فى اليوم التالى - اجتماعا سريا مع مستشاريه، سرد عليهم فيه تفاصيل الكارثة التى ألمت به والتى غدت مصدر خطر على حياته. وكان بين أولئك المستشارين رجل عرف بالحكمة وسرعة البديهة، وقد قال للملك: (لا تستسلم لليأس يا صاحب الجلالة فإنى أعدك بأننى لن ألبث أن اعثر لك على الضحية المناسبة وسأحضرها لك بنفسى، فان الأرض مليئة بالمعجزات!)

وما أن خرج المستشار الحكيم من الاجتماع، حتى أصدر أمرا بأن يصاغ تمثال من الذهب لطفل فى السابعة من عمره، وبأن تزين اذنا التمثال بقرطين من الجواهر الثمينة، وأن يوضع التمثال فوق عربة تسير فى جميع أرجاء المدينة، وباقى القرى والكفور، يتقدمها مناد يدق الطبول صائحا: (يا أهل المدينة. هل

من بينكم طفل فى السابعة من عمره، مستعد أن يضحى بنفسه - فداء لوطنه ومليكه - بأن يلتهمه مارد شرير، بشرط أن يوافق أبواه على هذا التطوع، وأن يقبلا أن يشداه - بأيديهما - الى الأرض أثناء ذبحه؟ اذا كان هنالك مثل هذا الطفل، فليتقدم الى الملك، وسيهدى الملك التمثال الذهبى الموشى بالجواهر الكريمة ووثيقة ولاية مائة قرية الى والديه، تعويضا لهما عن خسارتهما!)

وكان يعيش فى حى البرهميين، فتى فى السابعة من عمره، يتمتع بنضوج عقلى مبكر، ووسامة تقاطيع.. وقد تصادف أن سمع الفتى نداء المنادى. فأوحت اليه العادات - التى رسخت فيه منذ أن كان يعيش حياته السابقة - بحمية وحماسة متدفقتين لأن يصنع الخير لاخوانه من بنى البشر، فاتجه الى المنادى قائلا: (اننى على استعداد لأن أضحى بحياتى من أجل وطنى. ولكن يجب أن أذهب أولا الى أبى لأنهى اليه ما استقر عليه عزمى!)، فكاد المنادى يطير فرحا، واذن له بالذهاب الى منزله. وهناك وقف أمام والديه وقفة خشوع، وضم يديه الى صدره يناشدهما قائلا: (اننى مشتاق لأن أضحى بجسدى الفانى لخير البشرية. لذلك جئت طامعا فى موافقتكما على هذا الأمر. وسيكون لكما عزاء فى صورة منى منحوتة من الذهب الخالص والجواهر النفيسة، فضلا عن ولاية مائة قرية. وبوسعكما اذا ما تخلصتما من الفقر - الى غير رجعة - أن تنجبا الوفير من الأبناء عوضا عنى!)

بيد أن أبوية زجراه قائلين بعنف: (ماذا حدث لعقلك يا بنى؟ ماذا تقول؟.. هل مستك الريح أم لعله الشيطان قد سكن جسدك؟.. من من الآباء يقبل أن يذبح ابنه لقاء مبلغ من المال؟ وأى ابن هذا الذى يتطوع لأن يقتل؟)، لكن الفتى أجابهما قائلا: (كلا. لست مجنونا أهذى. اننى أتوسل اليكما أن تصغيا الى ما سأقوله لكما وأن تتمعنا فى دلالته. إن هذا الجسد الفانى، المحتقر منذ ولادته، والملىء بالدنس والأدران، لن يلبث أن يدب فيه الفساد. وقد أوحى ما قد نجنيه من فائدة - عن طريق هذا الجسد - الى الحكماء أن يطلقوا عليه (سر الوجود)!.. وهل هناك فائدة أجل من المساهمة فى خدمة البشرية؟.. بيد أن

هذا لم ينسنى انه ما استحق أن يولد من تجرد قلبه من حب أبويه ومراعاة أحساسهما. لذلك جئت اليكما التمس رضاءكما!)

وكانت كلمات الفتى تتضح عزما وتصميما، حتى لقد اقتنعت الوالدين بالانصياع - على كره منهما - الى مشيئة ابنهما. وهرع الفتى راكضا - يتبعه أبواه - الى المنادى، وتسلم منه التمثال الذهبى ووثيقة ولاية مائة قرية وسلمها جميعا الى أبيه، ثم وضع نفسه تحت تصرف رجال الحاشية الذين قادوه فى موكب عظيم الى قصر الملك. وقد امتلأ الملك غبطة لعثوره على هذا الفتى الصادق العزم، وكأنما قد عثر على تميمة نادرة!.. وما لبث الملك أن أركب الفتى فيله الخاص، مكلل الرأس بالغار، ومعطر الثياب بأغلى ألوان العطور المتضوعة، ثم قاد الفيل بنفسه - يتبعه والد الفتى - الى الغابة!

وفى المكان الذى التقى فيه الملك بالمارد، رأى دائرة سحرية مرسومة على الأرض بجوار شجرة (اللأزفاتا). وهنالك قام كاهن القصر الملكى بالمراسم اللازمة ثم قدم الذبائح والقرابين الى اله النار. فما كاد يفرغ من ذلك حتى ظهر المارد، قاذف اللهب، وهو يطلق ضحكة مدوية ارتج لها المكان ارتجاجا، وراح يقرأ أورادا من كتاب (الفيدا)، وهو يتمطى ويتجشأ - بلا توقف - ومقلتاه المحتقنتان تدوران فى محجريهما، وقد ألقى شبحه الرهيب ظلا قائما فوق الجميع!

وعندئذ خر الملك على ركبتيه أمام المارد، قائلا: (ها قد انجزت وعدى، وأحضرت لك - حسب طلبك - ضحية آدمية، قبل أن ينقضى اليوم السابع. فاشفق على عبدك وأقبل منه تضحيته بما يليق بها من احترام وتبجيل!). فنظر المارد الى الفتى البرهمى، وهو يتلمظ ويلعق قطرة من الدم انسابت من بين شفتيه!

وأغمض الفتى القديس عينيه، وراح يهتف فى سريرته قائلا: (أيها الاله كريشنا. اننى لا أطلب منك أن تجعل الجنة مثواى، حيث لا مكان لخدمة الآخرين، بل - على العكس - أن تبعثنى من جديد - مرة تلو المرة - فى جسد

آدمى، استطيع بواسطته أن أقدم خدمات جليلة لغيرى من بنى البشر!!)

وفيما هو يعبر عن نواياه الطيبة، اكتظت السماء بعربات روحانية يقودها حشد من الآلهة، لم يلبثوا أن أمطروه بوابل من الأزهار اليانعة. وعندئذ، اقتيد الفتى أمام المارد، وأمسكت أمه بيديه، بينما شد أبوه ساقيه، وشهر الملك سيفه ليذبحه!.. لكن الذهول والدهشة استوليا فجأة على الجميع، اذ انفجر الفتى ضاحكا. فوقفوا جميعا - بما فيهم المارد - فاغرى الأفواه، معقودى الأذرع، لا يحيرون حراكا!)

وبعد أن فرغ الشيطان من سرد هذه القصة اللطيفة، التى تثقف العقول، قال للملك (تريفيكراماسينا): (أخبرنى - أيها الملك - لماذا ضحك الفتى فى تلك اللحظة.. لحظة موته؟.. إن هذا السؤال يحيرنى، فلا أجد له جوابا. فاذا كنت تعرف الحل الصحيح وترفض الافصاح عنه، فان رأسك سيتفتت الى مائة قطعة!)

فأجاب الملك قائلا: (اليك ما كان يدور بخلد الفتى حين ضحك: ان الشخص الضعيف يلجأ عادة - اذا ما نزلت به نازلة - الى الاستنجاد بأبيه وأمه. فاذا كان يتيما انه يلتجئ الى الملك مناشدا اياه الغوث والعونة. فاذا لم يجد الملك فانه يستنجد بمن تربطه به رابطة القربى. وفى حالة فتانا هذا كان جميع هؤلاء يحيطون به، بيد انهم كانوا يقفون منه موقفا شاذا!.. فها هما والداه يشدانه الى الارض ممسكين بيديه وساقيه، طمعا فى ما نالاه من مال. وها هو ذا الملك يشهر سيفه ليذبحه أملا فى انقاذ عنقه.. أما أقرب الناس اليه بعدهم، فقد كان المارد - سليل البرهميين - الذى شرع فى التهامه.. لقد خامرته سخرية لاذعة حين أدرك مدى خديعة البشر فى قيمة أجسادهم الفانية، حتى ليلجأون الى كل السبل لحمايتها والابقاء عليها، بينما كتب على الجميع - بما فيهم الآلهة براهما، واندرا، وسيفا، وفيشنو - أن يلاقوا الموت ان آجلا أم عاجلا، برغم مباهاتهم بما توهموه من أنهم خالدون. فما نفذ الفتى ببصيرته الحادة الى هذه الحقيقة الرائعة حتى انفجر ضاحكا، ساخرا من الناس، مطمئنا

الى مصيره الهانئ السعيد!!)

وأمسك الملك عن الكلام، فاختفى الشيطان مرة أخرى عن كتفه، عائدا - بقوة السحر - الى مأواه ولم يتردد الملك، بل هرع مقتفيا أثره من جديد. لأن الرجل العظيم حقا هو من أوتى قلبا ثابت الجنان، لا ييأس أمام ألاعيب الشيطان. ومن ثم أنزله من الشجرة ثم حمله فوق كتفه. وفى الطريق، خاطبه الشيطان قائلا: (انك رجل طيب القلب يا صاحب الجلالة.. بل انك لرجل عظيم. ولذلك فاننى أسوق اليك هذه القصة العجيبة:

■ ■ ■

# أربعة صنعوا أسدا

(منذ آلاف السنين كان أحد الملوك يدعى (دهارانيفاها) - يجلس على عرش دولة الأزهار. وفى احدى مقاطعات دولته، واسمها (براهماستالا)، عاش برهمى يدعى (فشنوسفامين). وكان لذلك البرهمى زوجة تتفق معه فى كل صفاته، كما تتفق ابتهالات (سفاها)[1] مع نار الذبيحة!.. وقد رزق الزوجان بأربعة أبناء، تدرجوا فى التعليم، حتى اذا ما انتهوا من دراسة علم (الفيدا)، وقد بلغوا طور الرجولة، رحل أبوهم (فيشنوسفامين) الى السماء، ثم لحقت به زوجته، تاركين خلفهما أبناءهما دون أى خبرة فى الحياة. وقد كانوا على درجة كبيرة من البساطة والسذاجة. ومن ثم لم يكن من المستغرب أن يقعوا ضحية غفلتهم وأن ينهب أقاربهم كل ميراثهم!

وقد اجتمعوا سويا - ذات مرة - ليتشاوروا بشأن ما وصل اليه حالهم، فاستقر رأيهم على انه لم يعد بوسعهم المكوث فى بلدتهم، وانه من الأفضل لهم أن يولوا وجوههم صوب قرية (ياجناستالا)، حيث ينزلون فى ضيافة جدهم لأمهم!.. وبالفعل، ما أن أشرقت شمس الصباح حتى حملوا متاعهم وشدوا رحالهم الى تلك القرية. وبعد أن ساروا أياما طويلة - كانوا خلالها يتسولون طعامهم من عابرى السبيل - وصلوا الى منزل جدهم، بيد أنهم بوغتوا بأن جدهم هذا قد مات، وأن أولاد خالهم قد استولوا على منزله.. وقد أكرم أولاد الخال فى أول الأمر وفادتهم، فقبع الأولاد الاربعة فى المنزل، مستمتعين بأطايب الطعام ولذيذ الشراب.

ولكن الشهور مضت، ولم يبد على أولئك أن فى نيتهم العمل لسكب قوتهم،

---

(١) احدى الابتهالات التى كانت تصاحب تقديم النذور فى الاحتفالات الضخمة التى يقيمها البرهميون.

وكأنما استمرأوا حياة الدعة والكسل، فلم يلبث أقاربهم أن ضاقوا ذرعا بهم، وتغيرت معاملتهم لهم وصارا يوجهون اليهم قارص اللوم ولاذع الكلم. وعندئذ سرى القلق والاضطراب الى صدور الاخوة الأربعة، فعقدوا - فيما بينهم - اجتماعا ناقشوا فيه حالهم. فقال الأخ الأكبر: (ماذا نستطيع أن نفعل يا اخوتى؟ ان الانسان - فى هذه الدنيا - مسير لا مخير، وكلمة القدر هى العليا، فليس للمرء حيلة فى أى شىء. ومثال ذلك أننى بينما كنت أتجول اليوم قانطا، على غير هدى، قادتنى قدماى الى أرض محرقة، وهناك وقعت عيناى على جثة منتنة، فقلت لنفسى: (ما أسعد هذا الرجل!.. لقد ألقى عن كتفيه ثقل الهموم والأحزان فاستراح!).. وفى هذه اللحظة خطرت بذهنى فكرة الانتحار، فشرعت على الفور فى تنفيذها، وربطت حبلا بإحدى الأشجار، ثم لففت عقدته حول عنقى، ولم ألبث أن رحت أتأرجح فى الهواء. ولكننى، قبل ان تفارق الروح جسدى، انقطع الحبل فسقطت على الأرض فاقد الوعى. حتى اذا افقت رأيت رجلا يرطب جبينى بقطعة مبللة من النسيج. فما رآنى أفتح عينى حتى قال لى: (لماذا تفقد الامل يا صديقى؟ ألا تعلم أن الشؤم من التشاؤم، وأن الحياة لا تبتسم الا للمتفائلين، بينما تولى ظهرها للذين لا يولونها ثقتهم؟ اليك نصيحة لا تخيب أبدا: اذا ألمت بك كارثة فاصنع لغيرك خيرا، وعندئذ سترى أبواب السعادة قد فتحت لك ذراعيها. فهل تعطينى فى ذلك؟ أم لعلك مشتاق لأن تتلظى بسعير النار، التى لابد أن تتردى فى جحيمها، اذا ارتكبت جريمة الانتحار؟!)

(ولم يتركنى الرجل الا بعد ان تأكد من أننى قد أقصيت عن ذهنى فكرة الانتحار تماما، فعدت الى المنزل.. ذلك لأن القدر اذا عاند انسانا، فليس بوسعه أن يحقق شيئا، حتى ولا التخلص من الحياة!.. وهكذا لم يعد أمامى بصيص من الأمل. فعزمت على التوجه الى الأراضى المقدسة كى أحرق هناك نفسى بنار الندم والتوبة، ناسيا ما أنا فيه من فقر ومسغبة!)

واذ ذاك هتف أخوته قائلين: (ولكن، لماذا نقاسى آلام الفقر وقد أوتينا عقلا

نفكر به؟ ألا تعلم أن الثراء ليس الا حالة طارئة، وانه سريعا ما يزول كما تزول سحب الخريف؟ انه مثل الزوجة الخائنة، والخليلة اللعوب، والصديق غير الوفى، فقد يمكنك أن تستحوذ على ولائهم فترة من الزمن، لكنهم لن يلثوا أن يقلبوا لك ظهر المجن! والرجل الذكى هو الذى يستخدم عقله فى اتقان علم خاص، يستخدمه فى استعادة ثروته أو عشيقته، اذا ما شعر بحنين الى أى منهما!)، فقال الأخ الأكبر: (ولكن، ما هو العلم الذى يستطيع المرء أن يتقنه؟)

فراحوا جميعا يقدحون زناد فكرهم، حتى اهتدوا الى فكرة لا بأس بها: وهى أن يتجولوا فى أرجاء الأرض، ليكتشف كل منهم الفن الذى يناسبه، ثم اتفقوا على مكان اللقاء، بعد زمن معين. وأخيرا افترقوا وقد ولى كل منهم وجهه شطر جهة من الجهات. ومرت سنتان التقوا بعدهما فى المكان الذى سبق لهم أن اتفقوا عليه. وراح كل منهم يسأل الآخر عن الفن الذى أتقنه!

فقال الأول: (لقد توصلت الى علم استطيع بواسطته - اذا ما وقعت فى يدى قطعة من عظام أى نوع من الحيوانات - أن أغطيها باللحم)، وقال الثانى: (وأنا قد تعلمت كيف أغطى تلك العظمة ذات اللحم بالجلد والشعر)، وقل الثالث: (وأنا بوسعى أن أكمل هذه العظمة فأجعل منها جسم حيوان)، وقال الرابع: (أما أنا فأستطيع أن أنفخ الروح فى هذا الجسم!)

ورغب كل من الاخوة الاربعة فى استعراض علمه، فتوغلوا فى الغابة باحثين عن قطعة من العظم. وقد شاء القدر أن تكون قطعة العظم التى عثروا عليها هى ما تبقى من أسد نفق من فرط الشيخوخة. فالتقطوها دون أن يعرفوا ذلك. وكساها أولهم باللحم، ثم كساها الثانى بالجلد والشعر، ثم غرس فيها الثالث الرأس والأطراف، ثم نفخ الرابع فيها الحياة. فانتصب الاسد على اقدامه فاغرا فمه الرهيب، مكشرا عن أنيابه الفظيعة المتعطشة للدماء، ولم يلبث أن أبرز مخالبه الرهيبة وانقض على خالقيه، فقضى عليهم جميعا!

وهكذا لقى البرهميون الأربعة حتفهم. لأنه من ذا الذى يجد سعادة فى أن

يخلق شيئا شريرا؟ ومن ثم فن العلم الذى نبذل فى سبيله عرقا غزيرا قد يصبح شيئا عديم الجدوى، بل وفى معظم الأحيان أداة للتهلكة! فما لم تكن جذوره غائرة فى باطن الأرض وتروى بماء الذكاء، وتحاط بخندق الحكمة والفراسة، لن تحمل شجرة الجهد البشرى أية ثمرة)!

وسأل الشيطان الملك قائلا: (من من أولئك الاخوة يقع عليه الوزر الأكبر فى خلق ذلك الأسد الذى أودى بحياتهم؟.. تذكر أن الشرط القديم مازال قائما). وعندئذ حدث الملك نفسه قائلا: (ان الشيطان سيختفى - مرة أخرى - بمجرد انتهائى من حل هذا اللغز. ليكن، وليفعل ما يشاء، فلن يعجزنى ان أقتنصه من جديد!)

ثم أجاب الشيطان قائلا: (ان الشخص الوحيد الذى يقع عليه اللوم هو ذلك الذى بعث فى الأسد الحياة. أما الآخرون فمن السهل أن نلتمس لهم العذر لأنهم عندما مارسوا فنونهم، لم يكن بوسعهم التكهن بنوع هذا الحيوان. أما الأخير فقد شاهد هيكل الأسد كاملا أمام عينيه، ومع ذلك نفخ فيه الحياة، لمجرد التباهى بفنه، والرغبة فى استعراض مهارته. ومن ثم فان جريمة قتل الأربعة تقع على عاتقه!)

وما أن سمع الشيطان الماكر جواب الملك حتى طار عن كتفه، عائدا - مرة أخرى - الى شجرة (السيستو. فسعى الملك (تريفيكراماسينا) خلفه، ثم حمله على كتفه، متحديا جميع الألاعيب والخدع التى استعان بها الساحر. وفى أثناء الطريق قال له الشيطان: (ان مثابرتك فى السعى وراء المستحيل، تجعل من العسير على المرء أن يقهرك. ومع ذلك فسأقص على مسامعك قصة مشوقة. أنصت:

■ ■ ■

# عودة الناسك إلى شبابه

(تقع ولاية (كالينجا) فى الشمال الشرقى من الهند، وعاصمتها (سويهافاتى). وكانت تلك المدينة - فى سالف العصر - تمتاز بجمال مبانيها وثراء سكانها. وكانت مثل عاصمة ملك الاله (أندرا) فى السماء لا تؤوى بين أسوارها سوى أتقياء الناس. وزاد من البركات التى حبتها الآلهة بها أن تولى حكمها الملك (براديومنا) الذى كان يتمتع بخصال جليلة، فلم يلبث صيته أن ذاع، وأصبح اسمه ملء الأسماع، وصار الناس - اذ يرونه - يذكرون على الفور عظمة وعدالة وقوة بأس جده الأكبر الملك (براديومنا)!

وكانت الضرائب لا تجمع فى مملكته الا بالمحبة والرضا، ولا يغدو المستقيم معوجا الا عند الانحناء، ولا يحس أحد بلذعة الا لذعة الفكاهة والنكات!

وقد خصص الملك حيا من المدينة لسكنى البرهميين، وكان كل منهم يملك فى هذا الحى قطعة من الأرض، يتصرف فيها كيفما يحلو له. وكان يعيش فى ذلك الحى البرهمى (ياجنوساما). وكان مشهودا له بغزارة المعرفة وسعة الاطلاع، كما انه تفقه فى علم (الفيدا). وكان (ياجنوساما) يفنى الجزء الأكبر من ثروته فى ذبائح التقدمات، كما كان يعتبر للآلهة الحق الذى للضيف فى أثمن ما يقتنيه. وعاش هكذا متمتعا باحترام الجميع. حتى اذا ما بلغ من العمر أرذله، استجابت الآلهة لصلواته ودعواته التى عاش عمره يرددها، فأنجبت له زوجته ابنا ذكرا، احتفل الكهنة بمولده احتفالا مهيبا، وأطلقوا عليه اسم (ديفاسوما).. ذلك لأنهم توسموا فيه دلائل العظمة والخلود!

وترعرع الابن فى كنف ابيه - ستة عشر عاما - اغترف خلالها من كنوز العلم والمعرفة. ولكن الصبى لم يلبث أن أصابته حمى قاتلة فقضى نحبه. الا أن أباه وأمه - اللذين كانا يحبانه الى درجة العبادة - رفضا تسليم جثته الى

اللحادين ليقوموا بحرقها، بل أبقياها بالمنزل لا يكلان عن احتضانها!

وذهب وفد من سكان المدينة الى البرهمى العجوز، وقالوا له: (أيها البرهمى. يا من بلغت أرفع مراتب الحكمة.. ألا تعرف زيف هذه الصورة التى ندعوها بالحياة؟ ان ملوك الأرض الذين حشدوا أقوى الجيوش، وأوفرها عدة وعددا، والذين أحاطوا أنفسهم بأجمل المحظيات، وتوسدوا الحشايا المزينة بأغلى الجواهر، وشنفوا آذانهم بأعذب الألحان.. أولئك الذين كانوا يعدون أنفسهم آلهة على الأرض، لم ينج أحدهم من مصيره المحتوم، واستقرت اجسادهم فى النهاية - واحدا بعد الآخر - فوق أرض المحرقة، تتردد من حولهم ولولة أقاربهم ورعاياهم. ومع ذلك لا يجدر بأحد أن يحزن على موتهم. فكيف اذن يحق لنا أن ننوح على غيرهم؟)

هكذا راح شيوخ البرهميين يتوسلون اليه محاولين أن يقنعوه بالافراج عن جثة ابنه، حتى انصاع أخيرا لتوسلاتهم. وعندئذ أقام أهل المدينة مراسم الموت، وحمل أقارب البرهمى جثمان الصبى الى أرض المحرقة، يتبعهم حشد لا حصر له من الناس يذرفون الدموع الساخنة!

وكان ناسك كهل قد اتخذ من أرض المحرقة هذه مأوى له، وقد انزوى فيها داخل كهف صغير. وكان ثقل السنوات الطويلة وما لقى من مصائب الحياة قد قصمت ظهره، فهزل جسده، حتى بدا كأنه تجرد من اللحم، ولم تبق غير شراينه تشد عظامه وتحول دون انهياره!.. وكان هذا الناسك الذى يدعى (ياساميفا) شاحب اللون، تكسو جسده ذرات الرماد المتخلفة من الجثث المحترقة، ويعلو هامته تاج من الشعر الأصفر اللون كالشفق.. فكان يبدو صورة حية للاله (سيفا)!

وكان لذلك الناسك تلميذ يلازمه على الدوام، ويعيش على التسول من أهل الخير. وكان ذلك التلميذ يتصف بالغباء والخبث والغرور، ولا يمل الشكوى من الجهد المضنى الذى يبذله فى أداء مهنته!

وقد بلغت أصوات النواح والعويل، الصادرة من مشيعى جنازة ابن البرهمى الحكيم، الى مسامع الناسك القابع فى كهفه، فقال لتمليذه: (اذهب وتبين مصدر هذه الأصوات المزعجة التى تصم الآذان والتى لم أسمع لها مثيلا من قبل!)، فأجابه التلميذ قائلا: (ولماذا لا تذهب لتتبين ذلك بنفسك؟ لقد انقضى موعد تسولى!)، فاستشاط الناسك غضبا وصاح به: (ويل لك أيها الأحمق، الذى لا هم له سوى حشو بطنه. هل انقضى موعد تسولك ولم يمض على غروب الشمس سوى ساعتين؟). بيد أن الفتى لم يرتدع، وانما واصل سبابه قائلا: (عليك اللعنة أيها الخرقة البالية من العظام المنتنة! من الساعة لست تلميذك ولست معلمى. اننى سأرحل بعيدا، تاركا اياك لتتسول لقمتك بنفسك!!)

ثم انصرف تاركا للناسك عدة التسول: وهى السلة والعكاز، فلم يجد الناسك بدا من الخروج الى المكان الذى خصص لحرق جثة البرهمى الشاب. وما وقع بصره على تلك الجثة الغضة، لفتى لم يكد يبلغ سن المراهقة، حتى قرر أن يعيش ما تبقى من حياته فى ذلك الجسد.

وعلى الفور شرع فى تنفيذ خطته، فاختار لنفسه بقعة منعزلة، ليطبق فيها ما تعلمه من أسرار علم (اليوجا).. وهناك أخذ يبكى بحرقة، ثم لم يلبث أن كف عن البكاء ليرقص رقصا عنيفا، بخطوات سريعة سرعة البرق. فلم يمض وقت طويل حتى انتقلت روح الناسك الكهل - المحترق شوقا الى الشباب - من جسده الهامد الى جسد الفتى النضير. ولم يلبث الفتى أن فتح عينيه ثم نهض جالسا وهو يتثاءب!

ولما شاهد الحشد الحزين الفتى وقد ردت اليه الحياة، هتفوا قائلين: (لتتبارك الآلهة! انه حى! انه حى!).. وتوجهوا اليه يسألونه عن سر المعجزة التى حدثت له، فرفض الناسك المتبحر فى علم (اليوجا) أن يبوح لهم بالسر، وفضل أن يختلق لهم قصة خيالية، فقال لهم: (لقد مت وانطلت روحى الى الاله (سيفا). بيد أنه سمح لى بالعودة الى الحياة، على شريطة أن اعتزل العالم لأكرس حياتى للعلم والمعرفة. لذلك أرجو أن تتركونى بمفردى، كى اتفرغ للمهمة

التى ألقيت على عاتقى!)

وهكذا تخلص الناسك من أقارب الفتى الذين غادروا المكان تتنازعهم عاطفتان متضاربتان: الفرح لعودته الى الحياة والحزن لحرمانهم منه. أما الناسك الذى عاد الى شبابه فقد رحل الى مملكة أخرى، ليعاود دراسته وتأملاته!)

وعندما فرغ الشيطان من سرد قصته، سأل الملك (تريفيكراماسينا) قائلا: (أخبرنى أيها الملك، لماذا بكى الناسك العجوز فى بادئ الأمر، ثم رقص رقصا عنيفا، وهو يؤدى الطقوس لنقل روحه من جسده القديم الى جسد الفتى؟ اننى مشوق لمعرفة السبب!)

وخاف الملك أن تصيبه لعنة الشيطان، فأجابه قائلا: (لقد كان الناسك يقول لنفسه: (ها أنذا الآن أنبذ الجسد الذى عاشرته زمانا طويلا.. الجسد الذى كان موضع حب واعزاز أبى وأمى عندما كنت رضيعا، الجسد الذى توصلت عن طريقه الى أسرار علم اليوجا. لقد بكى اذ دار هذا الخاطر فى ذهنه.. وذلك لأنه من العسير على المرء أن يمحو من قلبه حبه لجسده!.. لكنه لم يلبث أن رقص طربا حين حدث نفسه: (اننى لن ألبث أن انتقل الى جسد جديد، لشاب فى مقتبل العمر. ومن ثم سيمتد بى الأجل بحيث أستطيع أن أحقق نجاحا أكبر فى علم (اليوجا). فمن من الناس لا يتوق الى الشباب؟)

وما أن سمع الشيطان جواب الملك، حتى اختفى - مرة أخرى - من فوق كتفيه، عائدا الى شجرة (السيسنتو). فهرع الملك خلفه، عازما على بذل جهد أكبر، ليتحقق له الفوز!.. لأنه الى نهاية الدهر ستظل الغلبة للثابرين على أكثر الجبال منعة وأوعرها مسلكا!

وقبض الملك على الشيطان وأنزله من الشجرة، ثم حمله فوق كتفه!.. وفى أثناء الطريق قال له الشيطان: (أيها الملك. أتراك لم تتعب بعد من الغدو والرواح؟ أمّا انا فقد نال منى التعب. لذلك أنصت الى لأفضى اليك باللغز الأعظم:

# اللغز الأعظم

(حدث منذ زمن بعيد أن كان أحد السلاطين يحكم ولاية صغيرة تقع فى الجنوب من الهند، وقد اتصف بالعدل، والتدين، والكرم، مما جعله موضع حب رعاياه، فكانوا - من كبيرهم الى صغيرهم - لا يترددون فى افتدائه بحياتهم.. بيد أن أقاربه كانوا يحسدونه على حب رعاياه، ويستكثرون عليه ما كان يتمتع به من جاه وسطوة. وكان لذلك السلطان زوجة بلغت من الفتنة والجمال حدا كان الناس معه يتوجونها - فى أذهانهم - ملكة على كافة الحسان والفاتنات!.. وقد أنجبت له زوجته هذه ابنة ورثت عنها سحرها، فما رآها أبوها حتى سماها (جميلة).

غير أن مكائد أقارب السلطان ودسائسهم لم تلبث أن أتت ثمارها، فنجحت المؤامرة التى دبروها فى خلعه عن العرش، وتقسيم السلطنة فيما بينهم. الا أن الملك تمكن من الفرار مع زوجته وابنته، تحت جنح الظلام، حاملا معه كنزا من الجواهر التى أمكنه انقاذها. وولى وجهه مع أسرته شطر ولاية (مالافا) حيث يعيش والد زوجته.

وكان الليل قد أرخى سدوله حين بلغ السلطان حدود الأحراش الكثيفة التى تكسو جبال (فندهيا). وهناك استسلم للبكاء والنشيج حزنا وأسى، واستنكارا لغدر الزمان وتقلبات الدهر. وكانت الشمس قد هبطت فى هوة الغروب وهى تبعث اليه بإشارات التحذير من اجتياز الغابة - المكتظة باللصوص وقطاع الطرق - تحت جنح الليل. بيد ان الملك الجسور، الذى لا يرهب خطرا، والذى صيغت روحه من أوراق شجر (الكوسا) الحادة الاطراف، لم يعر تحذيرها اهتماما، وانما حث الخطى - مع أسرته - حتى وصل الى وكر قبيلة (بهيل) التى احترف أفرادها سلب امتعة المسافرين والاعتداء على حياتهم.

ولمح أفراد العصابة الملك يقترب من وكرهم، مرتديا زيه الملكى، وحاملا مجوهراته، فهب عدد منهم الى سيوفهم وكافة أنواع أسلحتهم، ليهجموا عليه ويستولوا على ثروته. ولمحهم السلطان بدوره، فطلب من زوجته وابنته ان تختفيا بين أغصان الاشجار المتشابكة، حتى لا تقع ايدى أولئك المتوحشين عليهما، فاستجابت الملكة لطلب زوجها، وهرعت مع ابنتها - فى فزع وجزع عظيمين - لتختفيا بين الاحراش الكثيفة.

ووقف السلطان بمفرده، شاهرا سيفه ودرعه ليلاقى بهما جيش المعتدين الذين هجموا عليه بعنف، حتى اذا بلغوا مرمى سهامه عاجلهم بوابل منها فأسقط منهم الكثيرين مجندلين، بيد أنهم لم يلبثوا أن تكاثروا عليه، فأطاحوا بدرعه وسيفه، ثم حزوا رقبته بسيوفهم. وروعت الملكة عندما شاهدت الصورة التى لاقى بها زوجها حتفه غيلة وغدرا، غير أنها لم تجرؤ على اتيان أية حركة، حتى انصرفت (قوات الظلام) حاملة معها مجوهراتهم. فخرجت عندئذ من مخبئها، واقتربت من زوجها الراقد على الارض غارقا فى دمائه، يراودها الامل فى أن تكون ثمة أنفاس لا تزال تتردد فى صدره. ولكنها تبينت أنه فارق الحياة، فجلست بجواره تندبه وتبكيه. بيد أن هاجسا لم يلبث أن ألم بها، فخشيت أن يعود اللصوص مرة أخرى، وهاجمها الخوف والفزع. ومن ثم سحبت ابنتها من يدها، وراحت تركض بها، فلم تتوقف حتى بلغت غابة أخرى نائية.

وعند الظهيرة، جلست مع ابنتها فى ظل الاشجار تلتقطان أنفاسهما. وهناك استسلمتا لاشجانهما، وذرفتا الدموع الساخنة من فرط اللوعة والاسى.

(وفى تلك الاثناء، خرج نبيل يدعى (كاندراسيمها) مع ابنه (سيمها باركراما)، على صهوة جواديهما للصيد - وكانا يقطنان فى تلك الغابة- فوقع بصرهما على صفين من آثار أقدام واضحة على الرمال. وعندئذ قال النبيل لإبنه: (لنتبع آثار هذه الاقدام التى تنم عن جمال صاحبتيها، فاذا لحقنا بهما، لك أن تختار منهما التى تروق فى عينيك لتكون زوجة لك!)، فأجابه الابن قائلا: (لا حاجة بى لأن انتظر رؤيتهما، لكن أدرك أن القدمين الصغيرتين تمتان لفتاة

فى مقتبل العمر، وهى التى ستغدو خير زوجة لى. أما الاخرى ذات القدمين الكبيرتين، فأغلب الظن أنها فى منتصف العمر، ومن ثم فهى تناسبك أكثر!)

فاستنكر الاب كلام ابنه وقال له: (ما هذا الهراء الذى تتفوه به. ان جسد أمك لم يبرد بعد، وروحها لم تنطلق الى السماء الا منذ قليل. فكيف أفكر فى الزواج من امرأة أخرى، وقد فقدت - لتوى - زوجتى المثالية؟).. الا أن الابن لم يقتنع بمنطق أبيه وراح يجادله قائلا: (لا تقل هذا يا أبى ان زواجك من امرأة أخرى لا يعنى انك خنت عهد أمى، فأنت فى حاجة الى الزواج أكثر منى.. لان منزل الرجل يظل شاغرا لا روح فيه اذا خلا من زوجة. ألم تبلغك حكمة (مولاديفا) الذى قال ان البيت لا يعد بيتا بالنسبة لصاحبه اذا خلا من زوجة فاتنة، وانما هو أقرب الى سجن جرد من وسائل الحراسة، لا يؤمه الا الحمقى!.. فلتحل بى لعنة الموت اذا لم تأخذ المرأة الثانية زوجة لك!)

وأخيرا اقتنع الاب بمنطق ابنه، وراح الاثنان يتبعان آثار الاقدام، حتى وقع بصرهما - أخيرا - على الملكة (كاندرافانى) وابنتها جالستين تحت الشجرة بالقرب من البحيرة. ولاحت لهما الأم ببشرتها السمراء وعقود اللؤلؤ التى تزين جيدها الفاتن، أشبه بالسماء الصافية الاديم، عند منتصف الليل، وقد اضاءت صفحتها أشعة القمر وقت اكتماله. أما الابنة فكانت هى القمر بذاته!

ولمحت الملكة وابنتها الفارسين اللذين كانا يتقدمان نحوهما، فحسبتاهما لصين، فنهضتا على أقدامهما مرتجفتى الاوصال الا أن النبيل راح يهدئ من روعهما قائلا: (لا تخافا، ايتها السيدتان الفاضلتان، فاننا لسنا من قطاع الطرق، وليس لنا مأرب فى نفائسكما.. ان بوسعى أن أحكم من لباسكما الانيق والجواهر الكريمة التى تتحليان بها، انكما من كرائم العائلات وقد خرجتما للصيد فى الغابة).

بيد أن المرأتين ظلتا مترددتين، غير مطمئنتين، فترجل الابن (كاندراسيمها) عن جواده، وخاطب الام قائلا: (ليس ما يدعو للخوف يا سيدتى. فقد اقتفينا

أثركما تحدونا أطيب النوايا وأنبل الاغراض. تمالكى نفسك وأخبرينى من تكونين؟.. أتراك ربة العشق خرجت الى الغابة لتنوح على حبيبها (اله الحب) الذى أحرقته عين الاله (سيفا) الثالثة[1]؟.. لماذا توغلتما فى الغابة الموحشة حتى بلغتما هذا المكان؟.. ان أناقة ثيابكما تجعلكما خليقتين بأن تكونا زينة أفخم المخادع فى أعظم القصور الملكية!.. اننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من التساؤل عن السبب الذى حدا بكما الى السير بأقدامكما الرقيقة المرهفة - والتى تعتز بامتلاكها سليلات المجد وكرائم السيدات - فوق أرض الغابة المليئة بالاشواك! وليس لى أن أسأل كيف عجزت ذرات التراب الذى تذروه الريح عن تشويه قسمات وجهيكما، وكيف حدث أن هذه الشمس المحرقة التى صبغت بشرتنا، لم يكن لها من تأثير على بشرتكما أكثر من تأثير دغدغة النسيم العليل وهو يداعب جسديكما اللذين يحكيان الازهار رقة ونعمومة! ولكننى مشتاق يا سيدتى لأن أعرف ما هو الامر الجلل الذى دفعكما لان تخرجا الى هذه الغابة المكتظة بالوحوش الضارية!)

وظلت الملكة تستمع فى أناة الى حديثه المنمق المهذب، ولم تلبث أن تغلبت على حيائها، فقصت عليه ما حدث لهما بالتفصيل. وقد روع النبيل حين علم أن الملكة وابنتها اضطرتا الى الفرار بغير حراسة وراح يحاول أن يبث طمأنينة فى نفسيهما بعبارات تفيض حنوا وعطفا. ثم أركب الام أمامه فوق جواده والابنة أمام ابنه، وساروا جميعا الى الضيعة التى يملكها النبيل فى قوية (فيتابابورى).

وهناك اكتشف النبيل ان الابنة هى صاحبة القدمين الكبيرتين، فاتخذها زوجة لنفسه، أما الام فغدت من نصيب الابن اذ كانت هى صاحبة القدمين الصغيرتين. ذلك لأنهما لم يشاءا أن ينقضا الاتفاق الذى عقداه فى الغابة حين كانا يقتفيان آثار أقدام المرأتين، لأن الوفاء بالوعد من شيم الكرام. وقد نجم عن

(١) تحكى الأساطير الهندية أن الاله سيفا - اله الانتقام - كان يملك عينا ثالثة، وقد أصيب بسهم أطلقه عليه اله الحب، أثناء تقديم ذبائحه على جبل (كايلاسا)، فانتقم لنفسه بأن صوب نحوه شعاعا ناريا من عينه الثالثة، فقضى عليه!

الخطأ الذى وقعا فيه أن صارت الأم زوجة ابن زوج ابنتها، والابنة زوجة والد زوج أمها! وبمرور السنين انجبت كل من الام وابنتها أولادا وبناتا، ورزق هؤلاء بدورهم بأولاد وبنات!)

وكانت تلك هى عقدة اللغز الأعظم، فسأل الشيطان الملك (تريفيكراماسينا) قائلا: (أخبرنى أيها الملك، ما هى القرابة بين أبناء الاب والابنة وأبناء الام والابن؟.. ستحل بك اللعنة اذا كنت تعرف الجواب وتتوانى فى الافصاح عنه!)

وراح الملك يقدح زناد فكره ليصل الى الحل الصحيح، لكنه أخفق فى الوصول اليه. فلما أدرك أنه قد غلب على أمره لزم الصمت. وعندئذ ابتسم الشيطان المتقمص جثة الميت التى حملها الملك فوق كتفيه، قائلا فى نفسه: (لقد عجز الملك - فى هذه المرة - عن حل اللغز، ومن ثم أمن شر لعنتى، فسار فى طريقه جذلا طروبا. ان قلبى لا يطاوعنى على التمادى فى خداع هذا الرجل الطيب، ذى القلب النبيل. ولكن ماذا أملك أن أفعل، وذلك الراهب اللئيم لن يتردد فى الاقدام على أية فعلة خسيسة للاقتصاص منه؟ ينبغى أن يتفق ذهنى عن خطة ماكرة لخداع ذلك المتسول الشرير، محولا دفة النصر الى هذا الملك النقى السريرة!)

ثم قال الشيطان للملك بصوت مرتفع: (يا صاحب الجلالة. اننى أرى أنك تكاد تسقط من فرط الاعياء والخور، بعد كل هذا الغدو والرواح فى أرض المحرقة هذه، الرهيبة المنظر فى ظلام الليل. الا أن روحك تتوق الى السلام، فى غير تردد ولا تخاذل. ولما كنت معجبا بمثابرتك وصبرك النادرين، فقد قررت أن أعفيك من حمل هذه الجثة، على أن تنصت جيدا الى ما سأقوله لك وأن تنفذه حرفيا. إن ذلك المتسول - الذى طلب منك أن تحضر له الجثة - انما هو أحد اتباعى، وقد غضبت عليه لارتكابه الشرور والآثام، وهو يحاول منذ مدة طويلة أن يفوز بعفوى، بتقديم الذبائح والقرابين لى. لذلك أحسبه قد اختارك لتكون ذبيحته التالية التى يتوسل بها لكسب رضائى. انه سيطلب منك أن تستلقى على ظهرك، بحيث تلمس أطرافك الأرض، فاذا فعل ذلك أطلب اليه أن يريك

الطريقة. وعندئذ اهجم عليه واقطع رقبته بسيفك. وبهذا تفوز - دونه - بالمأرب الذى يسعى اليه: وهو الجلوس على عرش مملكة الجن، والا فانه سيضحى بك. هذا هو السبب الذى أغرانى على مطاردتك بقصصى والغازى طوال الوقت!)

وعلى الفور انسل الشيطان من الجثة. وسار الملك بحمله يمعن التفكير فى عجائب الدنيا، وكيف أن المتسول (كشانتيلا) قد ظهر على حقيقته، فاذا هو راهب شرير. بيد أن الملك كان من اولئك الذين يسلمون أمورهم للقدر يتصرف فيها كيفما شاء، ومن ثم عادت السكينة الى نفسه، وواصل سيره نحو شجرة (الفاتا)، حيث وجد الراهب يربض فى انتظاره. وهنالك رآه يحملق فى أرض المحرقة التى ألقى عليها الضوء الخافت المنبعث من الهلال الهزيل منظرا رهيبا مفزعا. ولمح الملك على الأرض المغطاة بالدماء دائرة سحرية رسمها الراهب بمسحوق العظام الأبيض، وقد أضاء الدائرة نور يغشى الأبصار، ساطع من مصابيح موقدة بالشحم البشرى. لقد أعد ذلك الشيطان المذبح، ولم يبق سوى الضحية ذاتها!

ورفع المتسول عينيه، واذ رأى الملك قادما يحمل الجثة، هب واقفا على قدميه، وقد اشرق وجهه بابتسامة كالحة، فما وصل الملك اليه حتى بدأ يكيل له المديح والثناء، متغنيا بمآثره وعظمته قائلا: (آه أيها المهراجا العظيم. لقد غمرتنى بفضل لن أنساه لك مدى الحياة، وقمت لأجلى بخدمة تعد فى حكم المستحيل. اذ لا يوجد ما يقسرك على مغادرة قصرك الآمن وفراشك الوثير، فى هذه الساعة من الليل، بينما الامر لا ينطوى على اية فائدة لك. ولا عجب اذن فى أنهم يعدونك أعظم الملوك قاطبة، لانك تتصف بالامانة فى معاملتك، وبالمحافظة على كلمتك. وقد ثبت ذلك فى أجلى صورة، اذ أديت عمل غيرك غير مبال بما تتعرض له حياتك من خطر. وهذا بذاته هو الذى سماه القدماء - منذ قديم الأزل - عظمة العظمة!)

وقد حسب الراهب أن أمانيه على وشك أن تتحقق، فانزل الجثة عن كتف الملك، وغسلها ودهنها بالطيب والمسك، ثم زينها بالورد والرياحين، ووضعها داخل

الدائرة السحرية التى رسمها!.. ووقف برهة يحملق فيها وهو مستغرق فى تفكير عميق، ثم أدى بعد ذلك طقوس عبادته، وقدم بعض الذبائح التى تتألف من جمجمة طفل رضيع، وباقة من الزهور، وقدر من المعاجين المعطرة، ثم أطلق البخور بأن أحرق عينين آدميتين وشريحة من اللحم البشرى!.. حتى اذا انتهى من هذه الطقوس التفت الى الملك قائلا: (يا صاحب الجلالة. تمدد على ظهرك فوق الأرض أمام الساحر العظيم الماثل أمامك. وسأحقق لك أية رغبة مهما كانت عسيرة التحقيق!)

واعادت تلك الكلمات الى ذهن الملك تحذير الشيطان، فأجابه قائلا: (لست أعرف كيف أفعل ذلك يا سيدى المبجل، فأرنى أولا وسأفعل مثلك!).. فاستلقى المتسول على ظهره ليريه الوضع المطلوب، وعندئذ بادره الملك بضربة من سيفه أطاحت برأسه، ثم شق صدره وانتزع منه القلب، الذى كان يشبه زهرة اللوتس المتفتحة.

واذ ذاك احتشدت آلاف الاشباح فى السماء تهلل وتهتف - فى حماس - بحياة الملك البطل. وظهر الشيطان للملك مرة أخرى وخاطبه قائلا: (لقد أصبحت مملكة الجن تحت امرتك حين تنتهى أيام حكمك على الأرض. وهو الشىء الذى كان المتسول يتحرق شوقا الى الحصول عليه!.. وهذه مكافأتك على طول صبرك واحتمالك!)

فأجابه الملك قائلا: (ان أعظم مكافأة لى أن أراك مغتبطا راضيا. الا أن ثمة رغبة واحدة أرجو أن تحققها لى: وهى أن يتاح لتلك الألغاز الرائعة التى سردتها لى - ولاسيما اللغز الخير الذى عجزت عن حله - أن تتناقلها الالسنة من جيل الى جيل!)، فقال الشيطان: (لا بأس، لسوف أجيب رغبتك، فأجعل هذه القصص خالدة على مدى الزمن، وسأعمل على أن يكسب كل من يقرأ هذه القصص بتمعن وانتباه مناعة ضد الشياطين والغيلان والساحرات والمردة والخائنات من النساء!).. قال الشيطان ذلك ثم اختفى بقوة السحر. وعندئذ ظهر الاله (سيفا) - محوطا بباقة من الآلهة - وقال للملك (تريفيكراماسينا):

(طوباك من بين بنى البشر!.. انت يا من قتلت ذلك الراهب المزيف الذى كان يطمع فى السيطرة على عالم الجن. فمنذ البدء خلقتك - من قطعة منى - وأنا أعلم أنك ستقهر قوى الشر الكامن فى بعض البرابرة. لذلك حبوتك بصفات الشجاعة والقوة والامانة. وستكون انت الحاكم على كل ممالك الارض فضلا عن مملكة الجن. وستنعم بكل الملذات الدنيوية والسماوية. ولكن نفسك لن تلبث أن تعاف كل هذه الملذات، فتنبذها باختيارك. وفى النهاية ستتحد معى بواسطة هذا السيف الذى سيكون وسيلتك الى تحقيق كل أهدافك!)

وقد دارت كل هذه الأحداث قبل أن ينصرم الليل، فعاد الملك - قبيل الفجر - الى دولته (براتيشتانا) حيث قابله الاهالى باحتفال عظيم. ولم ينتظر الملك ليغتسل من وعثاء الطريق، بل سارع الى توزيع الصدقات، ثم قدم فروض العبادة للالهة (ابنة الجبل)، وقضى بعض الوقت يستمتع بالغناء والموسيقى والرقص.

ولم تمض سنوات حتى كان حكم الملك (تريفيكراماسينا) قد امتد الى كل ممالك الأرض، بفضل سيف الاله (سيفا) السحرى، وشجاعة الملك النادرة. وتحقق وعد الاله الاعظم له، فظل فترة طويلة ينعم بملذات عالم الأرواح.. الى أن اتحد مع الاله!!

■ ■ ■

# الحب والمال

حدث منذ زمن طويل أن كانت تعيش فى مدينة (ماتهورا) - مسقط رأس الاله (كريشنا) - غانية لعوب تدعى (فاتنة). وكانت أمها التى تعمل وسيطة لها فى جلب العملاء تسمى (تمساحة). وعلى قدر ما كانت (فاتنة) صارخة الفتنة حقا، كانت الأم بمثابة القذى فى أعين شبان المدينة العاشقين لابنتها!

وذات يوم، كانت فاتنة تتجه صوب ساحة المعبد، حين لمحت - من بعيد - شابا طويل القامة، مفتول الذراعين، متناسق القسمات. فراح قلبها يخفق بعنف، وطارت من رأسها كل الدروس التى تلقتها عن أمها فى فن الغواية والاغراء! وفى الحال قالت لخادمتها: (اذهبى بهذه الرسالة الى الرجل الواقف هناك، واطلبى منه أن يحضر الى منزلى على الفور!)

وقرأ الشاب الرسالة ثم التفت الى الخادمة قائلا: (اننى برهمى فقير، واسمى (لوهاجانجا). وأنا لا أملك شروى نقير، فمن أكون حتى تلج قدماى دار فاتنة التى لا تفتح بابها الا لأغنياء القوم؟)، فاجابته الخادمة قائلة: ان سيدتى لن تطلب منك مالا!)، وعندئذ وافق الشاب قائلا: (قولى لسيدتك اننى سأحضر فى المساء!)

فما علمت (فاتنة) بموافقة الشاب حتى كادت تطير من الفرح، وهرعت الى منزلها وقد امتلأ قلبها بالسعادة، وهناك راحت تذرع غرفتها جيئة وذهابا، وهى لا تكل من النظر الى الشارع، بين هنيهة وأخرى. وأخيرا حضر الشاب(لوهاجانجا)، فما أن رأته (تمساحة) - أم الفتاة - حتى راحت تسائل نفسها من يكون ومن أين أتى!.. أما فاتنة فقد استقبلته استقبالا حارا، ينم عن مدى عشقها اياه ورغبتها فيه.. وقد القت ذراعيها حول عنقه وضمته اليها بعنف، ثم أخذته الى مخدعها!.. وعاش الشاب فى منزل الغانية وأمها، لا يغادره

الا للضرورة القصوى، بينما فقدت (فاتنة) اهتمامها بغيره من الرجال!

واذ أدركت الام ان ابنتها قد وقعت صريعة العشق والهوى تولاها حزن فظيع، وهى لا تفتأ تسأل نفسها كيف وقعت ابنتها فى هذا الخطأ الفاحش، وهى التى لقنتها ولقنت غانيات الحى فنون الفتنة والغواية. وانتهزت - ذات يوم - فرصة اختلائه بابنتها وقالت لها: (ماذا دهاك يا ابنتى؟.. كيف تقبلين أن تعاشرى مثل هذا الشخص المفلس؟.. ان البغى (الفاضلة) تؤثر احتضان جثة ميت على معاشرة رجل فقير! فما شأن الغانية بالحب؟.. هل نسيت المبدأ الأول: ان البغى العاشقة تشبه ضوء الشفق، فكلاهما الى زوال سريع؟ خليق بك أن تفعلى كما تفعل الممثلة اذ تتظاهر بالحب لتفوز بالمال!.. اطردى ذلك التعس والا حطمت حياتك!)

لكن (فاتنة) اجابتها فى غضب: (لا تتحدثى هكذا. اننى أحبه أكثر من حياتى. ثم أن لدى من المال ما يكفينى، فما حاجتى الى مزيد منه؟.. اياك أن تتحدثى الى هكذا مرة أخرى يا أماه!)، فاشتد القنوط بالمرأة، وراحت تنقب فى ذهنها عن طريقة تتخلص بها من (لوهاجانجا).

وقد واتتها الفرصة لذلك حين لمحت - ذات يوم - فى الطريق، أحد الفرسان الذين كانوا يجوبون البلاد للنهب والسلب، وقد بدا عليه الافلاس، ومعه كوكبة من زملائه، فركضت اليه وانتحت به فى مكان منعزل، وقالت له: (أغثنى يا سيدى. لقد احتل عاشق مفلس منزلى، رافضا الجلاء. فاذا ما استطعت - بأية وسيلة - ان تطرده من المنزل، أعدك بنصيب من المسرات مع ابنتى!)

فوافق الفارس على الصفقة فى الحال ودخل منزلها. وقد صادف أن كانت (فاتنة) فى الخارج اذ ذهبت الى المعبد فى حين خرج (لوهاجانجا) ليقضى بعض حوائجه. فلما عاد هذا الى المنزل، مطمئن البال، لا تخالجه بادرة من الشك فيما دبرته له المرأة الشريرة، انقضت عليه عصابة الفارس من كل جانب، وانهال عليه رجالها ضربا وركلا، حتى سال الدم من كل جسده، وأخيرا ألقوا به فى

وعاء للقامة. بيد أنه تمكن - بطريقة ما - من الفرار. حتى اذا عادت (فانة) وعرفت ما حدث استولى على قلبها حزن مطبق. فلما رأى الفارس من قسماتها مدى حزنها على عشيقها، فضل أن ينصرف لحال سبيله.

وانطلق (لوهاجانجا) يهيم فى أرجاء الأرض على غير هدى، ضاربا فى مجاهل البلاد، وقد احترق قلبه - بفعل الغضب المكظوم بسبب ما أصابه من اهانة - واحترق جسمه بفعل حرارة شمس الصيف، فالتمس لنفسه مكانا يستظل فيه، ولم تكن ثمة أشجار، بيد أنه لم يلبث أن عثر على فيل ميت، كانت الذئاب قد التهمت لحمة ولم تترك منه سوى الجلد. فانسل (لوهاجانجا) داخل جلد الفيل الذى جعله ما تسرب فيه من هواء عليل باردا، رطبا. ولم يلبث أن استغرق فى النعاس من فرط التعب والارهاق.

وفجأة هب اعصار عنيف، وتوافدت السحب من كل جانب، وسقطت الأمطار غزيرة، فانسابت المياه فى الجلد فانتفخ. وحملته السيول الى نهر (الجانجز) الذى حمله بدوره ثم ألقى به فى المحيط. ولم يلبث طائر ضخم من فصيلة (الجارودا) أن حلق فوق المياه، فوقع بصره على الهيكل الطافى فظنه رمة ميت. ومن ثم انقض عليه وحمله بين مخالبه الى شاطئ بعيد. وهناك شق الطائر بمنقاره جلد الفيل، فما أبصر الرجل الراقد بداخله، حتى انتابه الفزع وطار بعيدا.

وبعد فترة استيقظ (لوهاجانجا) من نومه، فاستولت عليه دهشة لا مزيد عليها اذ وجد نفسه فى ذلك المكان النائى، وقد خيل اليه انه فى حلم. لكن الدهشة ما لبثت أن تحولت الى رعب قاتل حين شاهد غولين ضخمين ينتصبان أمامه. بيد أن الغولين لم يكونا أقل منه خوفا وفزعا، اذ تذكرا الهزيمة التى منيا بها على يدى البطل (راما). فلما رأيا ذلك الآدمى، وقفا يحملقان فيه دون أن يحركا ساكنا.

وبعد مداولة قصيرة بينهما، ذهب احدهما الى الملك (فيبهيشانا) لينذره

بقدوم الآدمى الغريب، فاضطرب الملك ايما اضطراب، وقد شاهد بنفسه من قبل جبروت (راما). وقال للغول: (اذهب الى ذلك الآدمى، واطلب اليه - فى ادب - أن يشرف منزلى بزيارته!)، فأجابه الغول: (سمعا وطاعة!)، ثم ذهب ليؤدى الرسالة التى كلف بها، وهو يرتجف خوفا وفرقا.

وقبل البرهمى دعوة الملك بارتياح. فقاده الغول الى القصر الملكى فى مدينة (لانكا) عاصمة ملكه. وفى الطريق الى القصر، راح (لوهاجانجا) يردد الطرف فى أنحاء المدينة، فأذهلته كثرة القصور المشيدة بالذهب الخالص التى تزخر بها. واستقبله الملك بالترحيب اللازم، وتحدث الى ضيفه باحترام وتبجيل، قائلا: (كيف استطعت - أيها البرهمى - الوصول الى هذه البلاد؟)، فأجابه الرجل الماكر: (اننى من مدينة (متهورا)، واسمى (لوهاجانجا). وقد كنت أعانى فقرا مدقعا، فذهبت الى أحد المعابد حيث جثوت أمام الاله (فيشنو)، وصمت عن الطعام فترة طويلة.. فاستجاب الاله المبارك لدعواتى، وظهر لى فى الحلم قائلا: (اذهب الى (فيبهيشانا).. فهو من عبيدى المخلصين، وهو الذى سيجعلك ثريا). فقلت له: (لكن (فيبهيشانا) يقطن بلدا بعيدا، وليس من وسيلة لبلوغه!). بيد أن الاله عاد يقول لى: (اذهب اليه ولسوف تقابله اليوم!). وعند ذاك استيقظت من نومى، فاذا بى أجد نفسى راقدا على الشاطئ، هذا كل ما أعرفه!)

واستمع (فيبهيشانا) لكلمات (لوهاجانجا) وهو يتذكر قوة (لانكا)، فأيقن أن هذا الرجل يتمتع بقوة سماوية خارقة، وأجابه قائلا: (امكث هنا، وسأغرقك بالخيرات!).. ومن ثم أودع البرهمى فى رعاية الغول - آكل لحم البشر - بعد أن أوصاه به خيرا، ثم أوفد الغول الآخر الى جبل (سفارنامونا)، ليحضر طيرا حديث الفقس من فصيلة (الجارودا).. ثم سلم الطائر للآدمى ليتدرب على امتطائه، قبل أن يتأهب للعودة الى (ماتهورا).

وما أن أبدى (لوهاجانجا) رغبته فى الرحيل، حتى قدم اليه الملك عددا وفيرا من الجواهر النفيسة التى لا تقدر بمال، وأعطاه زهرة (لوتس)، وصدفة بحرية، وقرصا من الذهب الخالص، وصولجانا، ليحمل ذلك كله كتقدمات تعبر

عن اخلاصه وخضوعه للاله (فيشنو) الذى اتخذ من مدينة (ماتهورا) مقرا له.

وحمل (لوهاجانجا) الهدايا، ثم امتطى ظهر الطائر الذى وهبه الملك اياه كهدية وداع، والذى كان قادرا على التحليق مسافة ألف فرسخ.. وبدأ رحلته من لانكا، ثم عبر المحيط، وما لبث أن بلغ (ماتهورا)، دون أن يصادفه ما يعوق رحلته. وهبط بالقرب من دير مهجور، خارج المدينة، حيث خبأ الكنز، وربط الطائر!.. ثم اتجه الى السوق فباع احدى الجواهر، وابتاع بثمنها ثيابا وزيوتا وطعاما. ثم تناول الطعام فى أحد الاروقة، وتسربل بالثياب الفاخرة، وتعطر بالزيوت، وتزين بالازهار.

حتى اذا أرخى الليل سدوله، امتطى الطائر مرة أخرى حاملا معه القرص والصولجان والصدفة البحرية، وطار نحو منزل فاتنة. وهناك راح يحلق فى الهواء، ثم أطلق صفيرا خافتا لينبه عشيقته. فما سمعت الغانية الصفير حتى هرعت الى السطح.. واذا بها ترى رجلا على هيئة (فيشنو) يحلق فى السماء، حاملا جواهر تلتمع وتبرق، ويقول لها: (اننى فيشنو!.. وقد جئت أطلبك!).. فوقعت على وجهها أمامه، وهتفت قائلة: (رحماك يا مولاى.. رحماك!).. وعندئذ هبط (لوهاجانجا) على السطح، وربط الطائر، ثم ذهب مع عشيقته الى مخدعها.. وبعد أن تذوق - بين أحضانها - ملذات الحب والغرام، خرج وامتطى ظهر الطائر وحلق به فى الفضاء.

وفى اليوم التالى، أبت فاتنة أن تتحدث الى أحد، وهى تقول فى نفسها: (لقد اختارنى (فيشنو) زوجة له. ومن ثم لن أتحدث الى أحد من البشر الفانين).. وقالت لها أمها: (ما خطبك يا ابنتى؟.. اخبرينى!).. لكن (فاتنة) أسدلت ستارا بينها وبين أمها.. فلما ألحت عليها فى السؤال، قصت عليها أمر الشرف الرفيع الذى أسبغه عليها الاله العظيم.. وفى بادئ الامر، خالجت الريبة الام فى صحة القصة، ولكنها ما لبثت أن لمحت - فى الليلة ذاتها - شبح (لوهاجانجا) فوق طائره، فلم يسعها الا التصديق.

وفى اليوم التالى انحنت (تمساحة) أمام ابنتها من خلف الستار، وأخذت تناشدها قائلة: (حقا انك قد بلغت منزلة الآلهة يا ابنتى. لكننا لا نزال فوق الأرض وأنا أمك التى ولدتك.. فكونى ابنة بارة وامنحينى الجزاء الذى استحقه، اطلبى الى الاله أن يجعلنى - أنا المرأة العجوز - ادخل الفردوس بجسدى الذى أحمله.. كونى رحيمة بى!). فاجابتها فاتنة: (سأفعل!).. وبالفعل نقلت أمنية أمها الى (لوهاجانجا)، حين جاء اليها تلك الليلة، متنكرا فى هيئة الاله فيشنو!..

ولعب (لوهاجانجا) دوره بمهارة، فأجاب عشيقته قائلا: (ان أمك امرأة شريرة، وهى - بالتأكيد - غير جديرة بدخول الفردوس. ومع ذلك، ففى فجر اليوم الحادى عشر، ستفتح أبواب الفردوس، ليلج اليه أولا أولئك الذين حظوا برضاء (سيفا). ولن تستطيع أمك بأية حال من الاحوال الدخول الا اذا تنكرت باتقان. لذلك عليك بحلاقة شعر رأسها بالموسى، حتى لا تبقى فيها على شعرة واحدة فيما عدا خمس خصلات متفرقة، ثم أحيطى عنقها بقلادة من الجماجم البشرية، واطلى أحد جانبى وجهها بالقار الاسود، والجانب الاخر باللون الاحمر الفاقع، ثم جرديها من ملابسها. فاذا ما تنكرت بهذا الشكل حسبها حارس الجنة احدى اللواتى نلن الحظوة.. وهكذا أستطيع أن أدخلها الفردوس دون أن يكتشف أحد أمرها!!)

وبعد ان القى اليها (لوهاجانجا) بتعليماته، مكث معها بعض الوقت ثم انصرف. وفى الصباح نفذت فاتنة التعليمات حرفيا، وظلت العجوز الداعرة تنتظر بشوق لذات النعيم!.. وفى منتصف الليل ظهر (لوهاجانجا) ثانية، فتركت فاتنة امها فى رعايته. فاصطحبها وهى عارية، وامتطى معها الطائر، وسرعان ما كان ينطلق بها فى عنان السماء. ولم يلبث أن لمح أحد أمام المعابد عامودا طويلا مصنوعا من الحجر، وقد علت هامته اسطوانة دائرية. فأرسى المرأة فوق العمود، وهنالك تركها معلقة فى الفضاء لا يحميها من السقوط سوى تلك الاسطوانة. وظلت هناك كأنها بيرق يخفق فى الهواء معلنا عن انتقامه من تلك المرأة التى أهانته ايما اهانة!

وقبل أن يتركها قال لها: (امكثى هنا، ريثما أعود الى الارض لأنعم على الناس بخيراتى!).. ثم اختفى عن انظارها!

وأثناء ذلك تجمع أمام المعبد حشد من المصلين الذين وفدوا ليقضوا فيه ليلة العيد الكبير.. فخاطبهم (لوهاجانجا) من سمائه قائلا: (أيها الناس. ستسقط عليكم اليوم من الاعالى أخبث الهة من إلهة الدمار. انها الهة (الطاعون). فليكن لكم فى فيشنو ملاذا!).. فما سمع أهالى (ماتهورا) - المحتشدون أمام المعبد - هذا الصوت الصادر من السماء، حتى انتابهم الذعر والفزع، وهرعوا ملتمسين الحماية من الاله، متوسلين اليه فى صلواتهم أن ينقذهم. وفى تلك الاثناء هبط (لوهاجانجا) من السماء، وخلع ثياب التنكر، ثم اندمج فى الجماهير!!

وعلى قمة العامود جلست الحيزبون تخاطب نفسها قائلة: (ان الاله لن يعود اليوم، ولن أدخل الفردوس الآن!).. ثم نظرت الى أسفل من ذلك العلو الشاهق فانتابها الدوار، وأحست بانها ستسقط وشيكا، فهتفت فى فزع قائلة: (اننى سأسقط!).. فلما بلغت صرخاتها مسامع الناس، رفعوا انظارهم الى أعلا، فرأوا تلك الشمطاء المشوهة، فحسبوها الهة الطاعون التى أنذرهم بها الصوت الصادر من السماء، وراحوا يتوسلون اليها قائلين: (كلا لا تسقطى.. لا تسقطى أيتها الالهة!)

وظل أهالى (ماتهورا) شيبا وشبابا - فى حالة لا توصف من الخوف والفزع، مترقبين سقوط الهة الطاعون فوقهم من لحظة لأخرى!.. ولكنهم حين تبلج الصبح استطاعوا ان يميزوا المرأة العجوز، بشكلها الذى يدعو الى السخرية.. فتبدد الخوف عنهم وانفجروا ضاحكين. وما أن سمعت (فاتنة) بما حدث حتى هرعت الى المعبد، فلما تبينت أن المرأة التى تثير الهزء هى أمها استولى عليها خجل فظيع.. وقد عاونها بعض أهل الخير على انزالها من فوق العامود!

وفى فضول عظيم، تجمهر الناس حولها، طالبين من الحيزبون أن تحكى لهم

ما حدث.. فلما فعلت اعتقد الناس جميعا - بما فيهم الملك والبرهميون والتجار - أن هذه الخدعة من فعل ساحر. ومن ثم صدر فى المدينة الاعلان التالى: (ليظهر الرجل الذى خدع تلك المرأة، التى ضحكت على ذقون عدد وافر من العشاق، وسيتسلم على الفور عباءة الشرف!)

فأظهر (لوهاجانجا نفسه- وقص على الجميع القصة بحذافيرها، ثم قدم للاله فيشنو الهدايا التى أعطاه اياها الملك (فيبهيشانا)، والتى كانت تتألف من الصدفة البحرية، والصولجان، وزهرة اللوتس، والقرص الذهبى، وقد وقف الجميع مبهورى الانفاس يتأملونها فى دهشة عارمة. ثم بدأ القوم احتفالاتهم، فدثروا (لوهاجانجا) برداء الشرف بناء على أمر الملك، ثم أعطوه (فاتنة) زوجة له. وهكذا ظفر (لوهاجانجا) بالانتقام من المرأة الشريرة، وقدم للالهة نذوره، وفاز بعدد وفير من الجواهر النفيسة، ثم عاش مع زوجته (فاتنة)، يرتعان فى السعادة والهناء!

■ ■ ■

# حكمة ماهوداسا

خرجت امراة - ذات يوم - حاملة طفلها الرضيع الى بركه، تقع على مقربة من منزل الحكيم (ماهوداسا)، لكى يستحم. حتى اذا فرغت من ذلك أرقدت الطفل على الضفة، ثم نزلت -بدورها - فى البركة لتغتسل. وفى تلك اللحظة لمحت الطفل غولة، فراق فى عينيها وسال اللعاب من فمها، وتاقت نفسها الى التهامه. وقد استعانت بالسحر فجعلت نفسها فى هيئة امرأة فى منتصف العمر. وتقدمت الى الام قائلة: (انه لطفل جميل يا صديقتى. أهو ابنك؟، فأجابتها الام قائلة: (نعم)، فسألتها: ( أتراك تمانعين فى أن أرضعه؟)، فأجابت الام قائلة: (كلا).

وعندئذ حملت الغولة الطفل بين ذراعيها، وراحت تهدهده فى حنان، حتى اذا اطمأنت الى أن الام منهمكة فى الاغتسال، أطلقت ساقيها للريح. ووصل صراخ الطفل - الذى أفزعته حركة الغولة المفاجئة - الى مسامع امه، فخرجت من البركة راكضة خلف الغولة، حتى اذا لحقت بها انتزعت فلذة كبدها من بين ذراعيها، سائلة اياها: (الى أين أنت ذاهبة بابنى؟»، وكانت دهشة الزم عظيمة حين قالت لها الغولة: (انه ابنى انا. فهل تريدين ان تغصبيه منى؟).

وأصرت كل منهما على انها أم الطفل. وبينما كانتا تتناقشان بصوت مرتفع، مرتا ببوابة الحكيم (ماهوداسا)، فخرج هذا من منزله ليتبين جلية الامر. وسال المرأتين قائلا: (لماذا تتشاجران؟). فراحتا كلتاهما تدليان بقصتهما فى وقت واحد، بيد ان الحكيم لم يلبث أن اكتشف حقيقة الغولة من احمرار عينيها، وثبات مقلتيها فى محجريهما. فسألهما قائلا: ( أتراكما ستخضعان لقضائى؟)، فأجابتاه: (نعم. سنخضع).

ورسم الحكيم فوق الارض خطا بعصاه ووضع الطفل فوقه، ثم طلب من الغولة ان تمسك بذراعيه، ومن الام أن تمسك بساقيه، وان تجذبه كل منهما

ناحيتها، وتكون الفائزة هى الام الحقيقية!

وبدأت كل منهما تجذب الطفل نحوها بكل قوتها، فندت عن الطفل صرخة حادة من فرط الالم، وعندئذ أفلتته الام على الفور وكأنما انشطر قلبها الى نصفين، ثم وقفت فى مكانها تبكى بحرقة.

فنظر الحكيم نحو جمع من الناس تجمهروا حولهم، وسألهم قائلا: (أى قلب هو الذى يتأثر لالم الطفل؟ أهو قلب الام أم قلب امرأه غريبة؟) فأجابوه: ( انه قلب الام ، ايها الحكيم).

فسألهم مرة ثانية: (ألم تكتشفوا بعد حقيقة المرأه التى ظلت تجذبه؟).

فأجابوه: (كلا. أيها الحكيم!)

فقال: ( انها غولة، وقد خطفت الطفل لتلتهمه).

فسألوه: (وكيف عرفت ذلك أيها الحكيم؟)

فأجابهم: (من احتقان عينيها ومن ثبات مقلتيها. ومن اختفاء ظلها، وقسوة قلبها!)

ثم استدار الى الغولة يستجوبها قائلا: (من تكونين؟)

- اننى غولة يا سيدى.

- ولماذا خطفت الطفل؟

- لالتهمه يا سيدى.

- أيتها الحمقاء الرعناء. لقد ولدت غولة بسبب الشر الذى ارتكبته فى حق الآلهة والبشر، فى حياتك السابقة. وها أنت تعودين الى اقتراف الشر. حقا انك لغبية حمقاء!

وظل هكذا يوبخها ويقرعها ثم لم يصرفها من حضرته حتى اقسمت له على مراعاة المبادئ الخمسة. أما أم الطفل فقد راحت تسبح بحمده وتدعو له بطول البقاء، ثم حملت طفلها وانصرفت.

# مدينة الذهب

منذ آلاف السنين، كـان الملك (باروباكـارين) يجلس على عـرش مملكة (فاردهامانا)، التى كانت تعتبر - فى ذلك الزمن - جوهرة العالم. وعلى قدر الحب الذى كان رعاياه يكنونه له، لما اتصف به من شجاعة وعدل واحسان، كان أعداؤه يهابونه ويخشون بأسه. وكان الملك متزوجا من امرأة تمتاز بجمال خارق يحاكى البرق حين يلتمع وسط كتل السحاب الدكناء. بيد أنها كانت تختلف عن البرق فى أنها كانت مخلصة، لا يعتور عواطفها تذبذب أو وهن!

ولم تلبس الملكة أن أنجبت لزوجها طفلة ورثت عن امها سحرها وفتنتها، وكأنما لم يكن من هم الخالق - حين صاغها على تلك الهيئة الباهرة - الا اذلال كبرياء آلهة الجمال... وأطلق الزوجان عليها اسم (كانكاريخا).. أو أكليل الذهب، على اسم أمها.

وبمرور الزمن ترعرعت الطفلة وبلغت طور النساء. واختلى الملك - ذات يوم - بزوجته وقال لها: (لقد شبت ابنتنا - يا سيدتى - وبلغت سن الزواج. ومن ثم فان القلق يساورنى على مصيرها، حتى ناء قلبى بالهموم!.. ان العذراء الشابة - ذات الحسب والنسب، سليلة العائلات العريقة - التى لا تجد لها مكانا مناسبا تستقر فيه، انما تشبه أغنية ذات نغمات ناشزة، يؤذى رنينها الآذان!.. فماذا يكون الحال لو أن التوفيق جانب أبويها فى اختيار زوج مناسب لها، فمنحاها لرجل تافه ليس جديراً بها؟ ان مثل هذا الزواج لا يؤدى الى فضل أو شرف، وانما الى حزن وندم الى ابد الدهر. هذه هى المشكلة التى تثقل قلبى ولا أعرف لها حلا: الى من من الملوك الذين تقدموا طالبين يد ابنتى ينبغى أن أزوجها؟ وكيف يمكننى أن أعرف منهم الشخص الجدير بها، والذى لن يألو جهدا فى اسعادها؟).

فابتسمت الملكة وقالت: (أهذه هى المشكلة التى تقض مضجعك، بينما الفتاة ذاتها ترفض مجرد التفكير فى الزواج؟ لقد فاجأت اليوم ابنتنا (اكليل الذهب) وهى تصنع لها دمية، فلما سألتها مازحة: ( متى يتم الزفاف؟)، اجابتنى بقولها: (لا تفوهى بمثل هذا الكلام يا أماه. اننى لن اتزوج أبدا، بل سأظل عذراء الى ان أموت. ان القدر يمنعنى من الافتراق عنكما، وسأظل أعيش فى كنفكما، وسأكون مصدر سعادتكما، ولو عشت بينكما عذراء!.. أما اذا أرغمتمانى على الزواج، فإننى سأموت لا محالة. وثمة سبب لذلك!). وقد أضطربت لكلماتها اضطرابا فظيعا وبادرت بالمجىء اليك لانهى لك الامر. اننى لا أملك إلا ان أتساءل: هل من الحكمة أن تقهرها على أمر ضد إرادتها؟).

فلما سمع الملك هذه القصة من شفتى الملكة اضطرب قلبه وتكدر باله. ولم يتردد فى الذهاب الى جناح ابنته قائلا: (ماذا أسمع يا ابنتى الحبيبة؟.. أحقا ترفضين الزواج، والالهات والحوريات لا يترددن فى ملاقاة كل عناء من أجل العثور لك على زوج؟)، فغضت (اكليل الذهب) من نظرها احتراما لابيها، ثم قالت: (لست راغبة فى الزواج يا أبى. الآن على الاقل. لماذا تدع هذا الامر يقلقك، فتلح فيه؟).

وكان الملك (باروباكارين) ملكا حكيما، خبيرا بشئون الدنيا، فأجابها قائلا: ( أنى للمرء أن يكفر عن ذنوبه وخطاياه، اذا لم يبذل كل ما يسعه من جهد ليدبر لابنته زواجا موفقا؟ ان أحدا لم يسمع بفتاة استغنت عن رعاية الرجال، فقد خلقت المرأة لتعيش فى كنف رجل سواء أكان زوجها أم اباها. بل أن المرأة تولد وقد خط اسم زوجها فى لوحة قدرها! إن أبويها يرعيانها لفترة محدودة تنتهى حتما، لتتوجه بعدها الي بيت زوجها. إن الفتاة التى لا تتزوج ليس من حقها أن تعتبر بيت والديها بيتها، بعد إنقضاء طفولتها. ويجب أن تدركى - يا ابنتى - أن الفتاة اذا ظلت عانسا فان انوثتها لن تلبث أن تخبو بمرور الايام، حتى اذا تزوجت آخر الامر، لا يفوز زوجها عندئذ الا بهيكل عظمى، مجرد من أحاسيس النساء!).

وأمام إلحاح الاب ومنطقه، لم تجد الفتاة بدا من التصريح بمكنون فؤادها، فقالت له: (اذا لم يكن من الامر بد، فلا مانع لدى من الزواج من اى نبيل أو برهمى يتقدم طالبا يدى، على شرط أن يكون قد زار مدينة الذهب!.. هذا الرجل - ولا شخص غيره - هو الذى أقبله زوجا! وعبثا تحاول أن تغرينى على التنازل عن هذا الشرط!).

وراح الملك يناجى نفسه قائلا: (لا بأس. اننى اعتبر نفسى محظوظا، اذ اقتنعت ابنتى - على الاقل - بالفكرة!.. ان الشك يراودنى أحيانا فى أنها الهة هبطت - لعلة ما - الى الارض لتولد تحت سقف بيتى!.. والا، من أين لها كل هذه الحكمة وهذا العلم؟ انها لا تعدو أن تكون طفلة!).

وفى اليوم التالى عقد الملك مجلس وزرائه، وسأل الحاضرين: (أيوجد بينكم من زار مدينة اسمها (مدينة الذهب)؟ اذا كان أحدكم يعرف برهميا او نبيلا زار هذه المدينة، فانى على استعداد لان أهبه ابنتى لتكون زوجته، وأتنازل له عن العرش!).. وراح كل الحاضرين ينظر الى الآخر فى دهشة، ثم قالوا: (كلا يا مولاى. بل اننا لم نسمع بهذه المدينة قبل اليوم!).

وما أن انفض المجلس حتى أمر الملك بأن يخرج المنادون الى طرقات المدينة، منادين - على صوت قرع الطبول - ان كان أحد قد زار مدينة الذهب. وطاف المنادون صائحين: (ياقوم، إن كان بينكم من زار مدينة الذهب، سواء اكان برهميا أم نبيلا، فليتقدم الى الملك الذى سيزوجه من ابنته الاميرة (اكليل الذهب) ويتنازل له عن عرشه!).

وقد قوبل اعلان الملك بدهشة من الجميع ، وراح الناس يسألون بعضهم البعض قائلين: (أين تقع مدينة الذهب هذه التى يعلنون عنها؟.. أن أحدا منا لم يسمع بها من قبل، وحتى العجائز منا لم يقع بصرهم عليها!).

وفى ذلك الوقت، كان احد البرهميين الشبان يدعى (ساكيتديفا) يعيش فى مدينة (فاردهاماتا). وكان يافعا غريرا، فأطلق العنان لشهواته، وأفنى فى لعبة

النرد - فترة وجيزة - كل ما ورثه عن أبيه. وكان قد خرج لتوه من احد نوادى القمار بعد ان خسر ما تبقى لديه من مال، حين سمع المنادين يصيحون بأن الملك مستعد لان يزف ابنته لرجل زار مدينة الذهب. وعلى الفور تفتق ذهنه عن فكرة خبيثة، فقال لنفسه: (لقد خسرت كل ثروتى، ولم يعد لدى ما اقامر به بعد اليوم، ولم أعد اجد ترحيبا من أحد. لقد طردنى أعمامى من المنزل، وأغلقت الحانات والمواخير أبوابها فى وجهى، ولست أملك مكانا أبيت فيه. فماذا أخسر لو اننى زعمت اننى قد زرت مدينة الذهب هذه؟ ان أحدا لم يذهب اليها، فكيف يستطيعون أن يكتشفوا خديعتى؟.. ولربما ظفرت بالاميرة والعرش بهذه الطريقة!).

واستجمع شتات شجاعته، واتجه نحو المنادين، مطلقا أكذوبته، وقال لهم (لقد زرت مدينة الذهب). فقال المنادى: (مبارك أنت بين الرجال. هلم بنا الى رئيس الحجاب). واستقبل رئيس الحجاب أكذوبته باحترام وتبجيل، فلما مثل ذلك الافاق فى حضرة الملك لم يتلعثم، بل كرر زعمه بجنان ثابت. فما هو الامر الذى يحجم عن أدائه انسان فقد كل ثروته فى القمار؟!.

واستدعى الملك ابنته لتستمع إلى اقوال الفتى. فلما حضرت سألته: (أحقا تعرف مدينة الذهب؟)، فأجابه قائلا: (اجل. لقد مررت بهذه المدينة - منذ زمن بعيد - اثناء تنقلى بين بلدان العالم المختلفة طلبا للعلم والمعرفة!)، فسألته: (إذن، صف لى الطريق اليها، وشكل هذه المدينة)، فأجابها بقوله: (لقد قمت من هنا قاصدا مدينة (هارابورا)، ومنها يممت شطر جبال البنارس، وهناك قضيت ثلاثة أيام ثم اتجهت صوب مدينة (بوندرافاردهانا)، ومنها ذهبت الى مدينة الذهب.

أجل، لقد شاهدت المدينة. انها بمثابة الفردوس للذين اتوا فضلا عظيما. وهى تشبه فى روعتها وبهائها جنة (إندرا) التى يغشى ضياؤها أبصار الناظرين، ما عدا ابصار الالهة الذين لا يتحرك لهم جفن!.. هذه هى الطريق التى سلكتها اليها، وهذا هو شكل المدينة كما رأيته!)

حتى اذا فرغ البرهمى من سرد قصته الوهمية، ابتسمت الاميرة فى وجهه بحبور، ثم قالت: (صدقت أيها البرهمى العظيم. لقد أقمت الدليل - فعلا - على معرفتك بالمدينة. ولكننى أرجوك أن تعيد شرح الطريق التى سلكتها!)، ومرة أخرى انطلق البرهمى يشرح الطريق، لكنه بذل عناية أعظم - هذه المرة - فى تنميق قصته، واضفاء جو الصدق عليها، حتى اذا انتهى منها امرت الاميرة وصيفاتها بالقائه فى الخارج!

ودهش الملك لتصرف الاميرة، ثم سألها: (ماذا؟ ألم يكن البرهمى صادقا؟)، فاجابته الاميرة: (كلا يا أبى. بل لا توجد كلمة صدق واحدة فيما قال. إن أمرك عجيب يا أبى، فالبرغم من أنك تدير شئون الدولة بمهارة وحذق لا ينكرهما عليك أحد فانك تتصرف - أحيانا - بغير تفكير. الازلت تجهل ان العالم ملىء بالمحتالين والافاقين الذين يتفننون فى نصب شباكهم كى يوقعوا فيها السذج والامناء من الناس؟.. لقد حاول ذلك البرهمى أن يخدعنى لكن أمره لم يلبث أن انكشف، فادركت أنه لم تطأ قدماه يوما (مدينة الذهب). لذلك انصحك يا أبى بألا تتعجل فى محاولة العثور على زوج لى. أما أنا فقد قررت من جانبى أن أظل عذراء الى أن ينجلى ما سطر لى فى لوح القدر!)

لكن الملك الح عليها قائلا: (ليس طيبا - يا ابنتى - أن تظل الفتاة عذراء فترة طويلة. إن أشرار القوم - الذين لا يؤمنون بحرمة، والذين تغضبهم فضيلة الفاضلين - لا يملون ترديد الاشاعات الخبيثة عن الفتاة التى تظل بلا زواج. لأنهم يجدون أعظم متعة فى تشويه سمعة الناس الطيبين. ألم تبلغك قصة هاراسفامين؟ اذن فانصتى:

(كانت مدينة الزهور تقع على ضفاف نهر (الجانجز). وكان راهب يدعى (هاراسفامين) يقيم فى هذه المدينة ليستفيد من بركات النهر المقدس. وقد اتخذ من كوخ صغير - شيده على ضفة النهر - مسكنا له، وهيكلا يتعبد فيه. وكان يعيش على الصدقات التى يجود بها أهل الخير عليه. وقد اشتهر بالتدين والتقوى والعزوف عن شهوات العالم وملذاته.. واكسبه تصوفه الخارق للعادة حب

جميع سكان المدينة وعطفهم. وقد خرج ذلك الراهب من صومعته - ذات صباح - ليتسول طعامه، وكان رجل شرير يقف بين جمهرة كبيرة من الناس، فما لمحه من بعيد حتى قال لمن حوله: (ان هذا الراهب الذى يتظاهر بالتقوى والتدين منافق كبير. ألم تسمعوا بنبأ الاطفال الذين يختفون من منازل ذويهم فلا يعثر لهم على أثر؟ حسنا، لو تقصينا الامر لعرفنا أنهم جميعا قد انزلقوا الى معدة هذا الراهب، فهو يتغذى بلحم الاطفال!)، وسرعان ما انضم اليه رجل ثان لا يقل عنه خبثا، فقال: (أجل، لقد سمعت الناس يرددون عنه ذات الامر، على أنه حقيقة لا مراء فيها!).. ولم يلبث ثالث أن أكد ادعاءهما قائلا: (نعم. لقد نطقتما صدقا!)

(وكأن سلسلة حديدية قد التفت وضاقت حلقاتها حول عنق الرجل المظلوم، فسرعان ما انتقلت الشائعة الذميمة من فم الى فم ومن لسان الى لسان، حتى استفحل امرها فانتشرت فى كل ارجاء المدينة، وكان من نتيجتها ان باتت النساء يغلقن أبواب بيوتهن على أطفالهن، خوفا من أن يختطفهم (هاراسفامين) ويلتهمهم أحياء.

(وقد خشى البرهميون الثلاثة أن فتضح أمر وشايتهم الدنيئة، فقرروا - فيما بينهم - أن يتخلصوا منه بطريقة حاسمة، فعقدوا اجتماعا عاما حضره معظم أهل المدينة، وأصدروا قرارا إجماعيا بنفى الراهب من المدينة. بيد أن واحدا من الوفد الذى اختير لتنفيذ الحكم لم يجرؤ على الاقتراب من الراهب، خشية أن يستشيط غضبا فيلتهمهم واحدا بعد الآخر!.. وأخيرا بعثوا اليه برسول منهم، وقف على مسافة بعيدة - ليتيح لنفسه فرصة الفرار اذا اضطرته الظروف لذلك - وانهى اليه بالحكم قائلا: (لقد أصدر عليك البرهميون أمرا بأن تغادر المدينة فورا، والى غير عودة!)، فسأله الراهب مذهولا: (وماذا ارتكبت حتى يصدر ضدى مثل هذا الامر؟). فأجابه الرسول قائلا: (انك تأكل أطفالنا الصغار!)

وقد قرر الراهب أن يكتشف - بنفسه - جلية الامر، فاندفع وسط الحشد

المتجمهر، وأثناء ذلك احتك كتفه بالبرهميين الثلاثة الذين روجوا الاشاعة، فأدركهم الفزع والوجل، وانطلقوا هاربين ثم تسلقوا جدار الدير. وقد كان طبيعيا أن يفروا من أمام وجهه، لأن الرجل البرىء، الذى تروج عنه اشاعة كاذبة، لا يمكن للمرء أن يتكهن سلفا بما قد يقدم عليه، وغالبا ما تكون تصرفاته بعيدة عن التعقل!

(ونادى هاسفارامين البرهميين الثلاثة الذين تسلقوا الجدار، وسألهم قائلا: (ما هذه الحماقة أيها البرهميون؟ ليسأل كل منكم الآخر: (من منكم فقد طفله؟ وكم يبلغ عدد الاطفال الذين التهمتهم؟). وراح أهل المدينة يسألون بعضهم بعضا هذا السؤال، واذا بهم يكتشفون أن جميع الاطفال موجودون وأنهم أحياء يرزقون!. واذ ذاك هتف الجميع قائلين: (لقد اتهمنا رجلا قديسا، من جراء غفلتنا وحماقتنا. ان جميع الاطفال يلعبون فى الشارع، لم ينقص منهم واحد. فمن هم الذين التهمهم الراهب اذن؟)

وهكذا ثبتت براءة الراهب بالبرهان القاطع، ولكنه صمم على الرحيل عن المدينة، اذ ما هى اللذة التى يجدها الانسان فى البقاء فى مدينة شريرة تجردت قلوب أهلها من الرحمة، وتجردت عقولهم من الصواب؟!.. لقد انقلبوا جميعا ضده لمجرد شائعات حقيرة رددها فريق من اللوص الحاقدين!.. فلما أدرك أهالى المدينة عزمه على الرحيل دفعهم الندم الى الركوع تحت قدميه، متوسلين اليه أن يبقى، ولم ينجحوا فى مسعاهم هذا الا بعد عناء كبير!)

وختم الملك قصته قائلا: (ان هذا يثبت لك - بما لا يدع مجالا للشك - ان قلوب الاشرار تحاول دائما الايقاع بكل من اتصف بالاخلاق القويمة، فهم يناصبونه العداء ويروجون عنه الاكاذيب، بل أنهم - فى بعض الاحيان - يلفقون له الاتهامات!. وحين تحين لهم سانحة - مهما ضؤلت - يبادرون باشعال نار الفتنة، ويذكونها بأن يصبوا فوقها دلاء مملوءة بالزيت السائل!.. والآن، هلا تراك راغبة فى نزع هذه الشوكة من جسدى؟ اذن عليك أن تبذلى غاية جهدك لتفويت الفرصة على أولئك الاشرار الذين يتحينون فرصة تفتح أنوثتك لترويج

الشائعات الذميمة عنك.. وذلك بأن ترتبطى - بأسرع ما يمكن - بشاب يليق بك!)

ولكن الاميرة لم تقتنع بالادلة التى ساقها أبوها، بل واصلت جدلها قائلة: (اذا كنت ترى أن هذه هى الطريقة الوحيدة، اذن فاعثر لى على نبيل أو برهمى يكون قد زار مدينة الذهب!).. ولم يجد الملك تفسيرا لعنادها واصرارها على هذا الشرط، سوى انها لابد قد احتفظت ببعض الذكريات من حياتها السابقة. ولم يجد الملك مندوحة من اذاعة الاعلان ذاته - كل يوم - على دقات الطبول، عسى أن يكون أحد الوافدين الجدد الى المدينة قد زار مدينة الذهب. الا أن الايام انقضت، يوما بعد يوم، ولم يتقدم اليه أحد!

وفى تلك الاثناء، كان الشاب البرهمى (ساكتيديفا) - الذى طردته الاميرة شر طردة - يحدث نفسه قائلا: (ان أكذوبتى لم تنطل عليها، ولم تؤد الا الى احتقار الأميرة لى وخسارتى اياها!.. لذلك يجب أن أسعى لاصلاح هذا الخطأ، وأن أعمل للفوز بها عن جدارة!.. اننى سأجول على ظهر الارض حتى أعثر على هذه المدينة أو أهلك دونها!.. فما جدوى حياتى الآن؟ أما اذا تكلل سعيى بالنجاح، فسيكون بوسعى أن أعود لأطلب يدها، مكافأة لى على المغامرة التى قمت بها!)

وبدأ الشاب رحلته من مدينة (فاردهامانا)، موليا وجهه شطر الجنوب. ولم يلبث الرحالة أن وصل الى الأدغال الكثيفة التى تقع فى جبال (فاندهيا) العالية علو أمانيه وأحلامه! وسار فى طريقه مخترقا الغابة، وكانت الشمس تصليه بلهيبها، لكن النسيم العليل الذى كان يداعب أوراق الاشجار لطف الجو حوله.. وكانت تصل الى أذنيه صيحات الألم الصادرة من الغزلان والظباء والقرود حين تفترسها الاسود وغيرها من الحيوانات المتوحشة، وكأنما كانت الغابة تصرخ محتجة على نهب اللصوص ثرواتها!.. وفوق الصحراء الجرداء كان الهواء يهب عنيفا، وقد بدت أغصان الأشجار كأنها تنحنى تحت وقع السياط الفظيعة التى تسلطها الشمس عليها!

واستغرقت رحلته أياما، قطع خلالها مسافة طويلة، سائرا على قدميه خلال فلوات خلت من الماء تماما، وتحيط به الأخطار من كل جانب. بيد انه ما لبث أن صادف – فى بقعة منعزلة – بحيرة متسعة، تفيض بماء عذب، صادف.. وخيل اليه أن البحيرة لو دخلت مباراة بين البحيرات لفازت – بلا شك – بلقب ملكة البحيرات: كانت أشجار اللوتس تحيط بها، وفوق سطحها تسبح أوزات رشيقات تهز أذيالها فى مرح وطرب!.. وعلى الفور خلع ملابسه وهبط الى البحيرة ليتمتع بحمام منعش. وفيما هو لاه ينثر رذاذ الماء من حوله وقد استخفه طرب لا يليق برجل بالغ، لمح على الضفة الشرقية ديرا تحيط به أشجار ظليلة محملة بالفاكهة الشهية. فخرج من الماء متجها نحو الدير. وهناك شاهد راهبا كهلا يدعى (سورياتاباس) جالسا أسفل شجرة (أزفاتا) وقد أحاط به رهط من النساك، وازدانت اذناه بقرطين من الخرز، تمثل كل خرزة منهما قرنا من عمره.

فانحنى (ساكتيديفا) أمام الراهب الذى رحب به عارضا عليه ضيافته، ثم قدم اليه غداء يتألف من الفاكهة وبعض جذور الأشجار، وغيرها من طعام الغابات، حتى اذا فرغ من تناول غدائه سأله الراهب: (من أين أتيت يا بنى والى أين تذهب؟)، فأجابه (ساكتيديفا) قائلا: (جئت من مدينة (فاردهامانا)، وقد آليت على نفسى بقسم رهيب أن اذهب الى مدينة الذهب. غير انى لا أعلم الطريق الى هذه المدينة. فاذا كنت تعرف موقعها أرجو أن تخبرنى به!)

فقال له الراهب: (لقد عشت فى هذا الدير ثمانية قرون، لم أسمع خلالها عن مدينة بهذا الاسم!)، وقد أسلمته اجابة الراهب لليأس والقنوط، فقال: (اذن لم يعد أمامى سوى أن أقضى حياتى فى التجول من مدينة الى أخرى حتى أموت!).. ورثى الراهب لحال الفتى، فراح يستدرجه فى الحديث حتى باح له بالقصة بحذافيرها. وعندئذ قال له الراهب: (على بعد ثلاثمائة فرسخ من هنا تقع دولة (كامبيليا)، وفى هذه الدولة تجد جبل (أوترا)، وفوق هذا الجبل دير، وفى هذا الدير يعيش أخى الأكبر (ديرجاتاباس). فاذهب اليه. انه أكبر منى سنا، ومن ثم قد تكون لديه معلومات عن هذه المدينة!)

وعندئذ لاح له بصيص من الامل، فانطلق الى حيث وصف الراهب. وبعد أن قطع شوطا كبيرا من رحلته - اجتاز خلاله أدغالا كثيفة، مليئة بالأخطار - وصل وقد بلغ به الاجهاد مبلغه الى دولة (كامبيليا). وهناك شرع من فوره فى تسلق جبل (أوترا).. وما لبث أن عثر على الراهب (ديرجاتاباس) - معتكفا فى ديره - فوق قمة الجبل، فانحنى أمامه باحترام. وعرض عليه القديس ضيافته، فامتلأ فؤاده فرحا، وقال: (يا سيدى المبجل. لقد خرجت فى رحلة قاصدا مدينة الذهب. وهى المدينة التى سمعت باسمها من أميرة بلادنا. وقد أقسمت قسما - لا رجوع فيه - أن أعثر على هذه المدينة. وقد أوفدنى الحكيم (سورياتاباس) اليك، كى تدلنى عليها!).. فأجاب الراهب: (طوال كل القرون التى عشتها من حياتى، هذه أول مرة أسمع فيها عن هذه المدينة.. ولم يخبرنى أحد من السياح المتجولين - الذين طالما شرفونى بزيارتهم - بشىء عنها. ان اسم هذا المكان لم يطرق سمعى من قبل اليوم، ولم يقع نظرى عليه أبدا. ولابد أنها مدينة نائية جدا.. ولعلها تقع فى جزر (أرشيبيلاجو)[1].. وبوسعى أن أدلك على الطريق اليها:

(فى وسط المحيط توجد جزيرة تدعى (أتستالا).. وفى هذه الجزيرة يعيش (ساتيافارتا)، وهو رئيس قبيلة من صيادى الاسماك، وقد أوتى ثراء واسعا. وهو يسافر كثيرا الى جميع جزر (أرشيبيلاجو).. فعساه يكون قد رأى هذه المدينة، أو على الأقل سمع عنها. فعليك أن تذهب - أولا - الى ميناء (فيتانكابورا)، ومن هناك تستقل سفينة الى جزيرة (أتستالا) حيث تعيش قبائل الصيادين!)

وشكر (ساكتيديفا) القديس على نصيحته، ثم غادر الدير.. ومرة أخرى قطع مئات الفراسخ، مجتازا بلدانا مختلفة، حتى وصل - أخيرا - الى ميناء (فيتانكابورا) الذى يقع كطابع الحسن على جبين الشاطئ!.. وهناك صادف تاجرا اسمه (ساموداراتا)، وسرعان ما توثقت الصداقة بينهما. وقد دعم التاجر صداقتهما بهدايا من مختلف أنواع الطعام أغدقها على البرهمى ثم أركبه سفينته.

---

(١) أرشيبيلاجو هى اندونيسيا.

وفيما كانت السفينة تشق عباب المحيط، ولم يعد بينهما وبين هدفهما سوى مسافة قصيرة، هب فجأة مارد من السحب والعواصف، أسود اللون، يلعق شفتيه بلسان من الرعد، مطيحا بالأشياء الخفيفة عاليا، وهابطاً بالأشياء الثقيلة الى أسفل، وكأنه القدر ذاته!.. وشبت فى المحيط أمواج عالية، تدفعها قوة العاصفة، كأنها جبال تحوم فوق البحر مرفرفة بجناحيها!.. وكانت السفينة تهبط الى أسفل ثم تصعد الى أعالى، تشبه فى ذلك حال الاثرياء من هبوط وارتفاع! ولم تلبث أن قفزت فى الهواء، وصرخات الفزع تتردد بين جنباتها، ثم انفجرت وتحطمت الى أشلاء صغيرة. وقد تمكن (سامودارداتا) - صاحب السفينة - من السباحة متعلقا بقطعة من الخشب كانت تطفو فوق الماء، ولم يلبث أن انتشلته سفينة عابرة.

أما (ساكتيديفا) فقد سقط فى فم حوت ضخم كان يتثاءب، فانزلق فى حلقومه ووصل الى معدته!.. وقد شاء القدر أن يسبح الحوت متجها صوب جزيرة (اتستالا). كذلك شاء القدر ذو النزوات أن ينصب خدم ملك الصيادين (ساتيافراتا) شباكهم فى المنطقة التى وصل اليها الحوت، فلم يلبث أن وقع فى شراكهم. وقد بوغتوا اذ شاهدوا ضخامة الحوت فحملوه الى الملك الذى أمر بشق بطنه، واذا (ساكتيديفا) يخرج من جوف الحوت حيا، وفى صحة جيدة وكأنه ولد من جديد!

فلما زال روع الملك يسأل الشاب قائلا: (من أنت؟ وكيف وصلت الى بطن هذا الوحش المفترس؟ من أين أتيت أيها البرهمى العجيب؟ وما هى المغامرات الرائعة التى خضتها؟)، فأجاب الشاب بقوله: (اننى أدعى (ساكتيديفا)، من بلدة (فاردهامانا). وقد أقسمت أن أزور مدينة تدعى مدينة الذهب. ولما كنت لا أعرف الطريق اليها، رحت أجول حتى بلغت أطراف الارض القاصية. وقد علمت من راهب يدعى (ديرجاتاباس) أن هذه المدينة لابد أن تكون فى احدى الجزر. ومن ثم ركبت سفينة ورحت أبحث عن جزيرة (أتستالا)، لكى استفسر من الملك (ساتيافراتا) - ملك الصيادين - عن موقع المدينة. لكن العاصفة أغرقت

السفينة، فغصت الى أعماق المحيط، حيث ابتلعتنى السمكة الرهيبة.. وها أنا ذا امامك!)

فأجاب الملك: (أنا هو (ساتيافراتا)، وهذه الجزيرة هى التى تقصدها. لقد شاهدت - فى حياتى - مدنا لا حصر لها، ولكن المدينة التى تبحث عنها لم يقع بصرى عليها أبدا. غير أننى سمعت عن مثل هذا المكان، ويقال أنه فى أطراف جزيرة (أرشيبيلاجو)).. لكنه ما أن شاهد خيبة الأمل التى ارتسمت على قسمات الشاب حتى استطرد قائلا: (ولكن، لا تدع اليأس يتسرب الى فؤادك، أيها البرهمى. أمكث معنا الليلة، وفى صباح الغد سأجد وسيلة تبلغك مقصدك!)

وبهذه الكلمات المشجعة أرسل ملك الصيادين البرهمى الشاب الى أحد الأروقة، حيث لقى فيه ترحيبا حارا من برهمى آخر كان يقطن الرواق، اسمه (فيشنوداتا). وجلس (فيشنوداتا) الى المائدة يراقب ضيفه وهو يتناول طعامه بشهية عارمة، وراح يجاذبه أطراف الحديث، حتى اذا فرغ الشاب من تناول طعامه، وجه اليه مضيفه وابلا من الاسئلة عن وطنه وأسرته وظروفه، فباح له (ساكتيديفا) بكل شىء. فما أن سمع (فيشنوداتا) قصته، حتى ألقى بذراعيه حوله محتضنا اياه فى ود ظاهر، ثم هتف بصوت اختلط بنشيج البكاء قائلا: (أوه. مبارك أنت. انك ابن خالى!.. لقد جئت من نفس بلدتك، منذ زمن طويل، وانا بعد طفل. يجب أن تمكث معى هنا، ولن يطول بك الوقت حتى تعرف أين تقع هذه المدينة، من البحارين والتجار الذين يفدون بلا انقطاع من جزر (أرشيبيلاجو)!

ولما تأكد (فيشنوداتا) من صلة القرابة التى تربط بينهما، غمر ابن خاله الشاب بشتى مظاهر الضيافة، حتى لقد نسى (ساكتيديفا) العناء الذى لاقاه فى رحلته، وامتلأ فؤاده غبطة لعثوره على قريب له من ذلك البلد النائى، وكأنما قد عثر على قرية من خمر الالهة فى وسط صحراء جرداء!.. فساده إحساس بالتفاؤل، وأدرك أنه - لا محالة - واصل الى بغيته.. ذلك لأن حسن الطالع الذى

وفقه الى العثور على قريبه، كفيل بأن ينبت طالعا حسنا على طول الطريق!

وفى صباح اليوم التالى، التقى (ساتيافراتا، ملك الصيادين)، (بساكتيديفا) فى الدير. واذ كان صادق العزم على تنفيذ وعده الذى قطعه فى الليلة السابقة، قال له: (أيها البرهمى. لقد خطرت لى خطة لتحقيق بغيتك: فى وسط المحيط توجد جزيرة جميلة اسمها (راتناكوتا). وفى وسط هذه الجزيرة معبد شيده المحيط لعبادة الاله (فيشنو). وقد اعتاد سكان الجزيرة اقامة احتفال فى ذلك المعبد، يتوافد اليه الحجاج من جميع جزر (أرشيبيلاجو). ولابد أن يكون من بينهم واحد سمع بمدينة الذهب. هلم نذهب سويا الى هناك، فان يوم الاحتفال قد اقترب!).. وقابل (ساكتيديفا) اقتراح الملك بفرح وغبطة، ولم يلبث ابن عمته أن أمده بمعدات الرحلة.

واستقل الاثنان قاربا صغيرا. وكان الملك يمسك الدفة حين خرج بهما القارب الى عرض المحيط، واجتازا فى رحلتهما خليج (كنوز الاعاجيب)، الذى كان يغص بالحيتان الشبيهة بالجزر الطافية. وسأل (ساكتيديفا) ملك الصيادين الممسك بالدفة: (ما هذا الشىء الفاتن الذى يبدو فى الافق البعيد، والذى تبرز قمته فوق المياه انه يلوح كجبل شاهق له جناحان، يستطيع اذا فردهما أن يخرج من أسفل الماء!).. فأجابه (ساتيافراتا) قائلا: (هذه شجرة (باتيان) السماوية. ويقول الناس انها ذات جذور عريضة تمتد الى النيران المشتعلة فى أعماق البحر!.. يجب أن نبتعد عنها وإلا لقينا حتفنا، فليس لنا نجاة اذا اشتبك القارب بأغصانها!)

وفيما كانا يتحدثان، اذا بريح عاصفة تهب على القارب وتدفعه نحو مكان الخطر. فصاح الريان قائلا: (لقد حلت نهايتنا أيها البرهمى. ما من شك فى ذلك. انظر. لقد انحرف القارب فى اتجاه الشجرة الملعونة، ولا أستطيع أن ازحزحه بعيدا عنها قيد انملة. ولن نلبث أن نجدها بين فكى الدوامة التى لا قاع لها، والتى تفغر فاها - وكأنه فم الموت - لابتلاعنا. ولست أهتم بما يحدث لى، فما من انسان كتب له الخلود فى هذا العالم، ولكن الامر الذى يحزننى هو أنك - برغم كل ما بذلت من جهد وعناء - لن تبلغ هدفك!.. بيد اننى سأتشبث

بالقارب ما استطعت ذلك، وعليك أنت أن تحاول التعلق بأحد فروع الشجرة، وستتيح لك قوة بنيتك فرصة للنجاة والتغلب على أهواء القدر وأمواج المحيط!)

وقبل أن يفرغ (ساتيافراتا) من قوله، كان القارب يندفع بسرعة رهيبة نحو الشجرة. وقد استمد (ساكتيديفا) من فزعه قوة، فقفز من القارب وقبض بيديه على أحد غصون شجرة المحيط. أما (ساتيافراتا) فقد ضحى بنفسه لاجل ضيفه، وسرعان ما كانت نيران أعماق البحار تصهره فى اتونها!

ولما وجد (ساكتيديفا) نفسه بمنجى عن الخطر، متعلقا بأحد فروع الشجرة الشامخة نحو السماء، راح يناجى نفسه فى يأس قائلا: (اننى لم أر بعد مدينة الذهب. وقد تسببت فى هلاك ملك الصيادين، والآن قد جاء دورى لاهلك أنا كذلك!.. لكن القضاء مكتوب على جبين البشر، فمن يستطيع أن يهرب مما سطر له فى لوح القدر؟). وقضى الشاب طول يومه مستغرقا فى مثل هذه الافكار التى تراود المرء وهو على شفا الموت.

وعندما أرخى الليل سدوله، لمح (ساكتيديفا) حشدا من الطيور الضخمة تأتى من كل صوب، وأصوات نعيقها تملأ السماء.. ثم هبط فوق الشجرة، فاستقبلتها امواج المحيط كما يستقبل المرء أصدقاءه القدامى. وما لبث (ساكتيديفا) - وهو مختف أسفل غطاء ثقيل من أوراق الشجرة - أن سمع الطيور تتحدث بلغة البشر، وقد راح كل منها يخبر الآخر أين قضى يومه!.. فهذا فى جزيرة، وذاك فى جبل، أو فى ناحية من نواحى السماء!

وقال أحد الطيور، وهو طائر كبير السن: (لقد ذهبت اليوم الى مدينة الذهب لاقضى هناك وقتا هانئا. وغدا سأعود الى هناك مرة أخرى، فلم أعد أتحمل بعد مشقة الطيران الطويل!).. ونزلت كلمات الطير بردا وسلاما على قلب (ساكتيديفا)، وكأنها رشفات من خمر الآلهة، فأزاحت الغمة عنه وبددت من قلبه اليأس، ومن ثم راح يحدث نفسه قائلا: (لقد نجوت!.. لقد تأكدت الآن أن لهذه المدينة وجودا، ولم يبق أمامى سوى الوصول اليها.. لماذا لا استخدم هذا الطائر

الضخم مطية لى؟).. وأخذ ينتقل من فرع الى آخر مقتربا من الطائر، حتى اذا اطمأن الى أنه قد أخذته سنة من النوم، تسلق ظهره ثم أندس بين جناحيه!

وفى اليوم التالى، بدأت الطيور تحلق فى السماء، فنهض طائر (ساكتيديفا) وفرد جناحيه ثم حلق بدوره - وكأنه يد القدر - فى الفضاء، تدفعه قوة جناحيه الهائلين، حاملا (ساكتيديفا) فوق ظهره. حتى اذا وصل الى مدينة الذهب، هبط فى حديقة وارفة الظلال، فنزل (ساكتيديفا) بهدوء عن ظهره، ثم انطلق متسكعا على غير هدى. وفجأة لمح امرأتين تقطفان زهورا من الحديقة، فاقترب منهما حذرا، وما لمحتاه حتى أجفلتا فزعين. بيد أن (ساكتيديفا) تقدم اليهما متسائلا: (ما اسم هذه المدينة؟.. ومن تكونان؟)

- هذه مدينة الذهب، عاصمة مملكة الارواح. وتحكمها ملكة من الجن اسمها (كاندرابرابها). ونحن بستانيتان فى حديقتها هذه، أيها الصديق. وقد خرجنا لنقطف لها بعض الزهور! فقال لهما: (تكرما بقيادتى الى حيث أمثل بين يدى مولاتكما).

وصحبت المرأتان الشاب الى القصر الملكى، الذى كان بمثابة مكان تتجمع فيه كل ملذات الدنيا.. فقد كانت جدرانه موشاة بالذهب، وأعمدته محلاة بأنفس انواع الاحجار الكريمة. فلما شاهد الخدم الشاب يقترب من القصر، هرعوا الى سيدتهم الملكة (كاندرابرابها)، معلنين حضور رجل من الانس، وعلى الفور أمرت الملكة وصيفاتها أن تفتحن له الابواب. فلما دخل راحت عيناه تلتهمان جمالها الصاعق، الذى لا شك فى ان الخالق قد بذل فى صياغته كل ما لديه من قدرة علوية!

ونهضت الملكة - فى دلال - عن مقعدها الموشى بالجواهر، واستقبلته استقبالا كريما، وهى ترمقه بنظرات تنم على أن ملاحة طلعته قد خلبت لبها!.. ولم تلبث أن سألته قائلة: (من عساك تكون أيها الانسى الوسيم؟.. وكيف استطعت الوصول الى هذه المدينة المحظور على جميع الكائنات البشرية

اجتيازها؟).. فقص عليها (ساكتيديفا) قصته بحذافيرها.. حكى لها كيف عرض حياته للتهلكة فى بحثه عن مدينة الذهب، وكيف بلغها، والمخاطر التى صادفها فى الطريق اليها. واستمعت اليه الملكة بذهن شارد، مستغرقة فى أفكارها. ثم التفتت اليه فجأة، وقالت له بلهجة تقطر ودا:

(انصت الى الآن، وسأحكى لك قصتى يا حبيبى.. إن الذى يتولى الحكم فى هذه الدولة هو الملك (ساسيكهاندا)، أو فضة القمر.. وقد رزق هذا الملك بأربع بنات، أكبرهن أنا واسمى (كاندرابرابها)، أى القمر المتوهج، والثانية اسمها (كاندراريكها)، أى فلقة القمر، والثالثة اسمها (ساسبريكها)، أى لمسة القمر، والرابعة اسمها (ساسيبرابها)، أى القمر المضىء!.. وقد نمونا وترعرعنا معا. وذات يوم خرجت أخواتى الثلاث الى نهر (الجانجز) كى يغتسلن، بينما بقيت أنا بالمنزل منهمكة فى الدعاء للآلهة بأن ترزقنى زوجا.

(وكان أحد الرهبان - ويدعى (أجرياتاباس) - يتطهر من آثامه فى النهر، بينما كانت أخواتى تلهون فى الماء فى مرح، شأنهن شأن مثيلاتهن من الشابات العذارى، واذا بعض رذاذ الماء يصيب الراهب، فاستشاط غضبا ولعنهن قائلا: (أيتها الفتيات الشريرات. ستولدن جميعكن من جديد فى عالم البشر الفانين!).. فلما بلغ أبى ما حدث، ذهب الى الراهب مناشدا اياه أن يرحمهن، لكن الراهب ضرب بتوسلاته عرض الحائط!

(وأخيرا استفسر منه ابى عن الظروف التى تزول فيها هذه اللعنة عنهن، فقال الراهب العظيم انهن حتى فى هيئتهن البشرية الجديدة سيملكن القدرة على تذكر حياتهن القديمة، كما يحتفظن بما للجان من حكمة. وبالفعل بارحت أرواح أخواتى أجسادهن ونزلت لتعيش فى عالم البشر الفانين. وقد حزن أبى لفراقهن حزنا عظيما، فتنازل لى عن العرش، وذهب ليعيش فى الغابة. ومنذ ذلك الوقت صرت أنا الملكة.

(وذات يوم، ظهرت لى الالهة الإلهة فى الحلم قائلة: (سيكون لك - يا ابنتى

زوج من عالم الانس!).. ومن ثم رفضت جميع الذين تقدموا الى من عالم الجان، مما زاد من هموم ابى وأحزانه. وقد ظللت عذراء حتى يومنا هذا مترقبة حضور ذلك الزوج الموعود. وهاأنذا الآن أجد نفسى أسيرة جمالك الباهر، ورجولتك العارمة، وشجاعتك التى بدت فى اجتيازك المخاطر والصعاب. ومن ثم سأكون لك منذ اليوم، وفى اليوم الرابع عشر من القمر سأتسلق الى قمة جبل (رشابها) لكى أخبر أبى بالأمر. ففى مثل هذا اليوم من كل عام، يجتمع هناك جميع رعايا مملكة الجان، ليقوموا بطقوس العبادة للاله (سيفا). وعندما أعود يجب أن تتزوجنى!)

وبعد ذلك، أكرمت (القمر المتوهج) وفادته، وقدمت اليه ألذ وأشهى أنواع الطعام والشراب الذى يصنع خصيصا لسكان مملكة الجان. وقد وافق (ساكتيديفا) على هذا الاقتراح بينما كان فؤاده يرقص طربا. وعاش يرتع فى سعادة تحكى سعادة الرجل الذى لمسته عصا سحرية فغطس فى بركة من خمر الآلهة!

وعندما حل اليوم الرابع عشر من القمر قالت له الملكة: (سأذهب اليوم الى أبى لأخبره بأمرنا، وسأصحب معى جميع خدمى. بيد انه لا يجدر بك أن تحس بالتعاسة لتركى اياك وحيدا فترة من الزمن، اذ أن بوسعك أن تستمتع بكل ما يقع فى يدك من وسائل الراحة ولكن، أياك أن تطأ قدماك الطابق الاوسط، بأية حال من الحوال!).. وعندما غادرت (القمر المتوهج) القصر، تركت قلبها وديعة لدى الشاب الذى استولى على افكارها!

ولم يجد (ساكتيديفا) وسيلة لشغل وقته أفضل من التنقل من غرفة الى أخرى من غرفها المزودة بكل وسائل الرفاهية، وهو يتساءل عن السبب الذى حدا بالملكة أن تحظر عليه ولوج الطابق الاوسط. وأخيرا لم يستطع أن يكبح فضوله، فصعد الدرجات المؤدية الى ذلك الطابق.. ذلك لان ذهن المرء يتجه دائما الى الاشياء الممنوعة. وقد تبين له ان ذلك الطابق كان يتألف من ثلاثة أجنحة منفصلة، وقد أغلق اثنان منها. أما الجناح الثالث فقد ترك بابه مواربا، فدفعه بيده.

وفى داخل الجناح قع بصره على هيكل امرأة ملفوف فى ملاءة، مستلقيا على فراش موشى بالجواهر الكريمة حتى اذا رفع طرف الملاءة، وقف مذهولا وقد طالعه وجه الاميرة (كاناكاريكها).. التى تركها فى مدينة (فاردهامانا).. وكانت ترقد ميتة!

وراح (ساكتيديفا) يناجى نفسه قائلا: (ما هذه المعجزة العجيبة؟.. هل تراها نعسانة أم مستسلمة للنوم الذى لا يقظة بعده؟.. أم لعلى واهم، وخيالى يلعب بى؟.. ها هى ذى ترقد ميتة، تلك المرأة التى تركتها - حين قمت برحلتى - حية ترزق. لكن جمالها لم يذبل بعد. فهل تراها نوبة من الهذيان شاء القدر أن يبلبل بها أفكارى؟!).. ولم يلبث أن غادر هذا الجناح ودخل الجناحين الآخرين.. فاذا فى كل منها فتاة ترقد فوق سرير.. ميتة!.. ثم خرج الى الشرفة وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ، حتى اذا نظر الى أسفل شاهد بركة صغيرة فاتنة، وقد وقف على ضفتها جواد مطهم ذو سرج من اللآلئ، فهبط مقتربا - فى فضول - من الجواد، وإذ لم ير أحدا بجواره، انتابته رغبة فى امتطائه. ولكنه ما أن بدأ يحاول ذلك حتى ركله الجواد فسقط فى البركة وغاص فى الماء. فراح يجاهد ليطفو، لكنه حين استطاع أن يرتفع الى أعلى، وجد نفسه فى المدينة التى بدأ رحلته منها - مدينة (فاردهامانا) - وقد غاص فى مياه البركة التى فى حديقة منزله!

وعندئذ أدرك (ساكتيديفا) أن الاقدار قد حرمته من عروسه (القمر المتوهج)، فخبا ضياء وجهه كزهرة الليل التى يذبلها ضوء الشمس. وراح يصيح قائلا: (فاردهامانا؟.. فاردهامانا؟.. أأجد نفسى فى (فارداهامانا)، بعد أن كنت فى مدينة الجان؟.. ما معنى هذه الألاعيب السحرية؟.. ويحى انا البائس المسكين! لقد غرر بى. ولكن، من الذى يدرك الحكمة فى تصاريف القدر؟)

وخرج (ساكتيديفا) من البركة وذهب الى منزل عمه، متظاهرا امامه بأنه قد اضطر الى التجول فى انحاء البلاد كطبال، بعد أن خسر ثروته فى القمار. وسر عمه وعائلته بعودته وأقاموا المآدب احتفالا به.

وفى اليوم التالى، غادر منزل عمه، وذهب الى المدينة، حيث سمع - مرة أخرى - المنادين يصيحون بالاعلان القديم، على صوت دقات الطبول: (اذا كان من بينكم من زار مدينة الذهب - برهميا كان أو نبيلا - فليتقدم، وسيمنحه الملك ابنته وعرشه!)

واتجه (ساكتيديفا) الى الطبال، وقال له: (لقد رأيت مدينة الذهب!).. فلما قادوه الى الملك عرفه واعتقد انه يكذب فى هذه المرة كما كذب من قبل. فقال له الشاب: (اننى مستعد لأن تقتلنى لو ثبت أننى أكذب. دع الأميرة تستجوبنى!).. وأرسل الملك خدمه ليستدعوا الاميرة، فما وقع بصرها على البرهمى حتى قالت لابيها: (ان الفتى يكذب ثانية يا أبى!)

فقال ساكتيديفا: (اننى أقول الصدق. ولو أننى كنت أكذب فاشرحى لى هذا الامر العجيب: كيف يمكن أن أراك راقدة فى فراشك ميتة فى مدينة الذهب، ثم أراك - الان - هنا تتمتعين بالصحة والعافية؟).. وكان ذلك السؤال هو الدليل. على صدق الفتى، فالتفتت الاميرة الى أبيها قائلة: (حقا لقد زار هذا الرجل النبيل مدينة الذهب، يا أبى. وسيغدو زوجى عندما أعود الى هناك. كما أنه سيتزوج أخواتى الثلاث، وسيتولى الحكم فى المدينة، وسيكون صاحب أكبر سلطان فى مملكة الجان. والآن سأعود الى المدينة، والى جسدى الحقيقى. لقد ألقى راهب على شخصيتى الاولى لعنة جعلتنى أولد من جديد فى هذا المنزل. لكنه وضع شرطا لزوال هذه اللعنة: فما أن يقع بصر انسان من عالم الانس على جسدى فى مدينة الذهب ثم يعود ليخبرنى بذلك فى عالم الزائلين، حتى تنزاح اللعنة عنى، ويغدو ذلك الرجل زوجى. لقد كنت أعرف كل هذا وكنت أذكر كل تفاصيل حياتى السابقة!.. سأعود الآن الى مملكة الجان، ليتحقق ما قدر لى من نصيب!).. وما انتهت الاميرة من قولها هذا حتى غادرت جسدها، واختفت عن انظار الحاضرين، فعلت فى القصر الملكى أصوات البكاء والعويل!

وهكذا فقد (ساكتيديفا) زوجتيه كلتيهما، وقد منى بشر هزيمة، رغم أن جهوده ومحاولاته الخارقة للعادة كللت - فى حد ذاتها - بالنجاح. حتى اذا انتابه

حنين وشوق الى المرأتين اللتين شغف بهما، راح يوجه اللوم لنفسه فيما أصابه من خيبة وعذاب. ولكنه بينما كان يتمشى خارج القصر، خطر له فجأة خاطر، فحدث نفسه قائلا: (لقد تنبأت الاميرة (كاناكاريكها) بأن النجاح سيكون نصيبى فى النهاية. فلماذا - اذن - أفقد الامل؟.. ان النجاح يتوقف على شخصية الانسان، ولسوف أعود الى مدينة الذهب، متبعا ذات الطريق التى سلكتها فى المرة الأولى، ولا ريب فى أن القدر سيكفل لى سبيل السلامة!)

ورحل (ساكتيديفا) عن (فارداهامانا).. ذلك لأن الرجل الصادق العزم لا تثبط همته أية عقبات، ولا ينكص على عقبيه فى منتصف الطريق، بل يتابع سيره الى النهاية!.. وبعد أن قطع (ساكتيديفا) فى رحلته شوطا طويلا استغرق شهورا عديدة، وصل الى ميناء (فيتاتكابورا). وهناك لمح - بطريق الصدفة - ذلك التاجر الذى أبحر معه من قبل، والذى تحطمت سفينته، فحدث نفسه قائلا: (هذا (سامودراداتا). كيف أمكنه النجاة بعد أن غاص فى قاع المحيط؟.. ولكن، لاغرابة فى ذلك، فأنا نفسى قد نجوت!).. حتى اذا اقترب من التاجر عرفه هذا على الفور، فاحتضنه بين ذراعيه فى غبطة، ثم صحبه الى داره. وبعد أن بثه أشواقه، سأله: (كيف نجوت من الغرق بعد أن تحطمت السفينة؟). فأخبره ساكتيديفا بما حدث له: كيف ابتلعه الحوت، وكيف وصل الى جزيرة (أتبستالا). ثم سأل بدوره التاجر الطيب كيف نجا، فأجابه الاخير: (بعد أن سقطت فى اليم، ظللت ثلاثة أيام متعلقا بلوح من الخشب. وفجأة لمحت سفينة تمر بجوارى فصحت، فلمحنى البحارة وألقوا الى بحبل ثم جذبونى الى السفينة. وما أن اعتليت ظهرها حتى وقع بصرى على أبى، وكان عائدا من رحلة طويلة الى جزر (أرشيبيلاجو). فما رآنى حتى احتضننى وبكى من فرط الفرح، ثم سألنى عما حدث لى، فأجبته: (عندما غبت عنا مدة طويلة فى رحلتك - يا أبتاه - حسبت ان من واجبى أن أتولى تجارتك من بعدك.. وفى رحلة الى جزر (أرشيبيلاجو) غرقت سفينتى، وسقطت فى البحر حتى أتيت أنت وأنقذتنى!)

(فقال لى أبى معاتبا: (لماذا تخاطر بحياتك فى مثل هذه المغامرة غير

المأمونة العواقب؟.. اننى ثرى يا بنى، واننى لا افتأ أزداد غنى. انظر الى هذه السفينة التى أحضرتها محملة بكتل الذهب).. وهدأت كلماته من روعى، ثم عاد بى بسفينته الى دارنا فى (فيتانكابورا)!)

وقضى (ساكتيديفا) الليلة فى منزل التاجر. وفى اليوم التالى قال له: (يا أمير التجار. اننى مضطر الى الرحيل - ثانية - الى جزيرة (أتستالا). وكل ما أطلبه منك هو أن تدلنى على السبيل اليها)، فأجابه قائلا: (ان بعض وكلائى على وشك أن يقلعوا الى هناك. وبوسعك أن تبحر معهم).

ورحل البرهمى معهم، ولم يلبث ان وصل الى الجزيرة، فلمحه أبناء ملك الصيادين من بعيد، وشاء القدر أن يتعرفوا عليه. فقالوا له: (أيها البرهمى. لقد ذهبت مع أبينا، باحثا عن مدينة الذهب. فكيف عدت بدونه؟)، فأجابهم البرهمى بقوله: (لقد سقط أبوكم فى اليم، بعد أن حطمت الامواج الصاخبة سفينته بالقرب من نيران الاعماق).. لكن أبناء الرجل لم يصدقوه، واحتدم غضبهم فأصدروا الاوامر لخدمهم قائلين: (أوثقوا يدى هذا المجرم بالاغلال. لقد قتل أبانا.. وإلا كيف يبحر رجلان معا، ويسقط أحدهما فى نيران الاعماق وينجو الآخر؟.. غدا سنقدمه قربانا أمام تمثال آلهة القسوة!)

وقيد الخدم يدى البرهمى بالاغلال، ثم ألقوه فى (زنزانة) رهيبة بمعبد الهة القسوة، مع من سبقوه اليها، تمهيدا لتقديمهم قربانا للالهة التى انتفخت بطنها بآلاف لضحايا، ولم تشبع بعد.. وكانت الزنزانة مكتظة بالعظام العارية من اللحم. وقضى فيها (ساكتيديفا) ليلته، يرسف فى الاغلال، وقد فقد الامل فى النجاة. وفى غمرة يأسه ولوعته، دعا الهة القسوة قائلا: (أيتها الالهة. ياذات الفم الارجوانى بلون الشفق، وكأنه لا يزال مخضبا بدماء المارد (رورو) الذى ذبحته.. يا من أنقذت العالم ذات مرة!.. يا مانحة البركات، وملبية الدعوات!.. انقذينى، أنا أخلص عبادك وأكثرهم طاعة.. لقد جئت من بعيد باحثا عن الحب، فاذا بى أسقط فى براثن أولئك الذين أضمروا لى كراهية وحقدا بغير سبب!)

وما فرغ من صلاته حتى استغرق فى سبات عميق. وفى الحلم ظهرت له امرأة - يبدو عليها الوقار والجلال - خارجة من (قدس اقداس) المعبد، واقتربت منه ثم قالت له فى عطف وحنان: (يا بنى ساكتيديفا. لا تخش شيئا، فلن يمسك أذى. ان لابناء ملك الصيادين أختاً، اسمها (بيندوماتى).. وغدا ستراك فتشغف بك حبا، وتشتهى أن تكون زوجا لها.. ويجب أن توافق على الزواج منها، فهى التى ستمهد لك سبيل الخلاص. وهى - فى الحقيقة - ليست احدى فتيات الصيادين، ولكنها جنية من الجنيات سقطت عليها لعنة فصارت كذلك!)

وفى الصباح، استيقظ من نومه ليجد أمامه فتاة تقترب منه وقد تمثلت لعينيه الظامئتين كأنها كأس شهية مليئة بخمر الآلهة.. وبعد أن عرفته بنفسها قالت له بشغف: (سأطلق سراحك، اذا أنت نفذت رغبتى.. لقد رفضت من قبل جميع الخطاب الذين وافق أخوتى عليهم.. ولكننى، فى اللحظة التى وقع بصرى فيها عليك، أحببتك حبا ملك على شغاف قلبى.. وها أنذا أمامك، ملك يديك.. فخذنى!)

وتذكر ساكتيديفا الحلم الذى رآه، فوافق فى فرح على اقتراح (بيندوماتى)، وعندئذ أطلقت الفتاة سراحه. ولم يلبث أن تزوجها بموافقة أخوتها الذين ظهرت لهم - بدورهم - الالهة الام محذرة اياهم من معارضة مشيئة أختهم.. وعاش ساكتيديفا مع الجنية - التى اتخذت جسدا بشريا - فى سعادة وهناء لا يتوافران الا كجزاء للذين تحلوا بأسمى الفضائل!

وذات يوم، وقف الزوجان يطلان من شرفة منزلهما، فشاهدا - فى الطريق - رجلاً يحمل قطعة كبيرة من لحم البقر، فالتفت ساكتيديفا الى محبوبته قائلا: (انظرى يا عروسى ذات الخصر النحيل.. كيف سمح هذا الشرير لنفسه بأكل لحم البقر الذى يقدسه الناس جميعا فى ثلاثة أركان العالم؟) فأجابته (بيندوماتى): (حقا انها لجريمة شنيعة!.. فان قدرة البقر هى التى جاءت بى الى قبيلة الصيادين، رغم أن خطيئتى بسيطة جدا..)، فقال ساكتيديفا: (يا للعجب!.. أخبرينى يا حبيبتى: من تكونين؟.. وكيف جئت هنا؟)، وقد رفضت فى

بادئ الامر ان توضح له الامر، ولكنه اذ ألح عليها بالسؤال، قالت له: (حسنا، سأقول لك كل شيء، على شريطة ألا تبوح بالسر لاحد، وأن تنفذ كل ما أطلبه منك)، فأقسم لها أن يفعل ذلك.. وبدأت حديثها بما تريده أن يفعل، فقالت: (ستتخذ لك - في القريب - زوجة من الجزيرة. ولن تلبث هذه الزوجة أن تحبل. فاذا كانت في شهرها الثامن، عليك أن تشق بطنها وتنتزع منها ثمرة أحشائها، دون رحمة ولا شفقة!)

وبوغت ساكتيديفا بذلك الطلب الغريب، وسألها في دهشة وفزع: (ماذا؟)، لكن زوجته استطردت قائلة: (وهناك سبب وجيه لطلبي هذا. ولكن، اصغ الى، أسخبرك - أولا - ما الذي جاء بي بين الصيادين: لقد كنت - في حياة سابقة - احدى الجنيات، ولم أكن لاعيش في مملكة الانس، لو لم أقضم بأسناني - ذات يوم - قطعة من أمعاء البقر لاصنع منها وترا لقيثارتي.. فاذا بي أهبط الى مستوى البشر، وهاأنذا أعيش اليوم بين الصيادين، لمجرد أن أسناني أصابت قطعة جافة كن أمعاء بقرة، وقد نزلت الى هذا الدرك المهين!!.. فأى عقاب يخبئه القدر - اذن - لذلك الذي يأكل لحم البقر، جهارا نهارا، دون وازع من خجل؟!)

وفيما كانت تقول له ذلك، اتى أحد أخوتها - راكضا - الى القصر، والرعب باد على وجهه، صائحا: (ابتعدوا حالا.. فقد انطلق خنزير بري ضخم. وفي غضبه قتل عددا كبيرا من الناس وهو متجه الى هنا).. فأسرع ساكتيديفا وهبط من الشرفة، ثم امتطى جواده، وانطلق مندفعا نحو الخنزير البري، ممسكا برمح في يده. ثم أطلقه فأصابه مباشرة. فلما رأى الخنزير بطلا يهاجمه أطلق سيقانه للريح، وما لبث أن اختفى في أحد الكهوف. لكن ساكتيديفا لم يقنع بذلك، واندفع خلفه ليقضي عليه. وفيما هو يجتاز مغارة شاسعة، وقع بصره على حديقة متسعة يحيط بها سور خشبي، وفي داخل الحديقة قصر كبير.. فلما دخل الى هناك وجد فتاة باهرة الجمال تركض نحوه في فزع، وكأنها حورية الغابة وقد هربت من اله الحب!

فسألها قائلا: (من أنت يا جميلتى؟ ولماذا أنت خائفة هكذا؟)

- أنا (بيندوريكها)، ابنة الملك (كاندرافيكراما) حامى البلاد، يا سيدى الفاضل، وانا عذراء. لكن مارادا شريرا، ذا عينين ناريتين، اختطفنى اليوم - على حين غرة - من قصر أبى، وحملنى الى هنا. ثم انتابته رغبة فى التهام اللحم، فاتخذ هيئة خنزير برى، ولكن بطلا عاجله برمحه. وفى هذه الاثناء هربت، وأنا لا أزال عذراء!

- اذن، فلماذا أنت مضطربة؟ أنا الذى أصبت ذلك الخنزير برمحى، أيتها الاميرة!

- أخبرنى من أنت؟

- أنا برهمى. واسمى (ساكتيديفا).

- اذن، يجب أن تتزوجنى!

- ليكن.. وسأفعل..!

قال ساكتيديفا هذا، ثم قادها خارج الحديقة - خلال المغارة - الى داره. وهناك أخبر زوجته (بيندوماتى) بما حدث، ثم حصل على موافقتها على زواجه من العذراء (بيندوريكها)!.. وفيما هو يعيش مع زوجته، حملت (بيندوريكها) طفلا.. وفى الشهر الثامن من حملها، جاءت اليه زوجته الاولى، وقالت له فى خلوة: (تذكر - يا بطلى - الوعد الذى قطعته على نفسك. هذا هو الشهر الثامن منذ حملت (بيندوريكها)، فاذهب اليها، وشق بطنها، ثم انتزع الجنين منها، فليس من شيم الرجال الحنث بالوعود!)

وتصارعت فى قلب ساكتيديفا عاطفتان متناقضتان: حبه لزوجته، وارتباطه بالقسم الذى أدلى به!.. ولم يجد بدا فى آخر الامر من التوجه الى مخدع (بيندوريكها)، وقد عصر الاسى قلبه، فلما رأت زوجته الهم المرتسم على قسمات وجهه قالت له: (لماذا أنت حزين هكذا يا زوجى العزيز؟.. أخبرنى. أيرجع ذلك

الى أن (بينـدومـاتى) قد طلبت منك أن تمزق طفلى؟.. لكن هذا أمر لا مندوحة عنه، فان وراءه حكمة لا تعرفها الآن، وليس فيه قسوة على الاطلاق. ومن ثم لا ينبغى أن تأخذك بى رحمة ولا شفقة!)

الا ان ساكتيديفا ظل مترددا. واذا بصوت من السماء يصل الى اذنيه قائلا: (يا ابنى ساكتيديفا.. أخرج الجنين من رحم المرأة، ولا تخش شيئا. اقبض على عنقه، وعندئذ سيتحول الى سيف فى يدك!)

ولم يجد البرهمى مفرا من ان يطيع الامر الصادر اليه من السماء، فبادر بشق بطن زوجته وأخرج منها الجنين، ثم قبض على عنقه بقبضته - كأنه يقبض على الحظ - واذا بالطفل يتحول فى يده الى سيف!.. وفى ذات اللحظة تحول البرهمى الى جنى، وفى ذات اللحظة كذلك اختفت بيندوريكها من أمامه.. فلما رأى انها اختفت، هرع - بهيئته القديمة - الى زوجته الاولى - ابنة ملك الصيادين - وأفضى اليها بما حدث، فقالت له:

(لقد كنا - يا زوجى العزيز - ثلاث أخوات، بنات ملك الجن. وقد طردنا من مدينة الذهب بسبب لعنة صبها علينا أحد الرهبان.. وقد ولدت أحدانا أميرة فى مدينة (فاردهامانا) تحت اسم (كاناكاريكها).. وقد رأيت بنفسك كيف انزاحت عنها هذه اللعنة، فعادت الى بلدها. ومنذ لحظة شهدت بنفسك النهاية العجيبة للعنة التى كانت تصيب (بيندوريكها). أما أنا فثالثة الاخوات، وقد جاء موعد خلاصى من لعنتى. وينبغى أن أعود الآن الى بلدى يا حبيبى، فهناك ترقد أجسادنا التى كانت لنا فى عالم الجن. كما أن اختنا الكبرى (القمر المتوهج) تنتظرنا هناك، تعال معى فى الحال - بقوة السيف السحرى - الى الغابة حيث يعيش أبى كأحد الرهبان. وسيعطينا جميعا اليك كزوجات.. فضلا عن أنه سيتنازل لك عن عرشه!)

ولما فرغت (بيندوماتى) أخيرا من الادلاء بقصتها الحقيقية، طارت مع ساكتيديفا - خلال مرات السماء - الى مدينة الذهب. وهناك شاهد ساكتيديفا

ان الاجساد التى كان قد تركها ترقد ميتة فى الاجنحة الثلاث بالطابق الاوسط من القصر، قد دبت فيها الحياة!.. فلما اجتمع بزوجاته المحبوبات، جثون جميعا على الارض أمامه. وكذلك فعلت أختهن الكبرى (القمر المتوهج)، التى استقبلته أطيب استقبال، وتركت عينيها تلتهمان رجولته ووسامة طلعته، بعد طول الفراق!.. وعندما دخل القصر أثار قدومه عاصفة من الهتاف والتهليل من الخدم والحجاب.

وقالت له (القمر المتوهج): (يا سيدى الفاضل. هذه أختى (كاندراريكها) (فلقة القمر) التى عرفتها فى مدينة (قاردهامانا) باسم الاميرة (كاناكاريكها).. وهذه أختنا الوسطى ساسبريكها (أى لمسة القمر) التى تزوجتها فى جزيرة (اتسـتالا) باسم (بيندوماتى) ابنة ملك الصيادين.. أما هذه فأصغرنا ساسيبرابها، أى (القمر المضىء)، التى أصبحت زوجتك باسم (بيندوريكها)، بعد أن أنقذتها من المارد الذى اختطفها.. والآن، تعال معى لتقابل ابانا. فاذا ما وافق على زواجنا منك، اياك أن تؤخر مراسم الزواج!)

هكذا نطقت (القمر المتوهج) بلسان ملك الحب.. بلهفته وجرأته!.. وانطلق ساكتيديفا فى صحبتهن الى الغابة حيث يعيش أبوهن. وعلى الفور ألقين بأنفسهن تحت قدميه، وبحن له بمكنون قلوبهن، ورغبة نفوسهن. وكان صوت من السماء قد ارشد ملك الجان الى السبيل الذى عليه اتباعه فى هذا الشأن، فلم يتردد فى الموافقة - مغتبطا - على زواجهن من البرهمى الشاب. ثم تنازل له عن جميع مقتنياته وممتلكاته - التى لا حصر لها - بالمدينة، كما أسبغ عليه كل ما أوتى من علوم وفنون. ولم يلبث أن أطلق على (ساكتيديفا) اسما جديدا يحمله فى عالم الجن الذى صار الآن أحد أفراده.. فسماه (ساكتيفيجا).

وإلى ساكتيفيجا توجه الملك بحديثه قائلا: (لن يستطيع أحد أن يقهرك الا أن امبراطورا سيبزغ من أسرة (فاتسا) العظيمة، يحمل اسم «نارافاناداتا» سيتسلط عليك وله ستنحنى!).. فلما فرغ الملك العظيم (ساسيكهاندا) من اضفاء بركته على زوج بناته، أذن له بالانصراف. وظل الملك بالغابة فترة من

الزمن صائما عن الطعام، مداوما على الصلاة والعبادة، قبل أن يلحق بحاشيته فى قصره الملكى.

ودخل ساكتيديفا مع زوجاته الى مدينة الذهب، عاصمة مملكة الجان. وعاش هناك مستمتعا بالقصور الرائعة - ذات الجدران المرصعة بالذهب - وبزوجاته الفاتنات، ذوات العيون المتألقة بضياء الحب، يقضى معهن وقته متنزهين فى حدائق القصر الرائعة، ذات الدرجات المرصوفة بالاحجار النفيسة!

■ ■ ■

# زهــرة العفــة

يوجـد فى هذا العـالم ميناء مشـهور اسمه (تامـراليبتى). وفى هـذا الميناء عـاش تاجـر ثرى يدعـى (دهانداتا)، وكـان مـحـرومـا من الابناء. وفى ذات يوم، استدعى بعض الكهنة وطلب منهم أن يستخدموا نفوذهم لدى الآلهة لكى يرزقوه غلاما. فـأجابه الكهنة قائلين: (ان بغيتك هذه ليست عسيرة التحقيق، ففى وسع البرهميين أن يقوموا بأية معجزة، بواسطة تقديم ذبائح وقرابين معينة!)

وبالفعل تكللت جهود البرهميين بالتوفيق، فلم يلبث التاجر أن ولد له ابن أطلق عليـه اسم (جـوهاسـينا). وبمرور السنين شب الابن وأصبح رجـلا، فـقـرر الأب انه قد آن له أن يبحث لابنه عن زوجة تبدد السأم من حياته. ومن ثم أبحر مع ابنه إلى جزيرة (أرشيبيلاجو)، لكى يبحث له عن زوجة هناك، الا أنه تظاهر بأن التجارة كانت هدفه من هذه الرحلة!

وفى جزيرة (ارشيبيلاجو)- طلب من شهبندر التجار (دهارماجوبتا) يد ابنته التى كـان اسمها (ديفـاسـميتـا) - ومعناه (التى ابتسمت لهـا الآلهـة!) - لابنه (جـوهاسـينا). بيد أن التاجـر الكبيـر لم يوافق على هـذا الطلب، اذ كـان يحب ابنته حبا عارمـا، ولا يطيق الابتعاد عنهـا، لاسيما وأن الذى يطلب يدها يقيم فى ميناء (تامراليبتى)، الذى يقع على بعد أميال عديدة!

لكن الابنة الفـاتنة لم تكن من رأى أبيـهـا، فـمـا أن وقع بصـرها على (جوهاسينا) حتى راق فى عينيها، وخلبت مزاياه وسجاياه لبهـا، فقررت أن تتزوج من هـذا الشـاب، ضاربة عـرض الحـائط بمعـارضـة أبيـهـا، ولم تلبث أن دبرت - عن طريق احدى صـديقـاتهـا - لقـاء مع محبـوبهـا، لحق الاثنان - على أثره - بسفينة غـادرت الميناء تحت جنح الظلام، حتى اذا وصـلا الى (تامراليبتى) عقد زفافهما!

وبعد عامين، مات أبو (جوهاسينا)، فورث هذا تجارته، وقرر أن يديرها بنفسه ثم فكر فى أن يقوم برحلة تجارية الى جزيرة (سيام). بيد أن (ديفاسميتا) لم تحبذ هذه الفكرة، اذ كانت شديدة الغيرة على زوجها، ومن ثم خشيت أن يقع فى غرام امرأة غيرها. واحتار (جوهاسينا) بين مصلحته المادية ورغبة زوجته فى بقائه الى جوارها. وأخيرا اتفقا على أن يذهب الزوج الى المعبد حيث يصوم عن الطعام، ويداوم على الابتهال الى اله المعبد أن يهديه الى الطريق السوى!.. أما الزوجة فقد ظلت فى المنزل، تصلى الى الاله، طالبة ما يطلبه زوجها!

وظهر الاله (سيفا) فى الحلم لكليهما، وأعطاهما زهرتى (لوتس) حمراوين، ثم خاطبهما قائلا: (يجب أن يحتفظ كل منكما بزهرة فى يده.فاذا ارتكب أحدكما جريمة الزنا وهوبعيد عن الآخر، ذبلت الزهرة التى فى يد الآخر!).. واستيقظ كلاهما، فاذا كل منهما يشاهد فى يد الآخر زهرة (لوتس) حمراء تشبه قلب محبوبه!

وحمل (جوهاسينا) الزهرة، ثم لحق بسفينته، بينما ظلت الزوجة فى منزلها لا تكل من النظر الى زهرتها، لكى تتحقق من أن زوجها لا زال أمينا على عهدها. ووصل (جوهاسينا) الى جزيرة (سيام)، حيث باشر أعماله فى المتاجرة بالاحجار الكريمة. وقد أثارت الزهرة التى لم تكن تفارق يده فضول أربعة شبان أشقياء - هم أبناء تاجر من عملائه - حين رأوا أن الذبول لم يتطرق اليها ابدا. وبرغم إلحاحهم وتوسلاتهم، رفض الشاب أن يبوح لهم بسر الزهرة!

لكن أصدقاءه الماكرين لم يعدموا الحيلة، فاستدرجوه - ذات ليلة - الى منزل احدهم، ثم سقوه قدرا كبيرا من الخمر، حتى اذا ما لعب الشراب برأسه باح لهم بالسر. واذ كانوا يعرفون أن تجارة الشاب فى الاحجار الكريمة ستستغرق منه شهورا طويلة، قرروا الابحار الى ميناء (تامراليبتى) - دون أن يخبروا أحدا بذلك - لكى يحاولوا التغلب على عفة زوجة (جوهاسينا)!

فلمـا وصلوا الى هنـاك سـعـوا الى مـقـابلة عـجـوز من اللاتى بعـملن - فى الظاهـر - تاجـرات متجولات بين البيوت، وان كانت حقيقة مهنتهن هى التوفيق بين رؤوس الشـبـان المراهقـين والزوجـات اللاتـى تلهى أعـمـال أزواجـهن قلوبهم عنهن!.. واسـتـقـبلتهـم العـجـوز بتـرحـيب حـار وأكـرمت وفادتهم، ثم سـألتـهم عن بغيـتهم، فـأجـابوهـا قـائلين: (أيتـهـا الام المبجلة!.. اذا نجـحت فى تحقيق طلبنا، سنكافئك مكافـأة مجـزية!)..  ولم تكن العجوز اللئيمة فى حاجة الى ذكاء كبير لتدرك طبـيعة طلبهم، فقالت: (أغلب الظن أنكم تريدون منى أن أدبر لكم موعدا مع احدى حـسـان المدينـة. أخبـرونى من هى، ولن تعوزنى الحـيلة فى احـضـارها اليكم. ولست أنشـد منكم - مقـابل ذلك - مـالا ولا ذهبـا، فـقـد منحـتنى الالهـة تلمـيذة نجيبـة اسمهـا (سيدهيكارى) أغنتنى شـر الفـاقة والعوز، وقد جـمعت بفضلها ثروة طائلة!)

فسـألهـا أبناء التـاجـر قـائلين: (هل لك فى أن تسـردى علينا كيف اسـتطعت جمع هذه الثروة عن طريق تلميذتك؟)، فأجابت العجوز: (اذا كنتم حقا مشتاقين الى سماع هذه القصة، فلا أجد مانعا من أن اقصها عليكم. انصتوا:

(وفـد الى بلدنا مـن الشـمـال - منذ سنوات عـديدة - تاجـر ثرى، كـان ينفق بسـخـاء وبذخ، مما جـعله ملتقـى ابصـار جـميع غـانيـات المدينة، غيـر انهـن فشلن جميعا فى لفت نظره بيد أن تلميذتى (سيدهيكارى) تمكنت من ولوج عتبة داره، اذ التـحقـت بخدمتـه كوصـيـفـة. حتى اذا اكتسبت ثقتـه، سـرقت كل كمـية الذهب التى يحتفظ بها فى منزله، ثم تسللت هـارية عند الفجر. الا أن طبالا لمحها وهـى تغادر المدينة، فـاشتبه فى امرهـا، اذ كـانت تسير بخطوات متعجلة تنم عن لهفتها الى مـغـادرة المدينة، فسـار فـى أعقـابها وقـد اعتـزم أن يسـرقـهـا بدوره. وكـانت (سـيـدهـيكارى) قـد وصلت الى شـجـرة (بانيـان)، كثـيـفـة الاغصـان، حـين لمحت الطبـال يسـيـر خلفهـا، فـأدركت على الفور النيـة التى كـان يضـمـرهـا لهـا بيد أن سرعة بديهتها وانتها، فنادته فى صوت ينبض لوعة وأسى، قائلة: (لقد تشاجرت مع زوجى، فـهـربت لكـى انتـحـر، فـهل لك - يا صـديقـى - ان تصنع لـى من هذا

الحبل عقدة ألفها حول عنقى؟!).

( فحدث الطبال نفسه قائلا: (اذا كانت هذه المرأة تزعم الانتحار، فلماذا اقتلها بيدى اذن؟).. ولم يلبث أن ربط الحبل فى الشجرة، وصنع فيه عقدة، ثم صعد فوق طبلته، ووضع رأسه داخل الحلقة وهو يقول لها: (هذه هى الطريقة!). وعلى الفور، ركلت (سيد هيكارى) بقدمها الطبلة فأطاحت بها بعيدا. واذا الحلقة تلتف حول عنقه فتزهق روحه!.

(وكان التاجر - الذى جردته من كل ثروته - قد خرج مع عدد من خدمه ليطاردوها. فما أن اقترب من الشجرة حتى لمح الغانية تقف بجوار جثة تتأرجح فى الهواء. بيد أنها شاهدته بدورها، فتسلقت الشجرة واختبأت بين اغصانها، وما لبثت ان اختفت عن الانظار فتساءل التاجر قائلا: (اتراها قد تسلقت الشجرة؟)، ثم أمر أحد خدمه بالصعود خلفها، فلما وصل الخادم الى أعلى الشجرة همست (سيدهيكارى) اللعوب فى أذنه قائلة: (لقد همت بك غراما من أول نظرة يا حبيبى. وها قد اجتمع شملنا فى أعلى الشجرة. هاك المال الذى سرقته، وأنا نفسى بين يديك، فخذنى!)، ثم ألقت بذراعيها حوله، وألصقت شفتيها بشفتيه، وفجأة أطبقت بأسنانها على لسانه، فراح الفتى يتلوى من شدة الالم ثم بثق دما!.

ورفع التاجر عينيه الى اعلى، على صوت تأوهات خادمه، فشاهد جسمه يتلوى ذات اليمين وذات اليسار، فخيل اليه ان شيطانا قد سكن جسده. فدب الذعر فى نفسه، وأطلق ساقيه للريح يتبعه باقى الخدم! حتى إذا ما تأكدت تلميذتى ان الجو قد خلا لها، هبطت من الشجرة عائدة الى منزلى حاملة غنيمتها!).

وما كادت العجوز تفرغ من سرد قصتها حتى دخلت التلميذة التى كان الحديث عليها، فعرفتها العجوز بضيوفها. وبعد قليل سألتهم العجوز: (أخبرونى من هى المرأة التى تبتغونها، وأنا كفيلة ان ادبر لكم موعدا معها!)، فأجابوها

قائلين: (انها (ديفاسميتا)، زوجة (جوهاسينا). احضريها الى فراشنا، وسنجزل لك العطاء!).. فوعدتهم العجوز خيرا ثم أعدت لهم أمكنة للرقاد فى منزلها.

ومنذ اليوم التالى، بدأت فى تنفيذ الخطة التى رسمتها لايقاع الزوجة الوفية فى حبائلها، فوثقت علاقتها بخدم منزلها، مغدقة عليهم الهدايا والحلوى.. ومن ثم لم تجد مشقة فى اجتياز أبواب قصرها.. وصارت على أطراف أصعابعها ميممة شطر جناح «ديفاسميتا»، وأمام بابه شاهدت كلبة تربض إلى جواره وقد قيدت فيه بسلسلة حدية وكانت تلك الكلبة معروفة بالجبن والوداعة، فلم يسمع أحد عنها يوماً أنها نبحت عند اقتراب غريب بيد انها ما وقع بصرها على العجوز حتى راحت تنبح بصوت مرتفع، ثم هجمت عليها، وكادت تمزقها اربا وبلغ نباح الكلبة مسامع (ديفاسميتا)، فخرجت لتستطلع الامر، حتى اذا لمحت العجوز، أرسلت إحدى وصيفاتها لتعرف من هى، ولم تلبث الوصيفة أن علدت عادت ومعها الزائرة، فدعتها الزوجة الى دخول مخدعها.. وهنالك قالت العجوز (لديفاسميتا): (لقد كنت دائما متشوقة لزيارتك، لكن الظروف كانت دائما تحول دون ذلك. واليوم شاهدك فى الحلم، فصممت على المجىء!.. لقد سمعت أن زوجك قد هجرك وسافر بعيدا، ومن ثم فان قلبى ينفطر شفقة وأسى عليك. ذلك لأن الشباب والجمال يغدوان بلا ثمرة اذا حرما من ملذات الهوى والغرام!) وهكذا راحت تتملقها وتتزلف اليها حتى تمكنت من اكتساب ثقة هذه الزوجة الشريفة، فقضت معها - فى ذلك اليوم - عدة ساعات تثرثرن معا فى شتى الشئون التى تهم النساء!.. وفى اليوم التالى، عادت ومعها قطعة من اللحم وقد نثرت فوقها مسحوقا يهيج خياشيم الانف ويستدر الدموع من العيون!.. وما بلغت الباب حتى ألقمت الكلبة قطعة اللحم. وعلى الفور، أخذت الكلبة تعطس بشدة وتنزف الدموع من عينيها بلا انقطاع. ثم دخلت العجوز مخدع (ديفاسميتا) وهى تبكى بحرقة. فلما استفسرت منها عن سبب بكائها، اجابتها قائلة: (اواه يا ابنتى. أخرجى لتشاهدى كلبتك. انها تبكى. لقد تعرفت فى شخصى على احدى صديقاتها فى حياتها السابقة، فلم تستطيع

أن تكبح دموعها من الانهمار. أما انا فقد كنت أعرف مأساتها، فلم ألبث أن انخرطت فى البكاء بدورى).

وأطلت (ديفاسميتا) من الباب وشاهدت الكلبة، فقالت لنفسها متسائلة: (أية معجزة هذه؟.. حقا انها تبكى!). وقالت لها العجوز الشمطاء: (لقد كنا - أنا وهى - ضرتين، فى حياتنا السابقة، فقد كنا متزوجتين من رجل برهمى، اضطرته مهام وظيفته كمبعوث خاص للملك لأن يكثر الترحال. وفى كل مرة كان يغيب فيها عنا، كنت التمس السلوى عن فراقه بالانطلاق على هواى، متنقلة من أحضان رجل الى آخر!.. ذلك لأن أعظم واجب علينا - نحن النساء - أن نروى غرائزنا وأحساسيسنا، وقد كوفئت على قيامى بهذا الواجب على اكمل وجه بأن بعثت الى الحياة - مرة اخرى - متمتعة بالمقدرة على تذكر كل أحداث حياتى السابقة!.. أما هى فقد أهملت فى أداء هذا الواجب، وحافظت - عن جهل - على عفتها، ومن ثم جاءت الى الدنيا على هيئة كلبة، الا أنها ظلت أيضا محتفظة بقدرتها على تذكر وقائع الماضى!).

وعندئذ قالت (ديفاسميتا) لنفسها: (أى واجب مقدس هذا الذى تتحدث عنه المرأة؟.. لقد عشت حياتى حتى الان - على شاكلتها - جاهلة بهذا الواجب المقدس. ومن ثم يجب أن تعرفينى برجل وسيم!).. فأجابتها الشمطاء قائلة: (ان أربعة شبان - أبناء تاجر من جزيرة (ارشيبيلاجو) - يقيمون الان فى منزلى. وليس لدى مانع من تقديمهم اليك!).. ثم عادت الى منزلها حاملة لابناء التاجر بشرى لنجاح مسعاها!.

أما ديفاسميتا فقد نادت خادمتها ثم قالت لها: (اننى واثقة من أن أبناء التاجر قد شاهدوا الزهرة النضيرة فى يد زوجى، فانتابهم الفضول لمعرفة سرها، ومن ثم أغروه بالافراط فى الشراب، حتى تمكنوا من انتزاع القصة منه. والآن، قد جاء أولئك الافاقون الى بلدتنا بقصد اغوائى، فاستأجروا هذه المرأة الداعرة كوسيطة. هيا احضرى لى قارورة من الخمر الممزوجة بمخدر (الداتورة)، ثم اصنعى لى قالبا على شكل مخلب كلب!).. فنفذت الخادمة ذلك،

ثم ارتدت ثوبا من ثياب سيدتها، حسب تعليماتها!.

وفى تلك الاثناء كان الشبان الاربعة يتنافسون فيمن يكون الاول فى الفوز بالحسناء الفاتنة، فاختارت القوادة واحدا منهم بطريق القرعة، وصحبته الى منزلها حيث تركته امام باب القصر. واستقبلته الخادمة المتنكرة على هيئة سيدتها بما يليق به من إجلال واكبار، ثم سقته كأس الشراب الممزوج بالداتورة، فلم يلبث أن سقط فاقد الوعى. وعلى الفور جردته الخادمة من ثيابه حتى غدا لا يرتدى سوى الهواء، ثم دمغت جبينه بخاتم مخلب الكلب!.

وفى النصف الاخير من الليل عاد الشاب الى وعيه، فاذا هو ملقى على قارعة الطريق عاريا!.. وسار فى طريقه بخطوات متعثرة، ميمما صواب منزل القوادة، وهو يتحسس جبينه المدموغ من لحظة لاخرى. وهناك ادعى ان كل شىء قد تم على ما يرام، بيد أنه أفرط فى الشراب، فانتهز بعض اللصوص الفرصة، فسلبوه نقوده، وجردوه من ملابسه فى طريق عودته. أما الوشم الواضح على جبهته فلم يجد وسيلة لاخفائه أفضل من إحكام لف عمامته فوقه!.

وفى مساء اليوم التالى لاقى الثانى نفس المصير، وعاد بدوره عاريا وهو يردد نفس قصة زميله، وادعى كذلك أن صداعا قد أصابه ومن ثم أحكم لف عمامته. ولم تلبث الرحى أن دارت على باقيهم فلم يبق واحد منهم بغير وشم على جبينه!.

واذ حسبت الحيزبون أن خطتها قد نجحت، اتجهت الى منزل (ديفاسميتا) لتطالبها بأجرها عن الخدمة الجليلة التى أدتها لها، اذ قدمت لها هؤلاء الشبان الفاتنين!.. فاستقبلتها الزوجة العفيفة استقبالا حارا، ثم قدمت لها كأسا من الخمر ممزوجا بالداتورة. فلما استيقظت من غيبوبتها وجدت نفسها ملقاة فى إحدى البرك وقد قطع انفها واذنها!.

بيد أن هاجسا انتاب «ديفاسميتا»، فقالت لنفسها: «أليس من الجائز أن يغتال أولئك الشبان زوجى، انتقاما لما لحق بهم من خزى وعار؟»، فلم تجد بدا

من الذهاب إلى أم زوجها وأنهت اليها القصة بحذافيرها. فقالت لها حماتها: «لقد تصرفت تصرفا سليما ياابنتى.. بيد أن حياة ابنى قد باتت معرضة للخطر!».. فأجابتها الزوجة المخلصة بقولهاك «لا تخشى شيئا ياأماه!.. فسأنقذه كما أنقذت «ساكتيماتا» زوجها، بسرعة بديهتها!» فسألتها الحماة: «وكيف أنقذت «ساكتيماتا» زوجها ياابنتى؟.. أخبرينى!»

وبدأت (ديفاسميتا) تسرد قصتها قائلة: (يقيم فى بلدنا اله عظيم يدعى (مانيبهادرا)، وقد شيد له سكان المدينة معبدا فخما، يترددون عليه فيه ليقدموا نذورهم وعطاياهم، طالبين منه أن يقف لهم امانيهم.

وقد جرت العادة على أن يساق أى رجل، يضبط فى ساحة المعبد مع زوجة رجل آخر، الى السجن. وفى ذات ليلة ضبط تاجر اسمه (سامودرانا) متلبسا بأرتكاب جريمة الزنا مع زوجة رجل آخر فى ساحة المعبد فاقتاد الحرس الرجل والمرأة الى قدس قداس المعبد حيث القوا بهما مصفدين بالاغلال، انتظاراً لمحاكمتهما فى صباح اليوم التالى. وما لبث الخبر أن وصل الى مسامع (ساكتيماتى) زوجة التاجر الوفية، فصممت على انقاذه بأية وسيلة. وقد عمدت الى التنكر ثم اتجهت الى المعبد حيث قدمت للكاهن هدايا ثمينة، ففتح لها ابواب الزنزانة التى حبس فيها زوجها مع عشيقته. وهناك جعلت عشيقة زوجها ترتدى ثوبها، وهكذا سمح لها الكاهن بالخروج حاسبا اياها الزائرة، بينما ظلت الزوجة مع زوجها. وفى الصباح فوجئ الحراس الذين اتوا لاصطحاب التاجر للمحكمة، بأن المرأة التى معه ليست سوى زوجته الشرعية. فلما علم الملك بالقصة أمر باطلاق سراح التاجر وزوجته، وهكذا خلصت المرأة زوجها من الموت التى كان يفغر فوه لابتلاعه).

وانهت (ديفاسميتا) قصتها قائلة: ( وكما التجأت (ساكتيماتى) الى الحيلة لانقاذ زوجها، كذلك سأفعل انا، ومن ثم تنكرت فى زى الرجال، وأبحرت مع بعض وصيفاتها - وهن متنكرات مثلها - الى جزيرة (سيام). فما أن بلغت سفينتهن الشاطئ حتى شاهدت (ديفاسميتا) زوجها متألقا وسط لفيف من

التجار. وأبصرها زوجها - بدوره - من بعيد، فوقف فترة طويلة يلتهم بنظراته جمال زوجته الباهر، الذى بدا متألقا بالرغم من زى الرجال الذى ترتديه.

لكن (ديفاسميتا) كبحت الرغبة التى اضطرمت داخل صدرها فى ان تلقى بنفسها بين ذراعيه، وتظاهرت بعدم معرفته، ثم اتجهت الى قصر ملك الجزيرة، طالبة منه أن يجمع كل سكان الجزيرة أمام قصره. فاستجاب الملك لرغبتها، والفضول يعتمل فى جوانحه لمعرفة سر هذا الطلب الغريب. ثم قالت له (ديفسميتا) : (فى وسط هذا الجمع يوجد أربعه عبيد فروا من خدمتى. فأرجو من جلالتكم أن تسلموهم الى!)، فأجابها الملك: (ان كل الشعب مجتمع ها هنا امامك. فاذا كان عبيدك من بينهم، لك ان تأخذيهم). وعندئذ أشارت على الشبان الاربعة الذين كانوا لا يزالون يحملون الوصمة التى دمغت بها جباههم.

غير أن الملك أعترض قائلا: ( لكن هؤلاء أبناء تاجر معروف، فكيف تدعى ياهذا انهم عبيدك؟)، فاجابته قائلة: (اذا كنت لا تصدقنى، افحص جباههم، وستجد مخلب الكلب منقوشا عليها بوضوح!).. فلم يجد أبناء التاجر مفرا من فك عمائمهم. وكادوا يموتون من فرط الخزى و الخجل، حين شاهد الجميع الوشم على جباههم. فسأل الملك (ديفاسميتا) قائلا: (أى سر يكمن خلف هذا؟)، ولم تجد الزوجة الفاضلة مانعا من سرد القصة كلها. وعندئذ قال الملك: (انهم عبيدك حقا!)، ثم أمر التاجر الكبير بأن يدفع للزوجة فدية باهظة مقابل اطلاق سراح أبنائه. فعادت (ديفاسميتا) مع زوجها - حاملة الفدية التى تقاضتها - الى ميناء (تامراليبتى)، حيث عاشا فى أتم سعادة وهناء. ومنذ ذلك اليوم، لم يفترق العاشقان يوما واحدا!!.

■ ■ ■

# المصادر والمراجع

١- سليمان مظهر: أساطير من الشرق، الألف كتاب الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ .

٢- صمويل نوح كريمر: أساطير العالم القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ .

٣- أسعد السحمرانى: من قاموس الأديان -الهندوسية -البوذية -السيخية، دار النفائس، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧ .

٤- من الاساطير الهندية القديمة - ألف ليلة وليلة، مطبوعات كتابى، يصدرها حلمى مراد، بدون تاريخ.

٥- عبد الرحمن حمدى: الهند- عقائدها وأساطيرها، اقرأ، دار المعارف، ١٩٧٨.

٦- قصص وأساطير من الهند، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨ .

٧- أحمد الشنتناوى: الحكماء الثلاثة، اقرأ، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣ .

٨- لويس رينو: الأدب الهندى، ترجمة: بهيج شعبان، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥ .

٩- صالح جودت: أساطير وحواديت، الكتاب الماسى، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

١٠- هـ. ج. ويلز: موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ .

١١- جفرى بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوى، عالم المعرفة، العدد ١٧٣، الكويت،

١٩٩٣ .

١٢- جون كولر: الفكر الشرقى القديم.

١٣- ول ديورانت: قصة الحضارة.

- مواقع عربية وأجنبية على شبكة الإنترنت الدولية.

# الفهــرس



# الأساطير الهندية

رامايانا - أسطورة الحلق الهندوسية - حياة بوذا - المصباح المسحور - عريس وست فتيات - الملك والشيطان - العشاق الثلاثة - ثلاث ملكات دقيقات - عودة الناسك إلى شبابه - حكمة ما هو داسا

اشتهرت الهند بكثرة الأديان والمعتقدات والأساطير التى تضارع فى كثرتها لغات الهند أو تقرب منها.

ليس فى بلاد العالم كله بلد تنمو فيه الخرافة والأسطورة وتزدهر، كما تنمو فى الهند. ولقد أحس الهندى القديم بالضعف أمام قوى الطبيعة فشغف بالروحانيات، واتخذ الزهد وسيلة للتخلص من الماديات والشوق إلى عالم الروح والفناء.

ويضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة كبيرة من الأساطير الهندية، التى ظلت الألسنة تتناقلها منذ أجيال طويلة مضت. فهى تمثل للإنسانية تراثاً خالداً ينبغى أن يحفظ من الضياع. والآن نتركك لكى تستمتع بقراءة تلك الأساطير الخالدة على مر العصور.






كنوز
للنشر والتوزيع